



دعوة الحق

69

مجلة شهرية تعنى بالكراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية
السنة الخامسة والستون - العدد 440 - محرم 1444 هـ / غشت 2022 م



دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالكرامات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصكرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة الخامسة والستون - العدد 440 - محرم 1444هـ / غشت 2022م



أسسها جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ / 1957م

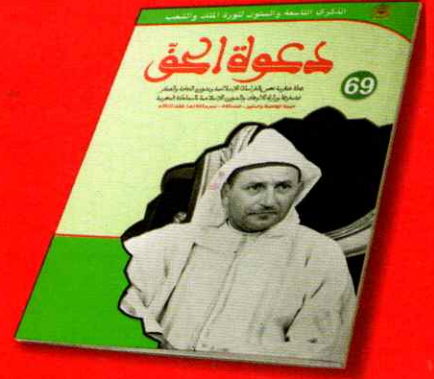


”... ولكل من أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار
مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح
الدني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية
والثقافية، ولنا وحييد الأمل في أن يلتفت حولها
مُعاله الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد
وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء“.

وعسى أن تسلم مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق“

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى «دعوة الحق» مجلة بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترقب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.



مجلة شهرية تعنى بالكرامات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

مدير المجلة

الأستاذ أحمد قسطاس

رئيس التحرير

الأستاذ عبد الحميد العلمي

العنوان

مديرية الشؤون الإسلامية،
وزارة الأوقاف الإسلامية
المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني: www.daouatalhaq.ma
البريد الإلكتروني: daawatalhak@mhai.gov.ma

هاتف التحرير

05 37 76 59 05

هاتف مدير المجلة

05 37 76 17 21 / فاكس: 05 37 66 06 74

التوزيع

هاتف وفاكس: 05 37 76 32 10

الحساب البنكي

القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط:
RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة

الاشتراك التشجيعي: 500 درهم
المملكة المغربية: 150 درهم
الخارج: 300 درهم

ثمن العدد: 15 درهم

رقم الإيداع القانوني: 1981/3
الرقم الدولي: 1981PE0003

الإخراج الفني والطباعة

مطبعة البيضاء - الهاتف: 05 37 87 11 25 - سلا

440



أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده



افتتاحية



الاحتفال بالذكرى التاسعة والستين لثورة الملأ والشعب يعد مناسبة يستحضر فيها الشعب المغربي والعرش العلوي المجيد قيم التضامن والتضحية، التي قالها رمز الأمة جلالة المغفور له الملأ محمد الخامس قدس الله روحه. كما تؤرخ لمحنة عظيمة جسدت أسمى معاني الإخلاص لبطل التحرير، الذي حرص على أن يفر بما عاهد الله عليه من أمانة حفظ الدين، وحسن كرامة المواكبين، وتحرير البلاد من المستعمرين. تشهد لذلك مواقفه الراسخة، وأقواله الصادقة، منها: «ما من شيء في أعمالي وأقواله يبرر أن أفتخر عن أمانة أضلعت بأعبائها بصفة مشروعة. وإذا كانت الحكومة الفرنسية تعتبر أن الدفاع عن الحرية والشعب بمثابة جريمة يعاقب عليها، فإنني أعتبرها فضيلة يفاخر بها وتوثق صاحبها الجيد».

حقا إنها مكرمة أكسبت صاحبها الجيد نتيجة وفائه بالعهد، وذلك بفضل ما حباه الله به من صفاء البصيرة وقوة العزيمة، جعلت الشعب المغربي يؤمن بمبادئه السامية، ويساند له في مواقفه الحاسمة تجاه القضية الوطنية، فكانت بحق حدثا تاريخيا أشادت به الشعوب العربية والإسلامية، واتخذ منها المغاربة عبرا مولوية ما زالت آثارها للعيان بالمدية، وفي وجدان المواكبين ملارية، عبر عن ذلك أمير المؤمنين جلالة الملأ محمد السادس نصره الله بقوله:

«وهي ليست فقط حدثا تاريخيا، وإنما ثورة مستمرة تلهم الأجيال المتعاقبة بنفس روح الوطنية الحققة للدفاع عن الوطن ومؤسساته ومقدساته».

وبه يُعلم أن ثورة الملأ والشعب لها رمزيتهما التاريخية، لأنها ثورة مستمرة لمواجهة التحديات، والمضي في تحقيق المنجزات. قال جلالة الملأ محمد السادس عن الله أمرا:

«إذا كانت ثورة الملأ والشعب قد شكلت منعصفا تاريخيا في صيرورة الحرية المغرب واستقلاله، فإننا اليوم أمام مرحلة جديدة تتصلب الالتزام بروح الوطنية الحققة، لرفع التحديات الداخلية والخارجية».

فصوبونا بما من الله به علينا من نعمة الاستقلال، التي قلناها بكل التحرير الملأ القمام،
سيد محمد بن يوسف كبيب الله ثراه.

وجرياً على هذا السنن، وقصفاً من غلغلة الفتن، فهذا أمير المؤمنين جلالة الملأ محمد السلاسل
أيده الله يواصل ما قام به أسلافه المنعمون، بحكم ما ناله الله به من تقلد الإمامة العظمى، التي
ينوب بها عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم في حفظ الدين، والسهر على مصالح المسلمين.
ويسعد هيئة تحرير مجلة الدعوة الحق أن تنصر هذا العداء لذكر ثورة الملأ والشعب،
بمشاركة ثلة من العلماء العاملين والأساتذة الباحثين، مغتنمين هذه المناسبة للدعاء بالرحمة
والمغفرة لخصر البلاء والعباء، جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس كبيب الله ثراه، ووارث سره
الملأ الباني مولانا الحسن الثاني قدس الله روحه وشهداء التحرير أجمعين، مع الدعاء لمولانا أمير
المؤمنين صاحب الجلالة الملأ محمد السلاسل بالنصر والتمكين، والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير

ثورة الملك والشعب، وصور من الكفاح الوطني للمرأة المغربية

ذ. محمد عز الدين المعيار الإدريسي

رئيس المجلس العلمي المحلي لمراكش.

في سياق الذكرى والاعتبار، وصيانة الذاكرة الوطنية، يأتي احتفال المملكة المغربية يوم 20 غشت من كل سنة، بحدث ثورة الملك والشعب، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾¹ أي ذكرهم تذكير عظة بأيام الله، عبّر بالأيام عن الوقائع العظيمة التي وقعت فيها.²

ولعل أقرب معاني الثورة في اللغة العربية للحدث، هي حدة الغضب وَهَيَاَجُهُ، أما الثورة فمن معانيها في الاصطلاح السياسي «تغيير أساسي مفاجئ في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب أو فريق منه في دولة ما»، وثورة الملك والشعب في تاريخ المغرب الحديث، إذا أطلقت انصرفت إلى تلكم المعارك الحاسمة، وما رافقها من مقاومة بأسلة، خاضها الملك والشعب ضد الاستعمار الأجنبي، من أجل الحرية والاستقلال، بشكل بلغ الأوج بعد نفي الملك وأسرته خارج الوطن.³

وبعد فيأتي تناول هذا الموضوع الكبير الواسع المتشعب، من جانبين مهمين أولهما عام، وثانيهما خاص، وذلك من خلال محورين، كالتالي:

المحور الأول - ثورة الملك والشعب مواقف وأمجاد

تعتبر ثورة الملك والشعب، الحدث الأبرز في كفاح المغرب من أجل الحرية والاستقلال، وإحياء ذكراها مناسبة وطنية خالدة، وفرصة ذهبية سانحة، لاستحضار أمجاد الماضي، من خلال تلكم الملاحم

1 - سورة إبراهيم، الآية: 7

2 - انظر: تفسير الفخر الرازي - مفاتيح الغيب: م10/ج19 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: 413/5 - تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: 189/13.

3 - انظر: المعجم الوجيز، وموسوعة السياسة: 1/870، والذكرى الخمسون لثورة الملك والشعب: 132 (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - دورة خاصة تاريخ: 24 - 22 غشت 2003 م).

البطولية العظيمة التي صنعها ملك أبي همام، وشعب وافي مقدام، انبثقت عنها مدرسة فريدة رائدة في التضحية والفداء، ومعلمة بارزة في الوطنية والوفاء، ومحطة حضارية مشعة، تلهم الأجيال بما لا ينتهي من المواقف المثالية الثابتة، والقيم الإنسانية السامية...

سجلت بمداد من نور، مفاخر الماضي المجيد، وحققت وتحقق أعظم المكاسب والمنجزات، في الحاضر السعيد، وستبقى نبراسا مضيئا للمستقبل الزاهر، سواء منه القريب أو البعيد...

صدق الذي سماه ثورة عاهل *** ضحى، وشعب كان خير مثال¹

لقد التقت إرادة الملك والشعب، ليكونا يدا واحدة ضد غطرسة الاستعمار وعتوه، والدفاع عن كرامة الوطن وعزته، كما التقت دون سابق اتفاق، الإرادة الشعبية التلقائية، مع العمل الفدائي المنظم، في رد الفعل الفوري بالتظاهر والانتفاضة إزاء الإعلان عن عزل الملك الشرعي السلطان محمد بن يوسف، والمناداة بالصنيعة ابن عرفة سلطانا، وذلك يوم 14 غشت 1953 م حين عقد الباشا التهامي الكلاوي في مدينة مراكش مجلسا لحلفائه - بعد أن حصل على توقيعات عدد من ضعاف النفوس ممن:

سيلعنهم مدى الأجيال شعب *** يعد وجودهم فيه مصابا²

مع الإشارة إلى أن بيعة ابن عرفة بمراكش، تمت تحت سياط الجلادين ورشاشات أعوانه، خصوصا فيما يتعلق ببعض المخلصين للمكهم ودينهم ووطنهم³ في وقت كانت المدينة تعاني من قبضة الكلاوي الحديدية التي تجعل مصير كل من سولت له نفسه الوقوف في طريقه السجن⁴.

وذكر بعض من عاصر تلك الفترة أنه «... أثناء تداول العريضة قيل للأعيان بأنها عريضة ضد الشيوعية، ولو عرف هؤلاء محتواها الحقيقي لما وقع عليها العديد منهم، فقواد المناطق الجنوبية للمغرب الذين كانوا إما على معرفة ضئيلة بالقراءة والكتابة أو أميين بالمرّة، هم الذين وقعوا على العريضة دون تردد، أما معظم العلماء... فقد رفضوا التوقيع رغم التهديد والترهيب»⁵.

لقد بلغت الأزمة أوجها، ووصلت المؤامرة الدنيئة ذروتها، والملك ثابت لا يتزعزع...

1 - من قصيدة بعنوان «وافرحته بعيد الاستقلال» لعبد الواحد السلمي - دعوة الحق، العدد 332، الصفحة 134.
2 - ديوان عبد الرحمن الدكالي: 2/277، من قصيدة قالها كما هو واضح بعد نفي جلاله المغفور له محمد الخامس وأسرتة الشريفة، وليس كما جاء في الديوان (الطبعة الثانية 2012م - المطبعة والوراقة الوطنية مراكش).
3 - حوليات كلية اللغة العربية - العدد 3 الصفحة 333 - حقائق لم تنشر بعد حول كفاح الجامعة اليوسفية للعلامة الحسن الزهرراوي.
4 - المعرفة والسلطة في المغرب صورة من حياة مثقف من البداية في القرن العشرين - ديل ف. أيكلمان: 215 (ترجمة محمد أعيف ومصطفى الوجاني - طبعة جديدة - مطبعة ليتوغراف طنجة).
5 - المعرفة والسلطة في المغرب - ديل ف. أيكلمان: 215.

يقول جلالة المغفور له الحسن الثاني: «لكن والدي لم يستسلم، ففي 20 غشت 1953م وهو ليلة عيد الأضحى أكبر الأعياد الإسلامية، كان الرباط تحت حالة الحصار (الطوارئ) وكانت الساعة الواحدة والنصف من بعد الظهر، عندما أخبر الملك، وهو يفرغ للتو من تناول غذائه أن الجنرال كيوم يرغب أن يستقبله رسميا بعد نصف ساعة...»¹.

رفض السلطان طلب الجنرال كيوم، واحتج عليه بأنه لا حق له ولا لفرنسا في ذلك² قائلا: «ما من شيء في أعمالي وأقوالي يبرر أن أتخلى عن أمانة أضطلع بأعبائها بصفة مشروعة، وإذا كانت الحكومة الفرنسية تعتبر أن الدفاع عن الحرية والشعب بمثابة جريمة يعاقب عليها، فإني أعتبرها فضيلة يفاخر بها، وتورث صاحبها المجد»³.

كانت الساعة تشير إلى الثالثة وخمس عشرة دقيقة بعد منتصف النهار عندما انطلق من القصر الملكي موكب تتقدمه دبابتان... وسيارة على متنها صاحب الجلالة الملك محمد الخامس، وولي عهده الأمير مولاي الحسن، وشقيقه الأمير مولاي عبد الله، وتتبع الجميع دبابات وسيارات عسكرية، وكان الموكب في اتجاه مطار الرباط - سلا حيث كانت طائرة «دس 3» في الانتظار، لتقل فوراً صاحب الجلالة والأميرين إلى مدينة أجاكسيو بجزيرة كورسيكا، وحطت الطائرة بمطار أجاكسيو على الساعة العاشرة وسبع دقائق ليلاً، وكان في استقبال جلالته والي المدينة على رأس موكب رسمي⁴، كما أفلعت طائرة ثانية من مطار سلا على الساعة التاسعة ليلاً في اتجاه أجاكسيو تقل على ظهرها العائلة المالكة الذين تقرر أن يلتحقوا بجلالته⁵.

نُفيت فقام بعدك من شبابي *** من اختاروا الشهادة والثواب

ورأوا منك الفداء بكل غال *** فهبوا للفدا أسدا غضاباً

يقول جلالة المغفور له الحسن الثاني: «والتأم شمل العائلة في زونزا Zonza جنوبي شرقي الجزيرة عندما ضمنا فندق موفلون الذهبي في البداية ثم أوتيل نابليون في قرية ليل روس بعدها... كنا سجناء

1 - التحدي، الحسن الثاني ملك المغرب: 83 - الطبعة الثانية.

2 - انظر: الثورة الخامسة، صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير - الفرقاني محمد الحبيب: 1/ 200 (طبع بدار النشر المغربية، الدار البيضاء 1990م).

3 - نفسه: 84.

4 - التحدي: 88.

5 - الثورة الخامسة: 201.

6 - ديوان عبد الرحمن الدكالي: 151؛ الطبعة الأولى: 2002م - المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش).

ولكن على نفقتنا لقد كان على الملك أن يدفع نفقات سجننا وأجور موظفي الفندق ومستخدميه ورواتب حراستنا، ولقد أمضينا ثلاثة أشهر في جزيرة ليل روس»¹.

لقد كان جلاله الملك محمد الخامس ورفيقه في الكفاح ولي العهد آنذاك صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن وسائر أفراد الأسرة الملكية في مقدمة الصفوف يعطون المثال للشعب في التضحية والفداء وفي الثبات على المبدأ مهما كان الثمن...

ولم تكن السلطات الاستعمارية الفرنسية، تدرك أنها سعت بظلفها إلى حتفها، بإقدامها على اقتراف أكبر أخطائها السياسية²، عندما تجرأت على مد يد العدوان الآثمة إلى رمز السيادة المغربية، جلاله المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه. وعزله عن عرش أسلافه الميامين بالقوة الغاشمة. ونفيه وأسرته الملكية إلى خارج الوطن. إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر حيث كانت تلك هي الشرارة التي اندلعت على إثرها المقاومة المغربية، التي اشتهرت في تاريخ المغرب الحديث باسم ثورة الملك والشعب المجيدة³.

ما على الأرض «يابن يوسف» ثان *** لك ضحى بعرشه صنيديا⁴

ولا عجب فقد كانت وشائج المحبة بين الملك والشعب، أقوى من كل التحديات، وأرسخ من الجبال الراسيات، على جنباتها تتكسر الأمواج العاتيات.. فهي علاقة قوية متينة كما قال جلاله المغفور له محمد الخامس لولي عهده آنذاك مولاي الحسن وهو في سن مبكرة: «واعلم يا بني أن تعلق الناس بأسرتنا مصدره روحي وأخلاقي...»⁵.

والشعب عندما قال إنه رأى ملكه السلطان محمد بن يوسف في القمر، فإنما كان يعبر عن تعلقه الكبير بملكه المفدى، وعن مكانته في عقله ووجدانه، الشيء الذي لم يستطع المستعمر تكذيبه أو نفيه، بل وقف واجما أمام ذلك لا يكاد يصدق، ثم راح يحل شفرات الرسالة ويستعد لإنهاء الاحتلال، إذ لا مكان له في بلد عظيم، تلتقي فيه إرادة الملك والشعب، وتتفق على خوض معركة التحرير حتى الاستقلال...

كأل الي شافو في القمر *** إلى بقيت في العمر نفديه⁶

1 - التحدي: 89.

2 - انظر: المغرب من الحياة إلى الاستقلال 1912-1956 - جورج سبيلمان: 165، 72 (ترجمة محمد المؤيد - منشورات أمل - الطبعة الأولى: 1914م، مطابع الرباط نط).

3 - قال عبد الصادق المزوارى الكلاوي: «في الحقيقة فإن الباشا الكلاوي لم يكن يتصور أبدا أن نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف سيثير الثورة بالمغرب» - (كتاب: «أبي الحاج التهامي الكلاوي الأوبة»، ص. 222 - ترجمة فريد الزاهي - منشورات مرسوم - الرباط - طباعة النجاح الجديدة، 2004م).

4 - ديوان عبد الرحمن الصديقي الدكالي: 307 / 2.

5 - التحدي: 33.

6 - مشموم الحمراء عبد الرحمن الملحوني: 1/ 8-9 - مقتطف من تقديم كاتب هذه المقالة للكتاب المذكور - (الطبعة الأولى: 2016 - منشورات دار أبي رقرق، الرباط - المغرب).

يقول روم لا ندو عن رد الفعل الوطني بعد نفي الملك وأسرته: «لم تمر بضعة أسابيع حتى أخذت صفات القتال التي يتميز بها الشعب المغربي تظهر من جديد... وفجأة أصبح محمد بن يوسف في خيال الناس شهيدا يطل عليهم من السماء، وإذا تطلعوا إلى فوق كانوا يرون صورته في القمر الجميل الذي يشرف عليهم في الظلماء...»¹.

حتى بهرت فما تخفى على أحد *** إلا على أحد لا يعرف القمر²

ظهرت صورة السلطان سيدي محمد بن يوسف على سطح القمر في الأسبوع الأول من المنفى فكانت الدار البيضاء - ككل مدن المغرب وقراه - إذا غربت الشمس اجتمع الناس في أزقة المدينة حلقة حلقة يشيرون إلى صورته على سطح القمر كما يشيرون إلى هلال رمضان.³

في كل مساء كان للشعب المغربي موعد مع القمر... الشعب كله بمختلف فئاته العمرية والفكرية، علامة على الوشائج التي تربط بين ملك منفي خارج البلاد وشعب متعلق به داخل البلاد.⁴

وأبدع الأستاذ أحمد التوفيق في وصف المشهد عندما قال: «... وكلما ارتقى البدر في عنان السماء، كلما ازداد الشعور بأن الذين يتناولون الإيقاع على الدفوف، لم يعودوا يتحكمون في ضبط أوزانهم، وأن الراقصين قد صارت إلى ارتباك حركات أرجلهم، إذ أقبل بعضهم على بعض يتخافتون، ودار بينهم خبر ما، وشبت في أحشائهم حمأة النار في الهشيم، وفي لحظة واحدة انفرط ذلك النظام، وخرق رجل منهم جدار الصمت، وجراً على مد ذراعه والإشارة بسبابته إلى القمر وقال: رَهْ رَهْ رَهْ!...»⁵.

ثم عاد الأستاذ في الأخير ليبرر ذلك بـ: «أن لحظة هذه الرؤيا تنتمي من حيث التأويل إلى ما يسمى في مصطلح العلوم الإنسانية الحديثة بالزمن الحضاري الطويل، وفيه يفهم اللجوء إلى رموز معينة خالدة للتعبير عن الأحلام والآمال، فرموز هذه اللحظة هي القمر، والفارس والفرس وهي رموز وظفت على امتداد العصور، وفي مجال الشعر ومجال السحر معا، وإذا كان سياق توظيفها يختلف من حالة إلى أخرى فإن تأويلها كثيرا ما يحمل على التعلق والشوق والحنين، أو على البطولة والزعامة والملحمة...»⁶.

ولا عجب فيما حدث فللحب أسرار، وللمحبين عيون وأنظار...

- 1 - تاريخ المغرب في القرن العشرين، لروم لاندو: 413.
- 2 - ديوان ذي الرمة: 94 (تقديم وشرح أحمد حين بسج - الطبعة الأولى: 1415هـ = 1995م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان).
- 3 - عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار أنفا والشاوية عبر العصور، تأليف: هاشم المعروفي: 2/ 146.
- 4 - انظر: صراخ الذاكرة - لمحات من سيرة ذاتية - محمد السعيد الرجراجي: 292.
- 5 - في تاريخ المغرب - أحمد التوفيق: 40.
- 6 - في تاريخ المغرب - أحمد التوفيق: 41 (الطبعة الأولى: 1440هـ = 2019م - مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء).

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ نَوَاحِلُ *** مَنِي وَيِيضُ الْهِنْدُ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ الشُّيُوفِ لَأَنْهَا *** لَمَعَتْ كَبَارِقُ ثَغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ¹

وفيما كانت ضربات الفدائيين تلاحق (الدمية) ابن عرفة صنيعه الاستعمار - المعتصب الخائن - كانت قوة المتخيل الشعبي تستعيد صورة الملك الغائب في التفكير والضمير، وتحرض الحشود التي كانت تعتلي السطوح بعد غروب الشمس لتشاهد محبوبها ممتطيا صهوة جواده على سطح القمر...² ويتحقق النصر ويعود الملك وأسرته الكريمة من المنفى السحيق، إلى الوطن الحبيب حاملا بشرى نهاية عهد الحجر والحماية وبزوغ فجر الحرية والاستقلال، وتخرج جماهير الشعب عن بكرة أبيها، لاستقبال ملكها والتخلي بطلعته عن قرب «بلحمه ودمه، بابتسامة مضيئة، كانت قبل هذا اليوم تُرى في القمر...»³.

المحور الثاني - دور المرأة في المعركة من أجل التحرير

سجلت المرأة المغربية صفحات مجيدة في معركة الكفاح الوطني من أجل الحرية والاستقلال مثلها في ذلك مثل شقيقها الرجل.

وما التأنيثُ لاسم الشمس عيبٌ *** ولا التذكيرُ فخرٌ للهِلالِ

وتبقى مع ذلك الكتابات التاريخية عن المرأة المغربية المقاومة شيئا عزيزا، يجعل الباحث المهتم لا يكاد يعثر على ما يشفي الغليل، ويزيح الستار عن المشهد بكامله، ولا غرابة فحظ المرأة فيما ألف عن تاريخ المغرب في العصر الحديث لا يتجاوز في أحسن الأحوال، إشارات خفيفة لا تروي ظمأ، ولا تملأ فراغا، وكثيرا ما يرد اسم إحداهن، فيصعب التعريف بها، مما يدعو إلى تضافر الجهود من أجل إكمال هذا النقص، وتداركه قبل فوات الأوان.

إنه يمكن الحديث عن المقاومات المغربية جملة، أما بشكل فردي فيصعب في أكثر الأحيان، مع أنه لا يختلف اثنان في أن المرأة المغربية، كانت حاضرة في كل المعارك التي خاضها الملك والشعب من أجل الحرية والاستقلال، في كل مراحلها بشكل قوي، وبفعالية كبيرة - وإن لم يكن بالكثافة التي كانت لأخيها الرجل لعوامل وأسباب بعضها ظاهر، وبعضها خفي - فإنه يصعب في المقابل بل يتعذر

1 - أشعار الشعراء الستة الجاهليين - يوسف بن سليمان الأعلم الشنتمري: 2/ 129 (شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي - الطبعة الثالثة: 382 هـ = 1963 م - مصر).

2 - كفاح المغاربة: 56 وينظر ما بعده.

3 - شهادات وتأملات - عبد الرحيم بوعبيد: 17.

4 - انظر: المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بجهة مراكش...: 141 - نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

أحيانا الحديث بتفصيل عن مقاومات بالذات، مما باتت معه الحاجة ملحة للكتابة عن دور المرأة المغربية في الكفاح الوطني من أجل الحرية والاستقلال عموما، وعن دورها في ثورة الملك والشعب على وجه الخصوص، بشكل أكثر دقة وتفصيلا، وهي مسؤولية مشتركة يتحملها الرجال والنساء على حد سواء.. والمرأة أصبحت بعد أن تحررت من كثير من قيود الماضي، تمتلك من المؤهلات العلمية والعملية ما يجعلها قادرة على القيام بجزء كبير من هذه المهمة على أحسن وجه، خصوصا عندما يتعلق الأمر بها شخصا أو غيرها من أهلها ومعارفها، ممن تمتلك عنهم حقائق قد لا توجد عند غيرها...¹

لقد أدرك جلاله المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه منذ البداية، أهمية التعليم في معركة التحرير، فكانت له الأيادي البيضاء الخالدة في هذا المضمار، والمبادرات النهضوية الرائدة التي تجلت في عدة مظاهر، من أبرزها الدعوة إلى وجوب تعليم الفتاة وولوج المدارس والمعاهد، مثلها في ذلك مثل صنوها الرجل، وإعطاء المثال بفلذات كبده الأمراء والأميرات، وكان يشرف بنفسه على تأسيس المدارس الحرة. على نفقته الخاصة، كمدارس محمد الخامس الشهيرة بالرباط، ويشجع في الوقت ذاته أهل الفضل واليسار من رعاياه الأوفياء للاقتداء به في ذلك، وكان من شدة حرصه على استمرار هذه المؤسسات في تأدية دورها المنوط بها، أن أبى إلا أن تكون تابعة للقصر الملكي تحت إشراف جلالته مباشرة، كما نظم التفتيش الدقيق بها، ومنحها من عطفه وكرمه، ما سجله له التاريخ بمداد الفخر والاعتزاز.

تقول الأستاذة مالكة العاصمي: "شكل مشروع المدارس الحرة واجهة من واجهات المعركة ضد المستعمر، استهدفت تعميم التعليم بين أفراد المجتمع رجالا ونساء وتحديثه، كما شكل فتح مدارس لتعليم البنات، طريقا لتحرير المرأة كعنوان لتحرير كل الطاقات الحية، وإطلاق مشروع التحديث واسعاً، وتفتح الوعي الاجتماعي، وتغيير الثقافة والعقليات التي يحاول الاستعمار أن يضرب عليها الحجب بنشر أنواع الشعوذة والقيم الظلامية والانهزامية"².

1 - ظلت كتابات المرأة المغربية عموما والتاريخية منها على وجه الخصوص إلى حدود سنة 1980 م قليلة جدا، فعلى سبيل المثال لا نجد ضمن 1343 عنوانا ضمن المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956 م غير عنوان واحد هو "الملكة خنثة" لأمينة بنت عبد الكريم اللوه ثم لا نجد في كتاب الأدباء المغاربة المعاصرين من بين 173 علما سوى امرأتين: خنثة بنونة ع37- ورفيقة الطبيعة ع83 على امتداد الفترة الزمنية: 1930-1980 م وهو ما بدأ تجاوزه بعد ذلك بالتدريج، فظهرت مؤلفات مهمة ومقالات قيمة لأستاذات كريات، من ذلك: كتاب "علامات نسائية في نبوغ المرأة المغربية" للأستاذة نجاة المربني (2006م) وكتاب "معجم شهيرات المغرب" للأستاذة زهراء ناجية الزهراوي من منشورات المجلس العلمي المحلي لمراكش (2008م) وكتاب "فتيات ونساء مراكش - رائدات النهضة المغربية" للأستاذة مالكة العاصمي (2013م). وكتاب "المرأة المغربية مكتسبات وانتكاسات" للأستاذة مارية الشراقوي (2018م) ومن المؤلفات الجديدة كتاب "النساء في الكتابات التاريخية" حول المقاومة المغربية الصادر ضمن منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير باللغة الفرنسية، للدكتورة كريمة الأزرق، بالإضافة إلى محاضرات ومقالات في الموضوع نشرت في صحف ومجلات ذكر الدكتور عبد الحق المربني جملة منه في كتابه (دليل المرأة المغربية): 43-47.

2 - فتيات ونساء مراكش - رائدات النهضة المغربية، للأستاذة مالكة العاصمي: 15.

ومما جاء في خطاب جلالة المغفور له محمد الخامس في طنجة سنة 1947م: «... كان العلم بيننا منبثق الأنوار، متبلج الأسرار، فهجرناه حتى أظلمت سبلنا، وعظمت بالجهل حيرتنا... أخذنا على عاتقنا نشر العلم، سواء منه الجديد أو القديم... فأخذت بحمد الله وكمال عونه كل النفوس تحيي بحسن النتائج في تربيتها، وتطمح للمزيد في السير إلى نشرتها، فتأسست مدارس يتلقى فيها الشباب المغربي بذور الصلاح، وأخذت تلوح في أفق الرشاد شمس الفلاح، واستيقظت الأمة متنبهة لحقوقها، وسلكت لإدراك مجدها أنفع طرقها... ثم إذا كان ضياع الحق في سكوت أهله عنه، فما ضاع حق من ورائه طالب...»¹.

وإلى جانب خطاب طنجة التاريخي لجلالته، ألقى كل من صاحب السمو الملكي ولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن²، وصاحبة السمو الملكي الأميرة لالة عائشة، خطبتين بليغتين كان لهما أحمد الآثار على الجماهير الغفيرة التي احتشدت لتحيتهم.

لقد مثلت رحلة طنجة مرحلة تحول كبير في سياسة المغفور له محمد الخامس إزاء المستعمر، وتصعيد تحديه له³، فبعدها بقليل تم إحداث ما سمي إذ ذاك «يوم الراية المغربية» أو آخر جمادى الثانية 1366هـ تاسع عشر ماي 1947م «حين رفعت الراية المغربية وحدها فوق القصر الملكي العامر بالرباط، في احتفال مؤثر، حضره صاحب الجلالة الملك محمد الخامس، لأنها كانت قبل، ترفع مع العلم الفرنسي، وسمي ذلك اليوم بيوم الراية المغربية»⁴.

وعندما نتحدث عن دور المرأة المغربية في معركة الكفاح الوطني، تطالعنا في المقدمة أسماء الأميرات الجليلات اللاتي قامت كل واحدة منهن قبل الاستقلال وبعده بإعطاء المثال في النضال، وفي تحمل المسؤولية بكل كفاءة واقتدار، في مختلف المهام، وشتى المجالات...

وتجسدت هذه الحقيقة بوضوح تام في صاحبة السمو الملكي الأميرة لالة عائشة رحمها الله {1930 - 2011م} التي أعطت النموذج الأسمى لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المغربية المعاصرة، فكانت بحق زعيمة حركة تحرير المرأة المغربية (النهضة النسوية بالمغرب)، وكانت تؤمن بأن «الجهل هو عدونا الأول، وأنه أشد خطورة من الفقر...»⁵.

1 - مذكرات من التراث المغربي: 6/ 170، 172 مجموعة يشرف عليها العربي الصقلي 1986 - NORD ORGANISATION Copyright

2 - يقول جلالة المغفور له الحسن الثاني: «وفي التاسع من يوليو 1957 قرر الملك أن يسميني رسميا وليا للعهد» التحدي: 110.

3 - انظر: محطات في تاريخ المغرب المعاصر (1894 - 1956م) - عبد الحق الميرني: 123 (قضايا تاريخية ع 13، منشورات الزمن - مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء).

4 - إتحاف المطالع - عبد السلام بن عبد القادر بن سودة: 2/ 513 (الطبعة الأولى: 1417هـ = 1997م، دار الغرب الإسلامي - بيروت).

5 - مراکش بعد الاستقلال، تأليف: روم لاندو - تعريب: خيرى حماد - ط 1: 1961م - دار الطليعة بيروت.

هذي الأميرة وهي بعد زعيمة الـ *** فتيات ترجو منك بعث قواك

هذي الأميرة وهي قائدة الفتا *** ة إلى النهوض أتت تروم هداك¹

برعت في فن الخطابة من يوم أن صدعت في خطاب طنجة بالتعبير عن رغبة الشعب في الاستقلال، فكانت بذلك تضع أولى لبنات عملها الحركي من أجل النهوض بأوضاع المرأة المغربية، كما أضحت قدوة للنهضة النسوية.

وكانت كلما دشنت مدرسة للبنات ألقت خطبة بالعربية وأخرى بالفرنسية، نقتبس من ذلك هذه الفقرة من إحدى خطبها بعد الحرب العالمية الثانية: «... لقد أوحى أرباب الأغراض السيئة، والبيانات الفاسدة إلى طبقات الأمة المغربية أن المرأة خلقت لتكون فريسة للجهل، ومطية للأوهام، فظلت زمنا طويلا تعيش في عالم ضيق الأرجاء، بعيدة عن العرفان، جاهلة لكل ما تتوقف عليه حياة الإنسان»².

وإذا الفتاة تدرعت في قومها *** جهلا ففيهم للبوار مآلها

وإذا تقلدت المعارف بينهم *** سجدت لها بين الورى أقيالها³

واستمر عطاء الأميرة لالة عائشة بعد الاستقلال، فتقلدت رحمها الله عدة مهام، من أبرزها سفيرة المغرب لدى المملكة المتحدة (1965م)، واليونان (1969-1970م)، وإيطاليا (1970-1973م)... كما مثلت المرأة المغربية في المجلس الدولي للنساء، المنعقد ببانكوك سنة 1970م⁴ ومن اهتماماتها الفكرية والأدبية تقديمها لديوان «بؤس وضياء»⁵، شعر الدكتور محمد عزيز الحبابي، إلى جانب أنشطة ومهام أخرى.

وارتبط اسم كريمة السلطان الصغرى الأميرة لالة آمنة بثورة الملك والشعب لميلادها في المنفى بمدغشقر، فاعتبرها لذلك المجلس الوطني لحركة المقاومة وجيش التحرير أثناء الذكرى الأولى لعشرين غشت 1956م «أميرة المقاومة»⁶.

1 - من أشعار أبي بكر الجرموني- جمع وتعليق أحمد متفكر: 62 (المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش).

2 - كفاح المغاربة - عبد الله رشد: 185 (الطبعة الأولى: 2004م - الشركة الجديدة للمطابع المتحدة - الدار البيضاء - المغرب).

3 - الأدب العربي في المغرب الأقصى، لمحمد بن العباس القباج: 2/ 89 من قصيدة للشاعر عبد الكريم سكيج {1900-1984م} بعنوان الفتاة (الطبعة الأولى: 1347هـ = 1929م - مطبعة دار المناهل - وزارة الثقافة والاتصال - قطاع الثقافة - طبعة خاصة بمجلة الثقافة المغربية).

4 - مجلة المناهل، العدد 44 / الصفحة 36 (ضمن بحث للدكتور عبد الحق الميريني بعنوان «ملحات عن مسيرة المرأة المغربية في عهد التحرير والاستقلال»).

5 - بؤس وضياء - شعر محمد عزيز الحبابي، تقديم الأميرة لالة عائشة، منشورات عويدات، مطبعة ستاركو، بيروت، 1962م.

6 - الخفايا السرية في المغرب المستقل 1956-1961م - عبد الرحيم الودغيري: 45 (طبعة جديدة - مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء 1982م).

وفي أول حفل لتخليد ذكرى ثورة الملك والشعب بالمشور الملكي بالرباط، تم تقديم هدية رمزية للأميرة لالة آمنة التي ولدت بالمنفى حيث لاحظ العديد من المقاومين أنها كانت ترافق جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه باستمرار، وتحضر معه العديد من المناسبات الرسمية، وهي عبارة عن سلسلة ذهبية يتوسطها مسدس ذهبي صغير.¹

وشاركت الأميرة لالة فاطمة الزهراء العزيزية {ت2003م} ابنة السلطان المولى عبد العزيز وزوج الأمير مولاي الحسن بن المهدي، خليفة السلطان في المنطقة الخليفية²، في معركة النضال من أجل الحرية والاستقلال بكل ما تملك من الوسائل، مخاطرة في سبيل ذلك بنفسها ومركزها وحياتها، فتخفي مناضلي المقاومة في بيتها، وتساعدهم بشتى الطرق...³ وبعد الاستقلال أسند إليها جلالة المغفور له الحسن الثاني رئاسة الاتحاد النسائي، ومن عطائها الفكري والأدبي مقال في كتاب «جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية الملك والإنسان» الذي أعده الدكتور عبد الحق الميريني بعنوان «محرر المرأة المغربية»⁴.

واتسم نضال المرأة المغربية عموما من أجل الحرية والاستقلال بكثير من الجرأة والاستبسال في نكران ذات، وكتمان أسرار، وتضحية نادرة المثال، فكانت كثيرات منهن إلى جانب معاناتهن المنزلية ومسؤولياتهن الاجتماعية، تقمن بأدوار وطنية على جانب كبير من الخطورة⁵، وتجمعن بين عمل البيت وعمل مناهضة المحتل الغاشم، وتقمن إلى جانب ذلك بعدة خدمات أخرى كالإسعاف والتمريض، وتوفير المؤن والملاجئ ونقل المعلومات...

ومن الصور البطولية للمرأة المغربية المكافحة ودورها الريادي في التمريض ما حكاه عن نفسه ولد أخ محمد وحمو الزياني، في وقعة الهري الشهيرة قال: «... أُصِبتُ بطلقة نارية في بطني سقطت منها أمعائي... فما إن سقطتُ من على فرسي حتى وجدت أمامي أختي وهي تساعدني في إرجاع الأمعاء الخارجة فحاولت إرجاعها بيدها بكل جهد فلم تستطع، فبينما هي على تلك الحال إذا بأحد الجرحى الساقطين بمقربة منا، ينادي عليها نداء يهمسه من شدة الألم، حتى دنت منه فقال لها: ارفعي رجله وادفعي الأمعاء بيدك الأخرى ترجع لمحلها قال: فصنعت ذلك فرجعت الأمعاء، وأخذت تحيط البطن

1 - أحاديث فيما جرى - عبد الرحمن اليوسفي: 1/ 76 (الطبعة الأولى: فبراير 2018م - دار النشر المغربية - عين السبع الدار البيضاء).

2 - انظر: محطات في تاريخ المغرب المعاصر (1894 - 1956م) - عبد الحق الميريني: 127.

3 - انظر: مراكش بعد الاستقلال - روم لاندو: 140 (تعريب خيري حماد - الطبعة الأولى: 1961م - دار الطليعة بيروت).

4 - مجلة المناهل، العدد 34، ص. 352.

5 - انظر: يوميات العمل الوطني والمسلح في المغرب - عبد السلام الجيلي: 13 (الطبعة الأولى: 2018م، المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش).

ويساعدها بعض الإخوان الذين وصلوا عليها، فخطوها بخيوط حريرية من سبينة فوق رأسها... فما مرت عليه بضعة أيام حتى كان على فرسه في معارك أخرى»¹.

ولم تزد الأحداث سيدة مثل عائشة بنت الحاج علي زبير إلا قوة وصلابة وإصرارا على الكفاح، من أجل الحرية والاستقلال، فكانت نموذجا مثاليا للأمم المغربية المناضلة، التي لم تضعف أمام تعسف المستعمر، عندما اعتقلوا أحد أبنائها فخطبت قائلة فيمن زارها من الوطنيين لمواساتها: «إن ولدي... دخل السجن ونفي من أجل شرف الأمة، ودفاعا عن كرامتها، ومن أجل الكفاح في سبيل وحدة المغرب الدينية والترايبية، والحفاظ على شريعة البلاد المقدسة، وقانونها الموحد، الذي يستمد قوته من روح آبائنا وأجدادنا وملوكنا الميامين...»².

وبرزت الأستاذة مليكة الفاسي³ {1919-2007م} كمناضلة ومثقفة رائدة في الوطنية وحقوق المرأة وتميزت بأنها المرأة الوحيدة التي وقعت على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944م.

وتعددت صور نضال المرأة المغربية وحضورها الوازن في شتى المحطات، منهن من فتحت باب منزلها في وجوه الفارين من رصاص الجيش الفرنسي وهراوات أعوان عملائه، كما حدث بحبي بريمة بمراكش يوم 15 غشت 1953م عندما فتحت امرأة باب دارها أمام المتظاهرين بالمشور، الفارين من طلقات نيران رشاشات المحتل وبطش أعوان الكلاوي، حيث تجمع منهم داخل الدار عدد كبير، وظلت هي تراقب من بعيد، حتى إذا انصرف الأعوان وعادوا أدراجهم، وخلت الطريق من المارة نادت: «أيها السادة يمكنكم الخروج إلى حال سبيلكم»⁴. كما تسترت أخريات شهورا على مقاومين مبحوث عنهم من السلطات الاستعمارية...

ومنهن من آوت في مختلف جهات المغرب، مقاومين وتسترت عليهم، كتلك العائلة التي كانت تقطن بدرب الشرفاء بالدار البيضاء، والتي أطلق الشهيد الزرقطوني على منزلهم اسم «دار الأرقم بن الأرقم»، لأنها كانت تأوي أفراد جيش التحرير... وتسهر على راحتهم⁵، وعندما سمعت كبيرة العائلة

1 - كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، لأحمد المنصوري: 257 (تحقيق: الأستاذ محمد بن الحسن - تقديم: الدكتور مصطفى الكثيري) - منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير - الطبعة الأولى: 1425هـ = 2004م).

2 - معجم شهريرات المغرب - زهراء ناجية الزهراوي: 215 - منشورات المجلس العلمي المحلي لمراكش، عدد7، الطبعة الأولى: 2008م - المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش.

3 - انظر: مذكرات من التراث المغربي: 6/ 129، 133 - كفاح المغاربة: 186؛ معجم شهريرات المغرب: 308-311.

4 - مذكرات مولاي أبو الخير الناجي: 54-55 (جمع وتقديم ذ. محمد المهدي الناجي، ط 1 - 2018م - المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش).

5 - مذكرات الفقيه الفكيكي، محمد بوراس: 61 (مطبعة المعارف الجديدة - الرباط 2015م).

يوما أن الفدائيين في حاجة إلى المال، لم تتردد في أن تقترح عليهم بيع منزلها، وصرف ثمنه على النضال من أجل الاستقلال.¹

ومن الأدوار التي قامت بها المقاومة المغربية نقل الأسلحة، كما يفعل عدد من المقاومين الذين كانوا يرتدون ملابس النساء، لأنه لم يكن يدور بخلد الفرنسيين في أول الأمر أن يلتفتوا إلى النساء ليجتوئن أو يحققوا معهن، فكانت نساء كثيرات يغتنمن ذلك الاعتقاد في نقل السلاح من مكان إلى آخر، ومن بلد إلى بلد، كما أن مناضلات أخريات كن يرتدين لباس الرجال للاستخفاء عن عيون المتزمتين من أبناء المجتمع، الذين كانوا يرون أن دور المرأة لا يتجاوز حدود البيت...

ومن الأدوار البطولية للمرأة المغربية ما قامت به سيدة من وجدة، جاءت إلى الدار البيضاء مبعوثة من هناك في مهمة لدى المقاومة، وكانت ترتدي اللباس الأوروبي الأنيق، وتتكلم بلسان فرنسي طليق، مما أثار انتباه أحد المقاومين، فرأى تكليفها بوضع قبلة في أحد الأماكن العمومية، فلم تتردد في الاستجابة للطلب، على الرغم من خطورته...²

لقد أحدثت تحركات النساء الوطنيات قلقا كبيرا لقوى الاستعمار وأعوانه، «فعمل الباشا الكلاوي على التصدي لهن وتطويقهن بإصدار قرار منع ارتداء الجلباب عن النساء، ومنع اللباس العصري باستثناء (الكساء) و(الحايك) فقط دون سواهما، مع اعتقال وإيقاع العقوبات، ضد كل من تخالف هذا القرار»³. ومما ورد في رسالة من المراقب المدني ببيكار إلى المندوب في الشؤون الحضرية: «... السؤال الذي يطرح نفسه، هو معرفة في أي شرط يمكن إخضاع النساء المغريبات، لتفتيش مشابه للذي يخضع له الرجال، على نطاق واسع...»⁴.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد دخلت المرأة المغربية المعركة ضد الاستعمار الغاشم، فخاضت غمارها انطلاقا من عقيدة راسخة، ورثتها عن الرعيل الأول من الصحابيات وكبار التابعيات، ثم عن أعلام نساء المغرب على امتداد التاريخ، فقادت الثورة في عدة مدن وقرى إلى جانب إخوانها من رجال المقاومة وجيش التحرير، وسقط عدد منهم شهيدات في ساحات النضال، فسقين بدمائهن الزكية شجرة الحرية، مسترخصات أرواحهن الطاهرة في سبيل الحرية والاستقلال، منذ إعلان الحماية سنة 1912م

1 - كفاح المغاربة - عبد الله رشد: 188.

2 - كفاح المغاربة: 189.

3 - فتيات ونساء مراكش رائدات النهضة المغربية - مالكة العاصمي: 116.

4 - كفاح المغاربة: 189.

إلى بداية عهد الاستقلال.¹ وسنجعل ذكر بعضهن ختام هذا الموجز، سائلين لهن الرحمة والرضوان، ولكل شهداء المغرب الأبرار، وفي طليعتهم جلالة المغفور له محمد الخامس ورفيقه في الكفاح جلالة المغفور له الحسن الثاني رحمهما الله.

1- يطو بنت موحا أو حمو الزياني {ت 1921}²: بنت بطل المقاومة بالأطلس المتوسط ضد الاحتلال الفرنسي.

2- عدجو موح تيلمشيت³ {ت 1933 م}: من نساء آيت عطا بالأطلس الكبير المقاومات بزعامة عسو باسلام، سقطت شهيدة بتاريخ 28 مارس 1933 م.

3- خنائة الرودانية⁴ {ت 1944 م}: استشهدت برصاص القوات الفرنسية في المظاهرات التي عرفتها مدينة سلا، بتاريخ 07 مارس 1944 م بعد الإعلان عن توقيع وثيقة الاستقلال.

4- خنائة الرونودة: من شهداء انتفاضة 29 يناير 1944 م، من سلا.⁵

5- رحمة الدكالي: من شهداء انتفاضة 29 يناير 1944 م، من سلا.⁶

6- السيدة تودة: استشهدت في أحداث 1944 م يوم 29 يناير في السويقة حين أطلق عليها الجنود الفرنسيون بالرباط النار، لأنها كانت تزود المتظاهرين بالحجارة.⁷

7- السيدة كبورة المنكادة: في 31 يناير من سنة 1944 م صوب جندي بندقيته بفاس نحوها عندما كانت تصب الماء الساخن من فوق سطح منزلها على جنود الاحتلال.⁸

8- فاطمة الزهراء بنت مولاي الحسن البلغيثي⁹: من بين المتظاهرين في مظاهرة المشور بمراكش، برزت سيدة في مقتبل العمر، تتقدم الصفوف وهي تردد: محمد الخامس ملكنا، وتنادي بسقوط الاستعمار وعملائه، وتحمس الجماهير الثائرة، وتردّ الهاريين وتوبخهم، ثم لم تلبث أن سقطت شهيدة رحمها الله

1 - كان الإعلان عن الاستقلال سنة 1955 م وتوقيع وثيقة الاستقلال سنة 1956 م لكن استمرت المعارك في جنوب المغرب وشماله ضد المستعمر الإسباني.

2 - مذكرات من التراث المغربي: 5/ 130 - 133 - دليل المرأة المغربية - عبد الحق الميرني: 43؛ معجم شهيرات المغرب: 336.

3 - المعلمة 1830 - معجم شهيرات المغرب: 223.

4 - دليل المرأة المغربية - عبد الحق الميرني: 44 - معجم شهيرات المغرب: 117.

5 - دليل المرأة المغربية - عبد الحق الميرني: 44 - طبعة 1993 م - دار نشر المعرفة - الرباط.

6 - نفسه.

7 - دليل المرأة المغربية - عبد الحق الميرني: 44 - كفاح المغاربة: 187.

8 - كفاح المغاربة: 187.

9 - الثورة الخامسة: 214 - 215 - المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بجهة مراكش...: 144 - نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

برصاص الشرطة الفرنسية، وهي حامل في شهرها الرابع. وقد قال جلاله المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه في حقها في أول زيارة له لمدينة مراكش بعد الاستقلال: «... ولن ننسى شهامة الفدائيين الأبطال، من أمثال الشهيدة المقدمة فاطمة الزهراء، وحمّان بن مبارك الدكالي و...»¹. ولم تكن فاطمة البلغيثي المرأة الوحيدة التي شاركت في مظاهرة المشور، بل شاركت فيها سيدات أخريات، حافظت الذاكرة الوطنية على أسماء بعضهن.²

9- فاطمة بنت علال {ت 1955 م}: أول شهيدة سقطت في معركة وادي زم الشهيرة، يوم 20 غشت 1955 م.³

10- فاطمة بنت العربي⁴ {1929 - 1955 م}.

11- فاطمة بنت قدور⁵ {1919 - 1955 م}.

12- صفية الغزواني {1920 - 1955 م}: من قبيلة السماعلة⁶ بإقليم خريبكة، سقطت شهيدة في المظاهرات الشعبية بمدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 م.⁷

13- صفية بنت صالح⁸ {1921 - 1955 م}: من قبيلة ابن أحمد سقطت شهيدة برصاص الجنود الفرنسيين في الانتفاضة الشعبية التي عمت ربوع المغرب في 20 غشت 1955 م.

14- ثريا بنت عبد الواحد الشاوي {1936 - 1956 م}: الربان، شهيدة الوطن، أول امرأة تقود طائرة على المستوى العربي، تعرضت للاعتقال في الثامنة من عمرها بتهمة تحريض التلاميذ على مقاطعة الدراسة احتجاجا على أحداث العنف التي وقعت سنة 1944 م، ومن طائراتها كانت ترمي المناشير ترحيبا بعودة المغفور له محمد الخامس وأسرته من المنفى، استشهدت يوم الفاتح من مارس 1956 م.⁹

15- غصفا بنت المدني¹⁰ {1935 - 1956 م}: ولدت بقلعة السراغنة وانتقلت مع أسرته إلى

الدار البيضاء.

1 - الثورة الخامسة: 217.

2 - الثورة الخامسة - يوميات العمل الوطني والمسلح في المغرب - عبد السلام الجبلي: 63.

3 - كتاب «وادي زم الشهيدة، وطنية ورجال» - مذكرة مصطفى بن بوعزة الديكي: 88 (مطبعة الأندلس - الدار البيضاء - 1981 م).

4 - المعلمة: 12 / 6038 - معجم شهرات المغرب: 257.

5 - المعلمة: 19 / 6612 - معجم شهرات المغرب: 258.

6 - كانت قبيلة السماعلة مجزأة إلى جزأين: جزء جنوبي، وهو المسمى إذ ذاك بالمعادنة، وجزء شمالي، هو أولاد عيسى - انظر كتاب «وادي زم الشهيدة وطنية ورجال» - مذكرة مصطفى بن بوعزة الديكي: 80.

7 - المعلمة: 19 / 6348 - معجم شهرات المغرب: 183.

8 - المعلمة: 16 / 5472.

9 - المعلمة: 16 / 5273 - معجم شهرات المغرب: 80.

10 - المعلمة: 19 / 6354 - معجم شهرات المغرب: 236.

- 16- أم الفضل بنت الشيخ سيداتي ماء العينين {1940 - 1957 م}: مقاومة مغربية استشهدت في أحداث غارات الطيران الحربي الإسباني بجنوب المغرب.¹
- 17- الباتول بنت مبارك بن أزيلف {1927 - 1957 م}: من تالوين إقليم تارودانت، انخرطت في جيش التحرير بآيت باعمران... استشهدت في إحدى المعارك برصاص القوات الإسبانية.²
- 18- عائشة بنت حيمود بن الحسين³ {ت 1957 م}: ولدت بقبيلة آيت باعمران وانخرطت في جيش التحرير المغربي بالجنوب، واستشهدت في إحدى المعارك التي لجأ فيها المحتل الإسباني إلى استعمال الطيران أمام ضغط المقاومة المغربية.
- 19- عائشة المسافر⁴ {1937 - 1957 م}: استشهدت وهي تطلق النار على جنود الاحتلال الإسباني في معركة بويزي، في فاتح دجنبر 1957 م إحدى معارك جيش التحرير بالجنوب ضد الاحتلال الإسباني.
- 20- فاطمة بنت أحمد⁵ {1924 - 1957 م}: شاركت في معارك قبائل آيت باعمران لتحرير المنطقة من الاحتلال الإسباني إلى أن استشهدت في معركة تكرار بتاريخ 11/11/1957 م.

1 - المعلمة: 20 / 6930 - معجم شهيرات المغرب: 49.

2 - معجم شهيرات المغرب: 64.

3 - معجم شهيرات المغرب: 209.

4 - المعلمة: 21 / 7123 - معجم شهيرات المغرب: 221.

5 - المعلمة: 19 / 6423 - معجم شهيرات المغرب: 246.

محمد الخامس والحركة الوطنية تلاحم في مسار الكفاح من أجل الاستقلال

● ذ. جواد الفرخ - فاس.

يقف الباحث في موضوع الحركة الوطنية بالمغرب على عدة صور ومواقف تثبت بها لا شك فيه أن السلطان سيدي محمد بن يوسف تبنى منذ تربعه على عرش أسلافه المنعمين دعم الوطنيين المغاربة في مسعاهم للحرية والاستقلال. وإذا كانت العديد من الكتابات الأجنبية تحاول أن توهم بأن الملك كان على توافق تام مع إدارة الحماية الفرنسية، فإن الوقائع تكذب ذلك وحسبنا هنا أن نستعرض في هذه الدراسة بعض الصور التي تؤكد عكس ذلك.

1. الصورة الأولى: استقبال وفد فاس المعين لدراسة قضية ظهير 16 ماي 1930م: موازنة مع الحرب الشرسة التي شنتها القوات الاستعمارية لإخضاع المغرب، منذ توقيع عقد الحماية الفرنسية على البلاد في 30 مارس 1912م، أصدرت سلطات الحماية العديد من الظهائر والقوانين لضرب الوحدة المغربية، وتقويض الهوية الوطنية، بدءاً من ظهير 11 شتنبر 1914م الذي اعتبر أول لبنة في هذا المشروع الاستعماري، وصولاً إلى ظهير 16 ماي 1930م، الذي أعقبته حركة احتجاجية غير مسبقة بكافة أنحاء البلاد، وبمدينة فاس على وجه الخصوص، امتدت من شهر يونيو إلى أواخر شهر غشت. وبغية تهدئة الأوضاع بالعاصمة العلمية، تأسست باقتراح من السلطات المحلية لجنة للحوار والتداول في شأن أحداث فاس، والتفكير في طرح حلول لتجاوز حالة الاحتقان التي عاشتها العاصمة العلمية طيلة شهرين. وتنفيذاً لذلك، وجهت الإدارة المختصة يوم 22 غشت 1930م، استدعاءات لما يناهز مائة من الشخصيات والأعيان، للحضور لدار المجلس البلدي لاختيار 20 فرداً¹، يكلفون بتحرير كتاب وعريضة مطالب، بغاية رفعهما إلى السلطان.

وقد ضمت لائحة الشخصيات المختارة أسماء من الشبيبة الوطنية من قبيل علال الفاسي، ومحمد ابن الحسن الوزاني، وعمر بن عبد الجليل، والحسن بوعباد، إضافة إلى بعض أعيان المدينة وشيوخها،

1 - يذكر علال الفاسي أن المجتمعين بدار المجلس البلدي انتخبوا وفداً يضم 24 عضواً وليس 20، يمثلون سائر الأوساط الشعبية من العلماء والأعيان والصناع والعملة والفلاحين والشباب العصري.

أنيطت بهم مهمة إعداد العريضة ولائحة المطالب¹. وبعد إنجاز المطلوب، اجتمعت اللجنة من جديد يوم 23 غشت 1930م، وانتخب الوفد الذي سيرفع العريضة إلى السلطان، حيث جاءت تشكيلته كالتالي: 3 علماء، و4 أعيان تجار وملاكين، و3 ممثلين عن الشبيبة²، وسافر الوفد المنتخب، الذي أسندت رئاسته إلى الفقيه عبد الرحمن بن القرشي، صباح يوم 26 غشت 1930م إلى الرباط، بعد أن أقصت إدارة الشؤون الأهلية بفاس علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني بذريعة أنها اعتقلا في أحداث 18 يوليوز 1930م رغم أنها كانا من بين الأعضاء المنتخبين³، فيما رفض عمر بن عبد الجليل السفر مع الوفد تضامنا مع رفيقيه.

وفي مدينة الرباط، قابل أعضاء الوفد الصدر الأعظم، قبل أن يستقبلهم السلطان يوم الأربعاء 27 غشت 1930م، ويتسلم منهم الكتاب وعريضة المطالب التي تضمنت ثلاثة عشر مطلبًا، كانت تتعلق باحترام نفوذ جلالة السلطان على كافة ربوع الوطن، وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية، وإخضاع سائر الحواضر والبوادي لحكم الشريعة الإسلامية، وحماية المجال الديني من اختراق الحركات التبشيرية، وتحسين التعليم مع العناية باللغة العربية، وتشجيع تعليم الدين الإسلامي.

وأثناء الاستقبال الملكي، ألقى رئيس الوفد عبد الرحمن بن القرشي خطابًا مؤثرًا، استهله قائلا: «لقد جئت بكفني على رأسي لأقول الحق، كلفني ذلك ما كلفني»⁴، ولم يتمالك السلطان نفسه، عندما التمس منه محمد بن عبد السلام لحلو نيابة عن الجماعة إلغاء الظهير، فأجهش بالبكاء. وقد أكد أبو بكر القادري واقعة البكاء حيث كتب قائلا: «وحكى لي من أثق به أن جلالة الملك الصالح سيدي محمد بن يوسف تأثر كثيرا من كلمات الفقيه ابن القرشي حتى دمعت عيناه رحمه الله»⁵.

وكتبت جريدة لوكري ماروكان Le Cri Marocain، وهي جريدة يسارية فرنسية كانت تصدر بالدار البيضاء، في وصفها لهذه المقابلة السلطانية: «كان لقاء الوفد المغربي بالسلطان بقاعة العرش بالرباط يكتسي مظهر جلال وروعة، قدم خلاله للسلطان رئيس الوفد الشيخ ابن القرشي عرضا عن نوايا الحماية في موضوع السياسة البربرية التي كان يعرفها حق المعرفة، عندما كان وزير العدل في حكومة والده مولاي يوسف، وذكر للسلطان الشاب أن والده كان يعارض تلك السياسة، وأنه استقال من حكومة

1 - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940م، الجزء 1، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م، ص. 70.

2 - "Trois mois de protestation, 20 juin-20 septembre 1930", Revue Maghreb, N° 11, Mai-Juin 1933, p. 63.

3 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة السابعة، الرباط 2010م، ص. 149.

4 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 1، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1992م، ص. 182.

5 - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية...، الجزء 1، م. س، ص. 71.

المخزن، احتجاجا عليها وتهربا من مسؤوليتها. وتكلم الشيخ الوقور المهيب بما يفتت القلوب ألما، ولم يملك السلطان أن يحبس دموعه تأثرا بحديث الشيخ الذي كان يبدو عليه الانفعال¹.

وقد خلف تقديم عريضة أهل فاس، والاستقبال الذي خصصه السلطان للوفد الفاسي، صدى كبيرا في جميع جهات المغرب، حيث رفعت جماعة الوطنيين بعدوتي الرباط وسلا برقيات ورسائل تأييد للمطالب الفاسية. وفي اليوم الموالي للاستقبال 28 غشت 1930 م صرح رئيس الوفد بأن الصدر الأعظم وعده بتلبية المطالب المقدمة للسلطان، فعمت الفرحة جميع الأنحاء، وأعلن الخبر في المساجد. وفي يوم 29 غشت قابل محمد المقرئ ثلاثة من أعضاء الوفد، وعاتبهم على ما نشره من أخبار حول المطالب، وبعدها مباشرة تلقى الوفد أمرا بالرجوع إلى فاس².

ورغم أن الوفد عاد يوم 30 غشت 1930 م صباحا إلى فاس بنتيجة مخيبة للآمال، بعد أن وعدهم السلطان بالنظر في ملتمسهم فقط، دون الاستجابة الفورية لمطالبهم، وللغاية التي جاءوا من أجلها للرباط³. فإن هذا الاستقبال على الأقل دشن لمرحلة جديدة من العلاقة بين السلطان الشاب والشبيبة الوطنية، التي ستتطور لاحقا لتصبح علاقة تناغم وتوافق تامين.

الصورة الثانية: أحداث 10 ماي 1934 م، أو حين تحول الاحتفال بزيارة السلطان إلى مدينة فاس إلى حركة احتجاج وممانعة.

غير خاف على الجميع أن أهل فاس بجميع أطيافهم كانوا يجدون في الزيارات الملكية سواء على عهد مولاي يوسف أو نجله سيدي محمد، مناسبات سانحة للتعبير عن التعلق بالعرش العلوي، ويجتهدون في إظهار معالم الزينة، حيث تنظم الحفلات والاستقبالات. وتأكيدا على هذا الاحتفاء نورد هنا أيضا صورة للاستقبال الذي حظي بها العاهل المغربي أثناء زيارته لمدينة فاس سنة 1931 م كما جاءت في جريدة السعادة: «... وسيرا على عادة أسلافه، خرج السلطان من قصره على الساعة 8 من صباح يومه. وانضم إليه موكب الوزراء وأعيان المخزن. وتوجه الجميع إلى المدينة الإدريسية، على طريق شارع أبي الجنود، فشارع الطالعة، فقنطرة أبي رؤوس، فرأس التيالين، فالدالين، فشارع النجارين، حيث منه قصد ضريح المولى إدريس. وكان في مقدمة الموكب باشا المدينة محمد بن البغدادي، وخليفته محمد التازي، والمهدي بن شقرون، وقائد المشور. وفي باب الضريح وجد السلطان في استقباله الشرفاء

1 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 1، م. س، ص. 183-184.

2 - "Trois mois de protestation...", Revue Maghreb, op. cit, p. 63.

3 - هويسنن وليام، الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نوغيس 1943-1936 م، تعريب إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 10، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2001-2002 م، ص. 61-62.

الأدارة، ودخل الضريح للتبرك، حيث وضع صلة سنية في صندوق التبرعات. وخرج في موكبه من باب البراطلين، فسوق الشماعين، ومنه دخل القرويين، حيث استقبله أعضاء المجلس العلمي، وفي طليعتهم الرئيس سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري. وبعد زيارة الكلية والخزانة، خرج من باب السبطين وسط العديد من الخلائق على شارع الصفارين، فالمشاطين إلى أن وصل إلى ضريح مولاي أحمد الصقلي، حيث وضع الصلة بصندوقه. وبعده زار ضريح سيدي علي الجمال، وبعده ضريح سيدي أحمد التجاني. وبعد مغادرته مر على ضريح سيدي أحمد بن يحيى بزقاق الرمان، ومنه إلى ضريح سيدي أحمد الشاوي. ومن هناك مر على طريق السياج، فالدوح، قاصدا ضريح الشيخ أبي بكر ابن العربي خارج باب الشريعة، ثم قصد ضريح جده مولاي عبد الله، حيث يوجد ضريح والده مولاي يوسف، وبه ختمت الزيارة الملكية، وعاد إلى قصره¹.

وخلال كل الزيارات التي سبقت سنة 1934م، كانت الأمور تمر على أحسن ما يرام، وكما تريد السلطات المحلية الاستعمارية والمخزنية، غير أن الزيارة الملكية لفاس في الأسبوع الثاني من شهر ماي 1934م خرجت عن المؤلف. فإذا كان برنامج اليوم الأول لوصول السلطان إلى العاصمة قد مر في ظروف جيدة، رغم تسجيل صور من الفوضى أثناء استقبال العاهل المغربي يوم الثلاثاء 8 ماي 1934م بساحة باب الماكينة التي كانت مسرحا لحفل رائع قدرت بعض الصحف المشاركين فيه بحوالي 50 ألف شخص²، وفي باب القصر، حيث وقع اندفاع كبير للجماهير، رددت خلاله الساكنة المستقبلة هتافات جديدة، تنادي بحياة السلطان والمغرب والأمير مولاي الحسن، عوض الهتافات التقليدية التي كانت في مثل هذه المناسبات من مثل: الله يبارك في عمر سيدنا، الله ينصر سيدنا³.

وفي اليوم المخصص للزيارة التقليدية لأضرحة الأولياء والصلحاء ومسجد القرويين، ازدانت المدينة القديمة بكل مظاهر الفرح، وهبت ساكنة مدينة فاس بشكل عفوي لاستقبال عاهلها⁴. وبما أن السلطان، يكتفي عند دخوله إلى المدينة، كما جرت العادة على ذلك، بمرافقة بعض الوزراء والكتاب والحجاب، في استغناء تام عن الجند والحرس وكل المظاهر العسكرية والأمنية المرتبطة بالزيارة، فقد انتهزت الجماهير هذا الأمر، واقتحمت الموكب الملكي، ونظمت مظاهرات عظيمة كلها هتافات بحياته واعتزاز بالوطن⁵، من قبيل ((عاش السلطان)) ((عاش سيدي محمد)) ((عاش المغرب)) ((عاش الإسلام)).

1 - قصارة محمد، "زيارة الجلالة الشريفة لأضرحة فاس"، جريدة السعادة، العدد 3697، 16 يونيو 1931م، ص. 1.

2 - "L'entrée de S.M. Sidi Mohamed dans sa capitale", Le Courrier du Maroc, N° 1916, 9 Mai 1934, p1

3 - OUAZZANI Mohamed Hassan, Combat d'un nationaliste, Tome I, Fondation Mohamed Hassan Ouazzani, Imprimerie Nemr Habib, Beyrouth, p. 286

4 - OUAZZANI Mohamed Hassan, Combat d'un nationaliste, Tome I, op. cit, p. 287.

5 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية... م. س، ص. 164.

وقد أدى تدافع المواطنين إلى عزل الملك عن الموكب المرافق له، ومزاحمة باشا المدينة الذي سقط عن دابته، وتعرض لكدمات، ليتم بعدها رفع السلطان على الأكتاف من طرف بعض المتحمسين، قدرت عددهم جريدة لو كوريي دي ماروك Le Courrier du Maroc بثلاثمائة أو أربعة مائة شخص، مؤكدة بأن هؤلاء كانوا يهددون ويعنفون التجار وأصحاب الدكاكين الذين كانوا يرفعون أعلاما فرنسية إلى جانب الأعلام المغربية¹. وموازة مع هذا الانفلات، قام أحد المغاربة بنزع علم فرنسي من دكان في ملك يهودي مغربي ورماه أرضا وداس عليه². وفي نهاية الزيارة، وفي طريق عودتهم من مرافقة السلطان، توقف حشد من المتظاهرين أمام منزل الجنرال حاكم الناحية، وهتفوا بكلمات جارحة في حق فرنسا³.

وبذلك تحولت الزيارة الملكية بفعل الحماس الذي أبداه أهل فاس إلى حركة احتجاجية ومظاهرة للتنديد بالسياسة الاستعمارية، تحطمت فيها كل البروتوكولات بين السلطان والشعب، ووصلت رسالتها بسرعة إلى سلطات الحماية التي ستعمل جاهدة منذ هذا التاريخ لضرب هذا الالتحام بين العرش والشعب⁴. وعقب ذلك، وصل على عجل المفوض العام بالإقامة العامة إلى فاس مساء يوم 10 ماي 1934 م، واجتمع بالسلطان في مقابلة دامت نحو ساعة ونصف، كما قابل سلطات المدينة، وتم اتخاذ قرار بتوقيف كل الأنشطة المبرمجة في الزيارة السلطانية، والاتفاق على تبليغ السلطان استياء الإدارة من أحداث فاس، وطلب اعتقال زعماء الشباب الوطني⁵. وبعد مشاورات عدة، عاد السلطان إلى العاصمة الرباط في اليوم الموالي 11 ماي 1934 م، واتخذت الإجراءات اللازمة لكتمان موضوع المغادرة تفاديا لاندلاع أحداث جديدة⁶.

ودون الدخول في النقاش الذي أثير عقب هذه الأحداث المتعلق بقرار عودة السلطان إلى الرباط، وهل كان قرارا لإدارة الحماية أم رغبة من سيدي محمد بن يوسف للتعبير عن استيائه من تدخل إدارة الحماية في برنامج زيارته، واحتجاجا على تصرف الحماية⁷، أصدرت سلطات الحماية بلاغا مساء يوم

1 - "Le Sultan est parti hier matin", Le Courrier du Maroc, N° 1919, 12 Mai 1934, p 4.

2 - JALABERT Louis, "Le nationalisme Marocain", Revue Etudes, Tome 220, Juillet-Aout -Septembre 1934, Imprimerie J. Dumoulin, Paris, 1934, p 435.

3 - YAKHLEF Mohamed, La municipalité de FEZ à l'époque du protectorat (1912-1956), thèse de doctorat d'état en histoire contemporaine du Maroc, Tome 3, 1990, p 776.

4 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 1، م. س، ص. 271.

5 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية... م. س، ص. 164.

6 - Le Délégué à la Résidence Générale à M. le Ministre des Affaires Etrangères, lettre du 21 mai 1934, au sujet des événements du 10 mai à Fès et de leurs conséquences (5 p), 258-Benazet, vol. n° 1, n° cl. 190-198, AP-PA., A.A.E.

نقلا عن عبد الحميد احساين، «الإدارة الاستعمارية الفرنسية وطموحات الحركة الوطنية بالمغرب»، مجلة التاريخ العربي، العدد 49.

7 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية... م. س، ص. 165.

الخميس 10 ماي 1934 م باسم الصدر الأعظم من فقرتين¹، ذكرت فيه بأن السلطان استاء من تصرف الشباب الوطني وأنه عاد إلى العاصمة الرباط استنكارا لما صدر عن الشباب. غير أن ما حدث فيما بعد يفند هذا الادعاء، ذلك أن السلطان قرر بعد عودته إلى العاصمة استقبال أفراد من الشبيبة الوطنية الفاسية بالقصر الملكي بالرباط، ردا على الاتهامات التي وجهت لهم من طرف سلطات الحماية. وفي هذا الصدد ذكر محمد بن الحسن الوزاني، أن هذه المبادرة تمت بعدما نجح السلطان في إقناع إدارة الحماية بجدوى مقابله للشباب الوطني حتى لا تتحول الأمور إلى ما لا يحمد عقباه².

وتنفيذا للرغبة الملكية، استقبل الباشا محمد التازي يوم الأحد 13 ماي 1934 م علال الفاسي، ومحمد بن الحسن الوزاني بمكتبه بواد الفجالين. وأخبرهما بالدعوة الموجهة هما للحضور إلى القصر الملكي بالرباط، وصرح بأن بإمكانهما دعوة رفاق آخرين لمصاحبتهم. وفي اليوم الموالي الاثنين 14 ماي 1934 م، توجه وفد فاسي إلى العاصمة، ضم إضافة إلى علال والوزاني، عمر بن عبد الجليل، وعبد العزيز بن إدريس، والمكي الناصري³.

وقبل المقابلة الملكية، عقد اجتماع بالقصر الملكي، ترأسه الصدر الأعظم محمد المقرري، وحضره بعض رجال المخزن، افتتحه محمد المعمرى مدير التشريفات بكلمة عبر فيها عن الأثر الطيب الذي خلفته الزيارة الملكية لفاس، مؤكدا أن عاهل البلاد لم يغادر المدينة استنكارا لما وقع كما تم الترويج له، وإنما رافة على رعاياه من أن تمتد إليهم أيدي البطش الاستعمارية⁴، مشيرا إلى أن العاهل ينزههم عن كل الأفعال الصبيانية والاتهامات التي لفقت لهم من جهات لم ترض على ما صاحب الزيارة من مظاهر الولاء⁵. وفي معرض كلمته أيضا نقل المعمرى لأعضاء الوفد ارتياح السلطان للبرقية التي وجهوها إليه، وتفكيره لاستئناف الزيارة في أقرب الأوقات، وكلفهم بإبلاغ رضى وعطف صاحب الجلالة لأهل فاس وشكره لهم على حسن استقباله⁶.

وعقب ذلك، تناول الكلمة بعض أعضاء الوفد، حيث شكروا السلطان على زيارته لفاس، وبسطوا حقيقة الأحداث، وأكدوا أن الحركة الوطنية لا يمكن أن تكون إلا في تناغم تام مع السلطان، كما أنها لن تكون ضد الدولة الحامية بلدا وشعبا، بل ضد السياسة التي تنهجها بالمغرب⁷.

1 - Jalabert Louis, "Le nationalisme Marocain", Revue Etudes, op. cit, p. 436.

2 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، 4 حركة المطالب والدعوة إليها 1934-1936 م، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985 م، ص. 30-31.

3 - OUAZZANI Mohamed Hassan, Combat d'un nationaliste, Tome 1, op. cit, p. 296.

4 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية... م. س، ص. 165.

5 - "جهاد المغرب ورضاء السلطان عن سلوك الكتلة الوطنية"، مجلة الفتح، العدد 398، السنة 8، 25 صفر 1353 هـ، ص. 17.

6 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد... الجزء 4، م. س، ص. 32-33...

7 - نفسه، ص. 32-33.

الصورة الثالثة: استقبال وفد المطالب

بعد إعداد دفتر مطالب الشعب المغربي، شكلت الحركة الوطنية ثلاثة وفود، كلفت بتقديم هذا العمل الوطني غير المسبوق إلى الجهات الرسمية المسؤولة، من ضمنها وفد كلف بتسليم المطالب الوطنية لجلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف، وضم في عضويته كل من: محمد غازي، وأحمد الشرقاوي، وعبد العزيز بن إدريس، وأبي بكر القادري، وكلف بتقديم المطالب إلى السلطان بالقصر الملكي بالدار البيضاء. وحتى إذا كانت جميع الوثائق تؤكد بأن المطالب لم تقدم في لقاء مباشر مع السلطان، ولكنها قدمت للصدر الأعظم محمد المقرئ، الذي تكلف برفعها إلى سيدي محمد بن يوسف¹، وذلك يوم السبت فاتح دجنبر 1934 م على الساعة الرابعة عشية²، وهو التاريخ الذي تؤكد رسالة وجهها علال الفاسي إلى محمد داود مؤرخة في 2 دجنبر 1934 م يقول فيها: (١) فأمسه³ على الساعة الرابعة، كان الإخوان محمد غازي، وأحمد الشرقاوي، وعبد العزيز بن إدريس، وأبو بكر القادري يقابلون الصدر الأعظم بدار المخزن بالدار البيضاء، وكان الإخوان محمد اليزيدي، ومحمد الديوري، ومحمد علال الفاسي يقومون بذلك مع السكرتير الخاص للإقامة العامة...⁴. وتنفيذا للخطة التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر 25 أكتوبر 1936 م، قدمت المطالب المستعجلة لسنة 1936 م أيضا إلى العاهل المغربي، باعتبارها مقررات المؤتمر الأول لكثلة العمل الوطني. ونحن وإن كنا نسرد هذه الأحداث، فإن الغاية هي توضيح أن الحركة الوطنية والعاهل المغربي كانا على الدوام في تناغم وتفاهم وتنسيق لما فيه خير القضية الوطنية.

وقبل ذلك، يمكن أيضا الوقوف على صورة أخرى للتلاحم الوطني قمة وقاعدة، وذلك عندما صدر في شهر فبراير من سنة 1934 م، قرار فرنسي نص على إلحاق المغرب بوزارة فرنسا ما وراء البحار⁵، بعدما كان تابعا لوزارة الشؤون الخارجية باعتباره بلدا محميا، وهو الأمر الذي يعني قانونيا بأن المغرب أصبح دولة مستعمرة تشكل جزءا من الإمبراطورية الفرنسية وليس دولة محمية⁶.

وقد أثار هذا الموضوع حفيظة العاهل المغربي الشاب، فاحتج بشدة لدى سلطات باريس⁷، حيث

1 - حسناء داود، الرسائل المتبادلة بين علال الفاسي ومحمد داود (1347 هـ / 1928 م - 1356 هـ / 1937 م)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000 م، ص. 87.

2 - محمد غازي، «مطالب الشعب المغربي»، جريدة الأطلس، العدد 21، السنة 1، 15 يونيو 1937 م، ص. 2. أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية... الجزء 1، م. س، ص. 296.

3 - يقصد فاتح دجنبر 1934 م.

4 - حسناء داود، الرسائل المتبادلة... م. س، ص. 87.

5 - ألحق المغرب بوزارة ما وراء البحار التي حلت محل وزارة المستعمرات، التي أسندت رئاستها إلى هنري دي جونفيل Henry de Jouvenel في 30 يناير 1934 م، وأصبحت اختصاصاتها تؤهلها ليس فقط للنظر في شؤون المستعمرات، بل للإشراف أيضا على البلدان الخاضعة الانتداب أو للحماية مثل المغرب.

6 - محمد ظريف، الأحزاب السياسية المغربية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988 م، ص. 20.

7 - Robert Rezette, Les partis politiques Marocains, A. Colin, Paris, 1955, p. 81.

ذكر علال الفاسي أن السلطان أخبره عند استقباله له بعد عودته من منفاه الاضطرابي في بداية سنة 1934م بأنه «بعث احتجاجا إزاء الخارجية الفرنسية على هذه الوزارة»¹. وتوضيحا لهذا الأمر، نشير إلى أن السلطان سيدي محمد بن يوسف كلف الوزير المفوض قدور بن غبريط بتبليغ احتجاج المغرب إلى وزارة الخارجية الفرنسية. وفي يوم الجمعة 3 فبراير 1934م قابل المبعوث المغربي نائب مدير إفريقيا والشرق بوزارة الخارجية الفرنسية، وأجرى معه مباحثات حول هذا القرار المفاجئ وغير المحسوب العواقب. وقد طمأن المسؤول الفرنسي موفد السلطان بأن القرار يندرج في إطار إصلاح إداري محض، وأن النظام القائم في المغرب لن يطرأ عليه أي تغيير².

وتعصيда للاحتجاج السلطاني، رفعت الحركة الوطنية المغربية برقيات احتجاج إلى رئيس مجلس الوزراء، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية، ورئيس البرلمان، أهمها برقية الهيئة العاملة بمدينة فاس التي وقعتا ثلثة من رجال الحركة الوطنية، ضمنهم محمد بن الحسن الوزاني، وعمر بن عبد الجليل، وعلال الفاسي، وعبد القادر التازي، وعبد القادر بن عمر برادة، ومحمد الخلطي، وعبد الهادي الشرايبي، وأحمد مكوار، وغيرهم من الوطنيين والأعيان³. كما تفاعل وطينو المنطقة الخليفية مع الموقف الذي اتخذته الحركة الوطنية في منطقة النفوذ الفرنسي، ورفعوا برقيات تنديدا بهذا التحول المفاجئ في السياسة الاستعمارية⁴.

وبذلك فقد شكل قرار الإلحاق، محطة إجماع وطني جديدة، شاركت فيها كل الفعاليات من أعلى الهرم إلى النخبة الوطنية، والقاعدة الشعبية، لأن إدماج المغرب ضمن وزارة المستعمرات لم يكن فقط خرقا لمعاهدة 1912م وإنما شكل مسا بالسيادة المغربية⁵، وقد أسفر هذا الالتفاف والإجماع الوطني، على تراجع السلطات الفرنسية عن هذه الخطوة، وأعيد إلحاق المغرب مجددا بوزارة الشؤون الخارجية⁶.

الصورة الأخيرة سنتطرق فيها إلى التلاحم الذي أفضى إلى المطالبة بالاستقلال بدل المطالبة بالإصلاحات. فغير خفي عن الجميع أن ظروفًا محلية وأخرى دولية لا داعي للتفصيل فيها، ساهمت

1 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية... م. س، ص. 162.

2 - PERTINAX، "Le Sultan du Maroc a protesté vendredi contre le rattachement de l'Empire chérifien au ministère des colonies"، L'écho de Paris، N° 19833، 4 Février 1934، p. 3.

3 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، 3 مرحلة الانطلاق والكفاح 1930-1934م، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1984م، ص. 442.

4 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 1، م. س، ص. 366.

5 - سيلمان جورج، المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912-1956م، ترجمة محمد المؤيد، منشورات مجلة أمل التاريخ الثقافة المجتمع، مطابع الرباط، الطبعة الأولى، 2014م، الرباط، ص. 71.

6 - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية - العلاقات الخارجية للحركة الوطنية، منشورات عكاظ، الرباط، 2012م، ص. 153.

بكثير في تشجيع الحركة الوطنية على الجهر بطلب الاستقلال، غير أن الدعم الذي وجده الوطنيون في العاهل المغربي كان أكبر حافز على الإقدام على هذه المبادرة التاريخية. ويجمع أغلب الفاعلين في الحقل الوطني وصانعو حدث عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944م على أن التحضير للعريضة تم في سرية تامة، وبتنسيق مع السلطان سيدي محمد بن يوسف. وفي هذا الصدد، نورد شهادة لمحمد الفاسي قال فيها: «... استمرت اتصالاتي بصاحب الجلالة، وتتابع في السر والعلانية بالمدرسة المولوية، وفي القصر ليلاً، بواسطة خادمه السيد ابن مسعود دائماً. وقد دخلت إلى القصر مرة، وأنا بلباس النساء، بلثام وثديين مصطنعين، ومرة دخلت وأنا مغطى بسلة خضر، وأقضي وقتاً طويلاً مع الزعيم الأكبر محمد الخامس في مستودع السيارات، وأطلعته على مجريات الأحوال، وأخذ منه تعليماته حول أعمالنا... وقبل تقديم العريضة، أمرني تغمده الله برحمته، أن أحضر الإخوان الذين يلتقون به سرا، في ليلة حددها، وذلك كحدث تاريخي عظيم، ألا وهو أن يأخذ منا قسماً، ويقسم لنا هو بدوره، فحضرت مشروع قسم وافق عليه. وبعد ذلك، أطلعت الإخوان على هذا الأمر المولوي النابع من روحه الوطنية المؤمنة، ثم أخبرته في لقاء تال أنه سيحضر معنا المجاهد أحمد مكواري حفظه الله، زيادة على الإخوان محمد غازي، والحاج عمر بن عبد الجليل رحمهما الله، ومحمد اليزيدي حفظه الله، فجاؤوا إلى منزلي على العادة. وحضر السيد أحمد بن مسعود، وأخذنا إلى القصر العامر، وأوصلنا داخل القصر، في محل بني فيه خندق تحت الأرض، للوقاية من الغارات الجوية المتوقعة من قبل النازيين. وأنزلنا إليه، فوجدنا به جلالة الملك، الزعيم القوي الإيمان بربه، وقدم لنا نسخة من المصحف الكريم، فأقسمنا بأن نخلص لله وللوطن وللملك، وأن نحافظ على السر، وألا نقدم على عمل، إلا بعد مشاورته وموافقته، وأقسم أجزل الله جزاءه عن هذه الروح الشريفة، التي لم يتحل بها ملك قبله... وفي ختام الجلسة، قدم للأخ السيد أحمد مكواري غلافاً، وجدنا فيه بعد ذلك خمسين ومائتي ألف فرنك...»¹.

وقد زكى بعض المؤرخين والباحثين من بينهم جون واتربوري WATERBURY John دور السلطان في التهييء لتقديم عريضة للمطالبة بالاستقلال، وأكد أن العاهل المغربي قال للجماعة الوطنية التي كان تتصل به ما يلي: «... أنه لم تعد هناك فائدة للمطالبة بإصلاحات في إطار الحماية، وأن الاستقلال يشكل الحل الوحيد. وكان يعتقد في الوقت نفسه أنه لا يستطيع مساندة هذا المطلب علانية، لأن ذلك

1 - محمد الفاسي، "ذكريات عن محمد الخامس"، ضمن الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الراحل، جمعية رباط الفتحة للتنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988م، ص. 147-149.

سيؤدي به إلى العزل، وستخسر الحركة الوطنية رمزا وسندا، كما تعهد أنه سيعمل كل ما في استطاعته لمنع سلطات الحماية من متابعة الوطنيين بالوسائل غير المشروعة.¹

وبعد الفراغ من كافة الإجراءات المتعلقة بالعريضة، تم الاتفاق على تقديم العريضة بشكل رسمي صباح يوم 11 يناير 1944 م. وشكلت أربعة وفود للقيام بهذه المهمة²، وقد ضم الوفد الذي كلف بتقديم الوثيقة لجلالة السلطان بالقصر الملكي بالرباط: أحمد بلافريج، ومحمد اليزيدي، وعبد العزيز ابن إدريس، والهاشمي الفيلاي، وعبد الله إبراهيم، وإدريس المحمدي، وعبد الكريم بنجلون، وأحمد الحمياني، وعبد الحميد الزموري.

وتتفق أغلب الدراسات على أن السلطان محمد بن يوسف كان على موعد مع المستشار المخزني أثناء وصول الوفد الوطني، فاستقبل هذا الأخير قبل المسؤول الفرنسي. وقد شكل هذا الحادث مادة إعلامية تناولتها الصحافة الفرنسية، وعلقت عليها بشكل مثير³. وأثناء تقديم العريضة للسلطان، ألقى أحمد بلافريج كلمة موجزة، أجاب عنها السلطان بما يلي: «إن هذا اليوم سيبقى يوما تاريخيا في بلادنا، ممجدا لدى شعبنا، وأعتبر نفسي سعيدا كعاهل للبلاد، لأقدر تمام التقدير، المهمة الشريفة التي تسعون إليها، والتي أنا مطوق بالحفاظ عليها، والسعي الحثيث لتحقيقها، ودراسة الوثيقة التي أتيتم لتقديموها لي كملك للبلاد»⁴.

وبعد يومين فقط استقبل السلطان صباح يوم 13 يناير 1944 م بالقصر الملكي بالرباط وفدا عن الحركة القومية جاء بدوره لتقديم عريضة مماثلة لعريضة 11 يناير. وقد تشكل الوفد من عبد الهادي الشرايبي، وحامد العراقي، ومحمد بن الغالي الكتاني، وإدريس بن محمد الوزاني، وأحمد الوزاني⁵. وأثناء عملية التقديم، ألقى رئيس الوفد عبد الهادي الشرايبي كلمة، مما جاء فيها: «إن مطلب الاستقلال مطلب إجماعي تلتقي على المطالبة به القوات الوطنية المخلصة لوطنها وعرشها. وقد كان دائما الغاية من كفاح الحركة الوطنية منذ نشأتها، سواء في عهد كتلة العمل الوطني، أو بعد أن تفرقت بين الحركة

1 - واتربري جون، أمير المؤمنين: الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار أبي رقراق، الطبعة الثالثة، 2013، ص. 91.

2 - اقتصر أبو بكر القادري على ذكر ثلاث وفود فقط: القادري أبو بكر، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1941 إلى 1945 م، الجزء 2، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997 م، ص. 181.

3 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 2، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992 م، ص. 111.

4 - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية...، الجزء 2، م. س، ص. 184.

5 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، الجزء 6، ظهور الأحزاب والمطالبة بالاستقلال 1937. 1946 م - 2، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، ص. 119.

القومية والحزب الوطني. وإنه يسعد الحركة القومية أن تقدم إليكم عريضتها التي تحمل إمضاءات قيادتها. وهي سعيدة بأن تقف وراء جلالكم، وتلتمس منكم تبليغ المقيم العام موقفها بما لا يقبل أي تأويل¹». وقد رد السلطان على هذه الكلمة، قائلا: «إني مبتهج أشد ما يكون الابتهاج بعريضتكم، فهي تعادل في قيمتها وثيقة إخوانكم في حزب الاستقلال...»، وطلب من الوفد تقديم نسخ من عريضتهم للإقامة العامة والتمثيلات الدبلوماسية الأجنبية، وهو ما تم بالفعل¹.

الصورتان معا توضحان بجلاء رعاية ودعم السلطان لمطلب الاستقلال، وهو الأمر الذي نستشفه أيضا من خلال الأحداث التي أعقبت هذا التحول. لقد أحدثت وثيقة 11 يناير 1944 م بالفعل رجعة كبرى في المغرب خاصة داخل أروقة إدارة الإقامة العامة الفرنسية بالرباط. ففي يوم 13 يناير 1944 م، عقد السلطان سيدي محمد بن يوسف اجتماعا كبيرا حضره إلى جانب الوزراء، باشوات كبريات المدن، وبعض الأعيان²، من ضمنهم الصدر الأعظم محمد المقرئ، ووزير العدل محمد بن العربي العلوي، وباشا مراكش التهامي الكلاوي، ونقيب الشرفاء العلويين عبد الرحمن بن زيدان، وباشا سلا محمد الصبيحي، وأحمد برغاش مندوب الصدر الأعظم في التعليم. وقد تضمن جدول أعمال هذا اللقاء نقطة فريدة تتعلق بموضوع مطلب الاستقلال. وقد مر الاجتماع في ظروف جيدة، حيث افتتح السلطان اللقاء بكلمة تطرق فيها إلى موضوع الوثيقة، وأخبر الحاضرين بموافقته على ما جاء فيها، طالبا منهم إبداء رأيهم في شأنها، لكي يتحمل كل واحد مسؤوليته. وثمن الحاضرون خطوة تقديم العريضة، حيث تناول الكلمة محمد بن العربي العلوي، وخاطب السلطان بما مفاده: «أشكر الله يا صاحب الجلالة أن أمد في عمري، لكي أشارك في هذه المناقشة التاريخية، إنكم تجسدون الاستمرارية التاريخية لهذه الأمة الإسلامية العظيمة، وتجسدون سيادتها وتطلعاتها الأكثر نبلا، وقد اختاركم الله للقيام بهذه الرسالة: رسالة الكرامة، والحق، والعدل، كل الأمة معكم، فقل لنا ما ينبغي علينا أن نفعله ونحن نعتبر أنفسنا منذ اليوم، تحت قيادتكم في طليعة المعركة المجيدة التي تقومون بها، والله سيساعدكم، لأن قضيتنا وهي قضيتكم يا صاحب الجلالة، عادلة»³.

كما تدخل الصدر الأعظم محمد المقرئ، الذي اشتهر بتأييده لإدارة الحماية، حيث قال: «لقد كنا فيما مضى نجاهل فرنسا، أما الآن فقد أصبحت الحركة في وجهة مطلب الاستقلال واجبة ولا محيص عنها»، ومن جانبه أيد الباشا التهامي الكلاوي مبادرة تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال بحذر كبير،

1 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 2، م. س، ص. 113.

2 - LE TOURNEAU Roger, Histoire du Maroc moderne, Publications de l'université de Provence, 1992, pp. 220-221.

3 - جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد 2350، 11 يناير 1990 م، نقلا عن: أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية...، الجزء 2، م. س، ص. 194.

وقال: «إني وراء سيدنا في كل ما يأتي وما يذر»¹. وقد اعتبر محمد بن الحسن الوزاني موقف الكلاوي هذا موقفا شريفا، مضيفا أنه قال للسلطان «مرنا بما تشاء، فنحن عبيدك...»².

وخلص الاجتماع إلى تعيين لجنة وزارية من ثلاثة أعضاء³ ضمت: محمد بن العربي العلوي وزير العدل، وأحمد بركاش وزير التعليم، ومحمد المعمري مدير التشريفات، أنيطت بها مهمة التفاوض مع أعضاء حزب الاستقلال وهم: أحمد بلافريج، وعمر بن عبد الجليل، ومحمد اليزيدي، وأحمد الحمياني، وأحمد مكوار⁴، في شأن العريضة، وإمكانية التوفيق بين وجهة نظر إدارة الحماية التي كانت متشبثة بإدخال إصلاحات، ومسعى الحزب المتشبث بفكرة الاستقلال⁵.

وفي اليوم الموالي 14 يناير 1944 م قابل السلطان المقيم العام كابريل پيو Puaux Gabriel وتباحث الطرفان في موضوع العريضة وتداعياتها على العلاقات المغربية الفرنسية. وفي يوم 18 يناير استقبل السلطان ثانية المقيم العام الذي أخبره بأن الحكومة الفرنسية المؤقتة متمسكة بمعاهدة 30 مارس 1912 م، ولا تقبل بتاتا أن تكون موضوع نقاش من طرف واحد⁶.

توقفت الاجتماعات التي كان من المقرر أن تناقش موضوع عريضة المطالبة بالاستقلال نتيجة تصلب إدارة الحماية. وإثر ذلك، رفع الحزب مذكرة إلى السلطان مؤرخة 18 يناير 1944 م⁷. كما رفع الحزب يوم 19 يناير بيان حقيقة، لطمأنة السلطات الاستعمارية⁸.

وعقد المقيم العام، موازاة مع صدور بيان حزب الاستقلال في 19 يناير 1944 م لقاء مع السلطان لدراسة تداعيات تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال، وصدر بلاغ في الموضوع نشرته جريدة السعادة بنصه التالي: «وقع يوم الأربعاء تاسع عشر يناير بالقصر العامر اجتماع آخر، بين جلالة السلطان وسعادة المقيم العام للدولة الفرنسية بالمغرب، وتذكرا مذاكرة طويلة في جو الثقة المتبادلة. فحقق سعادة المقيم العام لجلالة السلطان نوايا حكومة الدولة الفرنسية فيما يرجع للإصلاح اللازم، والذي تستدعيه حالة

1 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 2، م. س، ص. 119.

2 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، الجزء 6، ظهور الأحزاب، والمطالبة بالاستقلال 1937-1946 م-2، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، ص. 97.

3 - LE TOURNEAU Roger, Histoire du Maroc moderne, op. cit, p. 221.

4 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء، الجزء 1، مطبعة الرسالة، الرباط، 1987 م، ص. 237.

5 - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية... الجزء 2، م. س، ص. 195.

6 - LE TOURNEAU Roger, Histoire du Maroc moderne, op. cit, p. 221.

- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية... م. س، ص. 254.

7 - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية... الجزء 2، م. س، ص. 196-198.

8 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد... الجزء 6، م. س، ص. 105-106.

المغرب الوقتية، ويكون القصد منه رفع مستوى أحوال سكان البادية والطبقات العاملة من الأمة المغربية، وكذلك إنجاز كل التدابير التي يستوجبها في الوقت الحاضر رقي البلاد، وبالخصوص في المعارف، والمحاكم المخزنية. كما صرح جلالة السلطان لممثل الدولة الفرنسية بموافقته التامة لأعداء حكومة الدولة، وبقوي إرادته المولوية في السعي وراء رفاهية رعاياه وسعادتهم، سعياً يتجلى في جو الوداد مع فرنسا، والمحافظة على عقد الحماية. وقد صرح جلالة السلطان تصريحاً رسمياً لأعضاء مخزنه الشريف بنيته فيما يرجع لهذا السبيل¹.

وشرعت إدارة الحماية في تنفيذ خطتها لإجهاض هذه الخطوة الجديدة، حيث صدرت الأوامر والتعليمات لتفادي استعمال كلمة استقلال. وأقدمت في وقت لاحق على عزل عدد من الموظفين المشاركين، والمتعاطفين مع حركة المطالبة بالاستقلال في مختلف الجهات المغربية، حيث أقيل محمد ابن العربي العلوي وزير العدل، وعين محمد الحجوي رئيس محكمة الاستئناف الشرعية خلفاً له، كما عين الفاطمي بنسليمان مندوباً للمعارف، خلفاً لأحمد بركاش الذي أقيل أيضاً². كما وجهت الأوامر لأقطاب حزب الاستقلال وجميع الشخصيات، الذين جاءوا إلى الرباط لدعم الوطنيين في مطلبهم الجديد، بالرجوع إلى أماكن إقامتهم. وكانت العديد من الوفود الوطنية من مختلف الطبقات قد انتقلت إلى العاصمة، تأييداً لمطلب الاستقلال، ومنها وفد علماء القرويين، الذي ترأسه محمد الفاسي وضم في عضويته: الحسن مزور، والعربي الحريشي، ومحمد بن عبد الرحمن العراقي، وعبد الكريم الداودي، ومولاي أحمد الشبيهي، وأحمد بنشقرون³، حيث حظي باستقبال من طرف السلطان وخاطب أعضاؤه قائلاً: «... يسرني أن أرى رجال التعليم بالقرويين يعيشون أحداث البلاد، ويدلون فيها بآرائهم وفتاويهم. ونحن عشنا في بلادنا أحراراً، والتاريخ لا بد أن يعيد نفسه، والعرش العلوي، الذي قاد الأمة في الماضي إلى ما فيه خيرها وصلاحتها، لا بد أن يقودها في المستقبل إلى ما فيه خيرها وفلاحها»⁴.

دعم السلطان سيدي محمد بن يوسف للعريضة، يتجلى أيضاً من خلال اللقاءات والمباحثات التي أجراها مع المفوض في الشؤون الخارجية للحكومة المؤقتة الفرنسية التي كانت مستقرة بالجزائر روني ماسيغلي René MASSIGLI الذي حل بالرباط يوم 27 يناير 1944 م. ورغم تأكيد المبعوث الفرنسي للعاهل المغربي بأن فرنسا "لا تقبل أن تغير علاقاتها مع المغرب. وأن كل تفاوض أو حوار، يجب أن يكون في نطاق الحماية" فإن السلطان ظل متشبثاً بدعم رجال الحركة الوطنية، والتأكيد على عدم متابعتهم.

1 - "بلاغ رسمي"، جريدة السعادة، العدد 6030، 22 يناير 1944 م، ص. 1.

2 - "حركة مهمة في دوائر المخزن الشريف"، جريدة السعادة، العدد 6043، 7 فبراير 1944 م، ص. 1.

3 - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية... الجزء 2، م. س، ص. 482.

4 - أحمد بنشقرون، «ذكرى 11 يناير 1944 م»، مجلة دعوة الحق، العدد 1، لسنة 20، يناير 1979 م، مطبعة فضالة، المحمدية. ص. 72.

تلكم كانت بعض الصور من المواقف الشجاعة لجلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف في سبيل القضية الوطنية، وهي المواقف التي فاجأت السلطات الاستعمارية التي كانت تراهن عليه باعتبار صغر سنه على السير في خطاها ومباركة سياستها لتثبيت وتوطيد سيطرتها على البلاد، وهي المواقف التي ستأكد أيضا في الخطاب التاريخي الذي ألقاه رحمه الله بمدينة طنجة في 9 أبريل 1947م والنزاع الذي شهدته بداية الخمسينيات، والذي أفضى في الأخير إلى نفي جلالته وأسرتة الكريمة خارج أرض الوطن في 20 غشت 1953م، ليعلمها المغاربة ثورة مفتوحة على الاستعمار، واللجوء مرة أخرى إلى الخيار المسلح في مواجهة غطرسة الاستعمار عن طريق الحركة الفدائية وجيش التحرير، اللذين أجبرا السلطات الاستعمارية على فتح مفاوضات مع السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف، ورجال الحركة الوطنية، أفضت في الأخير إلى عودة الأسرة الملكية إلى أرض الوطن في 16 نونبر 1955م والإعلان عن انتهاء عهد الحجر والحماية، وبزوغ فجر الحرية والاستقلال.

ثورة الملك والشعب وصداها في الصحافة الدولية: نماذج وقضايا

● د. منير روكي - برشيد.

تشكل ذكرى ثورة الملك والشعب، التي يخلد المغاربة قاطبة ذكرها التاسعة والستين، حدثا بارزا سيظل راسخا في الذاكرة التاريخية للمملكة باعتبارها الشرارة التي ولدت شُعلة المقاومة الوطنية، وسرعت رحيل المستعمر، فقد كانت هذه الثورة محطة تاريخية بارزة وحاسمة في مسيرة النضال الوطني الذي خاضه المغاربة عبر عقود وأجيال، لدحر التحرشات، والاعتداءات الاستعمارية، فقدموا نماذج رائعة وفريدة في تاريخ تحرير الشعوب من براثن الاستعمار، وأعطوا المثال على قوة الترابط بين مكونات الشعب المغربي، بين القمة والقاعدة، واسترخاصهم لكل غال ونفيس دفاعا عن مقدساتهم الدينية، وثوابتهم الوطنية، وهويتهم المغربية. ومن ثم، فإن ملحمة ثورة الملك والشعب لها في قلب كل مغربي مكانة كبيرة، ومنزلة رفيعة، لما ترمز إليه من قيم حب الوطن، والاعتزاز بالانتماء الوطني، والتضحية والالتزام والوفاء بالعهد، وانتصار إرادة العرش والشعب.

نحاول في هذا المقال استقراء ردود الفعل التي أثارها حدث نفي السلطان الشرعي للبلاد سيدي محمد بن يوسف عشية 20 غشت 1953م في الصحف والمجلات الدولية، وذلك بغرض استجلاء الأثر الكبير الذي خلفه هذا الحدث الشنيع على المستوى العالمي، بالنظر لفداحة المؤامرة من جهة، وللمكانة المتميزة التي كان يحتلها المغرب ملكا وشعبا لدى الدول الصديقة والقريبة من جهة ثانية.

لقد كانت إسبانيا من بين الدول التي أعلنت رفضها قيام فرنسا بنفي السلطان الشرعي للبلاد، حيث حرصت الصحف الإسبانية على التنديد بهذه المؤامرة، فقد ركزت يومية La Vanguardia الصادرة يوم 23 غشت على الأحداث السياسية الهامة التي كان يشهدها المغرب وقتئذ، إذ أثبتت على صفحتها الأولى صورة الملك الشرعي للبلاد بمعية مدير الانقلاب، والسلطان

غير الشرعي محمد بن عرفة، أرفقتها بصور أخرى توثق لاعتقال القوات الفرنسية لمواطنين مغاربة عشية نفي السلطان¹.

وفي مقال آخر واردة بيومية أ، ب، ث، بتاريخ 21 غشت 1953م، أُعلن أن «سلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف يغادر البلد مرفوقا بابنيه». ثم يضيف صاحب المقال حيثيات هذه المؤامرة حيث يذكر كيف تم نقل السلطان عبر الطائرة إلى كورسيكا، وأنه تم الاعتراف بابن عرفة كعاهل شرعي وحيد لـ «الإمبراطورية». فضلا عن الحديث عن الوقائع المقترنة بنفي السلطان، وعُدة الجيش التي رافقت الجنرال، كيوم لتنفيذ المؤامرة، كما تابع المقال الحديث عن اللقاء الذي جمع بين الجنرال كيوم والباشا الكلاوي بمدينة الرباط².

ومن جهتها نددت يومية Pueblo في عددها الصادر بتاريخ 21 يناير 1954م بعملية نفي محمد الخامس حيث عنونت في صفحتها الأولى: «نُدد بقوة وبدون تحفظ بسياسة الحماية الفرنسية». كما أردفت: «لا نعترف بسلطة (مولاي) عرفة لكونه فُرض بشكل تعسفي من قبل فرنسا». وفي مقال آخر بجريدة لابان كورديا بتاريخ 23 غشت 1953م، نُطالع ما نصه: «الجنرال كيوم يشرح أسباب نفي السلطان سيدي محمد، هكذا انتهت قصة دامت عشر سنوات، واصفا بالكذب الادعاء بأن السلطات الفرنسية كانت وراء حركة الكلاوي»³.

لم يقف اهتمام الصحف الإسبانية بعملية نفي السلطان، بل خصصت عددا من مقالاتها للحديث عن مرحلة النفي، فقد نشرت يومية أ، ب، ث، في مقال لها بتاريخ 2 دجنبر 1953م «نداء من سلطان المغرب من المنفى» الذي ألقاه سيدي محمد بن يوسف بمناسبة الذكرى السادسة والعشرين لاعتلائه سدة الحكم، الذي ندد فيه بالمؤامرة التي أحكمت تدبيرها فرنسا، وأن «الجنرال كيوم قام بترحيلنا ونفينا بمعية عائلتنا من المغرب، بعد أن رفضتُ التنازل عن العرش».

كانت مجلة باريس ماتش قد نشرت في 27 نونبر 1953م، 54 استطلاعا عن محاولة لخطف جلالة المغفور له محمد الخامس من منفاه من مدغشقر، تأكد فيما بعد أنها من صنع الخيال. ولإتقان الادعاء نشرت المجلة في ثلاث صفحات تفاصيل عن اجتماع في طنجة واجتماعين آخرين مع أشخاص مغاربة وشرقيين لتهيئ العملية، حيث جرى في تلك الاجتماعات الحديث عن المبالغ التي يتطلبها كراء اليخت

1 - رشيد يشوقي، السلطان محمد بن يوسف من خلال الصحافة الإسبانية (1939-1953م)، أعمال الدورة الثامنة عشرة لجامعة مولاي علي الشريف، المرحلة الثانية من عهد سيدي محمد بن يوسف: 1955-1939م، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، 2016م، ص. 217.

2 - نفسه، ص. 218.

3 - نفسه، ص. 218-219.

«فلامينغو» الذي كان من حارسات الشواطئ البريطانية. وقد ذكرت المجلة أن مدير العملية هو المهرب ايدي شابان من قدماء جهاز الجاسوسية البريطاني. وقد تبين فيما بعد أن كل ما جاء في المادة المسهبة التي نشرتها باري ماتش كان من صنع الخيال¹.

أسهبت جريدة «الكوريو كاطلان» الإسبانية في خريف 1955م في نقل تفاصيل حياة محمد الخامس وعائلته في المنفى، ومما جاء فيها «... كان لابد من تدخل ثلاث وزارات فرنسية، لكي يتأتى اجتياز الابن الأصغر لمحمد الخامس، الأمير مولاي عبد الله، امتحانا في اللغة العربية. فلكي ينتقل أستاذ للعربية في إكس أن بروفانس إلى إنتسيرابي قاطعا 20000 كلم، تحركت وزارات التربية الوطنية، نظرا لاختصاصها، ووزارة ما وراء البحار بسبب سكنى التلميذ، ووزارة الخارجية، اعتبارا لأن التلميذ من بلد أجنبي. والسبب في ذلك أن السلطان امتنع عن أن يسمح لابنه بالانتقال إلى فرنسا رغم اقتراح بهذا الصدد من مينديس فرانس»².

وطيلة 818 يوما من المنفى إلى يوم العودة، لم يغيب السلطان محمد الخامس يوما واحدا عن الأحداث بل ظل دائما يتصدرها، ونقلت كل الجرائد، ما كتبه فرانسوا موريالك من أن محمد الخامس لم يحكم المغرب قط مثل ما يحكمه وهو في المنفى، ورد ذلك في المذكرات الأسبوعية للكاتب الكاثوليكي في عدد 4 شتنبر 1955م من مجلة ليكسبريس حيث علق على تردد حكومة مينديس فرانس: إن الحكومة «الفرنسية إذا كانت تميل الى تحسين حالة السلطان السابق وعائلته، فإنها لن تعيده إلى العرش. وقال موريالك: «إن رئيس الحكومة لم يكن ليشك في الوقع الذي سيحدثه تصريحه هذا، وهو لا يعلم أنه في تلك اللحظة قد قتل الأمل دفعة واحدة في ملايين النفوس، أمل عودة الأمور إلى نصابها بين شعبينا. أما السلطان فإنه ما يزال ملكا على المغرب في مدغشقر، وهو يملك من السلطة والنفوذ ما لم يملكه سلطان آخر. هذه هي الحقيقة التاريخية، وهذا هو الواقع الذي لم يتعرضوا له»³.

على مستوى آخر، سخرت عدد من الدول العربية صحفها وجرائدها للتنديد بهذه المؤامرة، وعلى رأسها العراق الذي يمثل تعاطفه واحدا من المواقف القومية المتميزة، التي اتخذتها الأحزاب والجمعيات القومية والوطنية في العراق، والذي عبرت عنه من خلال صحافتها ومنشوراتها وهيئاتها الاجتماعية وممثليها في مجلس النواب⁴.

1 - محمد العربي المساري، محمد الخامس: من سلطان إلى ملك، البوكلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، الطبعة الأولى، 2008م، ص. 32.

2 - نفسه، ص. 33.

3 - محمد العربي المساري، مرجع سابق، ص. 33-34.

4 - مظفر الأدهمي، محمد الخامس وموقف الرأي العام العراقي: من الإبعاد إلى العودة: 1953-1955م، ضمن: الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد، الرباط، 16-20 نونبر 1987م، جمعية رباط الفتحة، 1987م، ص. 237.

منذ 14 غشت 1953م، بدأت الصحافة العراقية تكتب بعناوين كبيرة في أعلى الصفحات عن الباشا الكلاوي الذي وصفته بالخائن، وعن علاقته بالفرنسيين، واتخاذهم له وسيلة في محاولتهم خلع سلطان مراكش، حسب تعبير جريدة اليقظة البغدادية التي نشرت أيضا تصريحات الدكتور المهدي بنونة، والتي حذر فيها من أن فرنسا «توشك أن ترتكب جريمة كبرى في مراكش، وذلك بمحاولتها خلع سلطان مراكش». وفي اليوم الموالي خرجت جريدة الحوادث بعنوان كبير جدا في صفحتها الأولى يقول: «سلطان مراكش يتعرض لمؤامرات الخونة». كما خصصت جريدة اليقظة معظم مساحة صفحتها الأولى يوم 16 غشت 1953م لأخبار التآمر على محمد الخامس، وكتبت في أعلى الصفحة: «ملك مراكش سجين في قصره المحاط بالجيش، وقد مُنع من أداء فريضة الجمعة».

حرص الشعب العراقي على متابعة آخر التطورات السياسية بالمغرب، من خلال الصحافة، لاسيما صحافة المعارضة الوطنية، وفي مقدمتها جريدة لواء الاستقلال الناطقة باسم حزب الاستقلال العراقي. وقد كتب العلامة محمد رضا مقالا افتتاحيا في جريدة الزمان تحت عنوان: «لمناسبة حوادث مراكش المؤسفة، محنة المغرب والمشرق» تحدث فيه عن استبسال المغرب في الدفاع عن قضيته أمام الفرنسيين¹.

تابعت الصحافة العراقية موضوع المغرب وملكه الشرعي عند عرض قضيته على الأمم المتحدة، وحملت الصحافة على فرنسا، ووصفت حججها أمام مجلس الأمن بعناوين بارزة من قبيل: «السلطان المزيّف الجديد يدخل فاس في حماية حراب المستعمرين»². ونشرت أخبار التظاهرات المؤيدة للمغرب أمام مبنى الأمم المتحدة، ورحبت بالدعوة لعقد مؤتمر شعبي في عمان، لبحث تطورات الوضع في المغرب. وكتبت جريدة اليقظة في 25 غشت 1953م مقالا افتتاحيا تحت عنوان: «بعد خلع ملك مراكش لنكن عمليين»³. طالبت فيه جامعة الدول العربية بالتحرك وتسليح الشعب المغربي ليتولى أمر الكفاح عن حقوقه وسيادته بنفسه، بما عرف عنه من بسالة وتضحية وإقدام.

أما جريدة الحوادث فقد كتبت يوم 7 شتنبر 1953م مقالا افتتاحيا عن أحداث خلع السلطان محمد الخامس، ولم تكتف بذلك بل خصصت خبرا بعناوين بارزة لمهاجمة الكلاوي الذي وصفته «بالخائن الأول». وكتبت الجريدة بعد خمسة أيام وبعناوين بارزة عن الباشا الكلاوي الذي أيد الجنرال «كيوم» في ذبح المغاربة⁴.

وفي هذا الصدد، هاجمت عدد من الافتتاحيات والمقالات الصحفية المواقف الرسمية العربية التي اكتفت بإصدار بيانات احتجاج، دون التحرك بشكل فعلي وكما يريده العراقيون. فقد كتبت جريدة

1 - جريدة الحوادث العراقية بتاريخ 17 غشت 1953م.

2 - جريدة الزمان العراقية بتاريخ 18 غشت 1953م.

3 - جريدة اليقظة العراقية، بتاريخ 27 غشت 1953م.

4 - مظفر الأدهمي، محمد الخامس وموقف الرأي العام العراقي: من الإبعاد إلى العودة: 1953-1955م، ص. 239-240.

الزمان: «على الحكومات العربية ألا تكتفي بالاحتجاجات وعرض الأمر على الأمم المتحدة، بل عليها أن تهب لإحباط المؤامرات الاستعمارية مهما كان مصدرها وأينما وقعت في البلاد العربية، وعليها بصدد قضية مراكش بالذات أن تتفق عاجلاً على القيام بالإجراءات الفعالة لنجدة الشعب الشقيق، ومساعدته على درء العدوان الجديد»¹.

ومن جهته، كتب الأستاذ محمد صديق في جريدة لواء الاستقلال وباسم حزب الاستقلال العراقي عن أحداث سنة 1953 م قائلاً: «إن الاستعمار أبى إلا أن يخلع سلطان مراكش، لأنه رأى أنه من واجبه أن يكون إلى جانب شعبه، فجاء الفرنسيون بسلطان مزيف جديد يرضون عنه».

وغير بعيد عن المغرب، سخرت الصحف الجزائرية كل إمكانياتها للذود عن المغرب²، ومن هذه الصحف جريدة المنار³ التي تضمنت منذ نسختها الأولى مقالاً تحدث عن كفاح المغرب الأقصى، وعن الملك المحبوب محمد الخامس، الذي قد أعلن أكثر من مرة عن رغبة شعبه في الحرية، وإرادته في إلغاء معاهدة الحماية، وقد تجلى ذلك في خطابه التاريخي الذي ألقاه بمدينة طنجة، ثم في تصريحاته أثناء زيارته لباريس. وقد اعتبر كاتب المقال أن للملك «موقفاً مشرفاً». وقال عنه: إنه «عاهد الله والتاريخ بأن يبقى وفيًا لشعبه الكريم»⁴.

وقد والت جريدة المنار الكتابة عن التطورات في المغرب، فنشرت مقالة عن «عنصرية الاستعمار» كان محورها حول حوادث الدار البيضاء وتادلا. ثم مقالة أخرى عن «فظائع في المغرب الأقصى» بقلم الحاج عمر بن عبد العزيز، وهي عبارة عن نص الاحتجاج حول الإرهاب الاستعماري المسلط على أيت سعيد بدائرة بني ملال، ولا غرابة أن تعلن المنار بعد ذلك أنها أصبحت ممنوعة من دخول الرباط، بعد أن أخبرها المتعهد هناك بذلك⁵.

وتحت عنوان: «الحالة في المغرب الأقصى»، نشرت المنار مراسلة من أحد كتابها بالمغرب، تحدث عن العزلة التي أصبح يعيشها المغرب وعن الحديثين البارزين عندئذ هناك؛ وهما قضية الأطلس ثم ظهير الانتخابات البلدية. وقد ذكرت المراسلة أن السلطات الاستعمارية قد منعت الجماهير من التوجه

1 - جريدة الحوادث العراقية بتاريخ 11 شتنبر 1953.

2 - أبو القاسم سعد الله، صورة الملك محمد الخامس في بعض الصحف الوطنية الجزائرية (1951-1956 م)، ضمن: الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الراحل، مرجع سابق، ص. 373.

3 - راجع: عكاشة برحاب، محمد الخامس في الذاكرة الجزائرية، ضمن: محمد الخامس في الكتابات الوطنية والأجنبية، محمد الخامس من المنفى إلى بناء الدولة الحديثة: ندوتان علميتان، [فاس، 20 فبراير و28 مارس 2006 م]، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2010 م، ص. 151.

4 - جريدة المنار الجزائرية، العدد الأول، 29 مارس 1951 م.

5 - أبو القاسم سعد الله، صورة الملك محمد الخامس في بعض الصحف الوطنية الجزائرية (1951-1956 م)، ضمن: الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الراحل، مرجع سابق، ص. 375.

إلى الرباط، لإعلان الولاء للملك في عيد الفطر، ورغم ذلك فإن الوفود قد تحدثت قرار المنع، وذهبت لزيارة الملك، ولكنها عندما رجعت إلى مناطقها واجهت الاعتقالات¹.

حظيت قضية المغرب في المنار سنة 1952م باهتمام متزايد، بحيث نجدها تنشر مقارنة بين الشهداء بالمغرب سنة 1944م، ويوم 8 ماي 1945م في الجزائر. وقد تولى الكتابة عن هذا الموضوع مراسل الجريدة بفاس، وخصصت حيزا للمذكرة التي قدمتها «الجهة القومية المراكشية إلى ملك المغرب الأقصى» في 9 يناير 1952م وهي المذكرة التي انتهت بالمطالبة بإلغاء الحماية وإعلان الاستقلال. وكانت الجريدة قد أعلنت من قبل أن خطباء المساجد قد أعلنوا الدعاء إلى الله أن يتدارك الشعب المغربي بلطفه، حتى ينال استقلاله وحريته «في ظل صاحب الجلالة المفدى سيدي محمد بن يوسف»، وهو خبر تلقته عن جريدة العلم المغربية².

واصلت جريدة البصائر الحديث عن الأزمة المغربية، إذ نجدها تتبنى قضية محمد الخامس بشكل التزام ديني وسياسي. وكان ذلك الموقف منها معبرا على رأي جمعية العلماء³. ولا أدل على ذلك الالتزام، من إصدار الجمعية فتوى في صالح بيعة السلطان محمد الخامس خلال شهر شتنبر 1953م. وقد خصصت الجريدة صفحاتها الأولى لثلاثة أمور هامة: الأول؛ عنوان يقول: «بعد فتوى شيخ الأزهر وعلماء مراكش، علماء الجزائر يقولون كلمتهم». والثاني؛ عنوان يقول: «بلاغ من جمعية علماء المسلمين الجزائريين». والثالث؛ هو: وجود صورة رسمية للسلطان جالسا على كرسي العرش ومكتوبا تحتها: «سيدي محمد بن يوسف ملك المغرب الشرعي».. وعلى نفس الصفحة نجد فتوى شيخ الأزهر والتي حكم فيها على الكلاوي بالخروج على السلطان، وعلى فرنسا بأنها لا تحمي الإسلام، وأيد الشيخ بذلك فتوى علماء المغرب⁴.

من جهة ثانية خصصت جريدة البصائر صفحتين ونصف في باب «منبر السياسة العالمية» لوصف ما أسمته «بطشة الاستعمار بجلالة سلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف» وتوسط ذلك صورة بشعة للكلاوي مرتديا قبعة. كما خصصت بابها الدائم «في الشمال الإفريقي» لقضية السلطان. وهكذا يمكن

1 - جريدة المنار، عدد 8، 31 غشت 1951م.

2 - جريدة المنار، عدد 14، 26 دجنبر 1952م.

3 - سليمان الشيخ، ثورة الملك والشعب في الساحة الإفريقية، ضمن: جلالة المغفور له محمد الخامس: كفاح من أجل الاستقلال، ودعم لحركات التحرير الإفريقية، ندوة دولية بالرباط، 14-15 نونبر 2005م، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2006م، ص. 26-27.

4 - أبو القاسم سعد الله، صورة الملك محمد الخامس في بعض الصحف الوطنية الجزائرية (1951-1956م)، ضمن: الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الراحل، مرجع سابق، ص. 379.

القول: إن «البصائر» قد خصصت عددا كاملا لأحداث المغرب التي كان يتصدرها خلع السلطان الشرعي¹.

كانت جريدة البصائر سباقة إلى نشر النداء الذي وجهه السلطان سيدي محمد بن يوسف من منفاه إلى الشعب المغربي، داعيا فيه إلى مواصلة الكفاح، وكاشفا فيه عن المؤامرة التي أبعدته عن العرش. وذاكرا أنه يشعر بالحرمان من مشاركة الشعب كفاحه. وقد جعلت «البصائر» عنوان النداء هكذا: «بمناسبة عيد العرش المغربي: سيدي محمد بن يوسف يدعو المغاربة إلى مواصلة الكفاح».

وقد اندمجت «البصائر» مع قضية المغرب اندماجا تاما، فلم تعد تكتب عن شيء بعيد، أو تتعاطف مع قضية عادلة فقط، بل إنها أصبحت تكتب عما كان يحدث في المغرب، باعتباره قضيتها الخاصة². ومن ذلك أنها خصصت إحدى افتتاحياتها لـ «الحوادث الرهيبة في المغرب الأقصى»، تحدثت فيها عن خلع السلطان محمد الخامس، وإرغام الشعب على قبول سلطان آخر، وتشريد الزعماء الوطنيين³.

ولم يكد يحل شهر دجنبر 1955م حتى خرجت «البصائر» لتعلن للناس عن العودة السلطانية السعيدة، وتذكر أن العلماء الجزائريين أرسلوا وفدا إلى المغرب لتهنئة السلطان بعودته إلى عرشه، وتعلن أن السلطان قد استقبل بكا حفاوة، ولذلك أعلن وفد العلماء بعد رجوعه إلى الجزائر شكره للسلطان «لما حبا به [أي جمعية العلماء] من عطف سام، إذ افتتح به سلسلة مقابلاته السامية، وقدمه على سائر الوفود»⁴.

1 - جريدة البصائر 4 شتنبر 1953م.

2 - عكاشة برحاب، محمد الخامس في الذاكرة الجزائرية، مرجع سابق، ص. 153.

3 - جريدة البصائر 29 يونيو 1955م.

4 - كان الوفد يتألف من الشيوخ: العربي التبسي «رئيسا»، ومحمد خير الدين «نائب الرئيس»، وأحمد توفيق المدني «الأمين العام»، وعبد اللطيف سلطاني «أمين المالية». جريدة البصائر، 2 دجنبر 1955م. للمزيد يراجع:

Ahmed Taleb Ibrahim, Mémoires D'un Algérien, Tome 1, Rêves et épreuves (1932-1956) Editions casbah Alger, 2006.

ثورة الملك والشعب، حدث أعاد المجد بالثبات على العهد

● ذ. محمد أبو الخبرة

عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم تاونات.

لا مجد لأمة بدون تاريخ، ولا تاريخ لها بدون عهد ممتد تحترم على أساسه قاداتها، وهدايتها من أمرائها وعلمائها، الذين يصنعون من رجالها ونسائها وشبابها وشاباتنا وحدة صفها، وقوة جندها الأباة المخلصين لله، وللوطن، وللملك، للأوفياء، الحماية، المؤمنين بأن العهد الذي يربط بين الراعي والرعية فيها يجب أن يكون ثابتا، وممتدا في حياتها، وواقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وكل ما يمس جوانب الحياة الوطنية على قاعدة قارة، تفرض أن يكون لكلا الطرفين، التكريم والإجلال الذي يستحقه، والتقدير والاحترام الذي تفرضه مقامات العهود، التي تقطع لتجمع، وتعز القدر وترفع.

ومن وظيفة التاريخ المنصف أنه يحدد أعمار الأمم، ويسجل أحداثها، ويشهد على أمجادها شهادة ترفع قدرها بين الأمم الأخرى.

والمغرب بلد عريق في القدم، أصيل متميز، وهو في انتماؤه الجغرافي من البلدان الإفريقية القليلة التي ظهرت كدولة ذات سيادة وبنية مؤسساتية، قائمة الذات، تامة الأركان، منذ عهد دولة الأشراف الأدارسة، أي: منذ أحد عشر قرنا، «وقد لاحظ المؤرخون أن المغرب قد كون دولة منظمة منذ القرن الحادي عشر على الأقل»¹.

حافظ المغرب على استقلاله الوطني، ووحدته الترابية، وسيادته على كل ربوع البلاد لقرون عدة، وحقب تاريخية طويلة وممتدة، بل ارتقى في مدد تاريخية عديدة وطويلة، حيث شكل قوة سياسية وازنة هائلة، أهلتها للقيام بالدور القيادي في تاريخ الغرب الإسلامي لقرون خلت، فاستحق بذلك أن يحظى باحترام الدول الكبرى، لما كان يميزه، ويتوفر عليه من تقاليد عريقة في مجال التسيير المؤسساتي، والتدبير المحكم لشؤون الأمة العامة، قبل أن يبدأ الوهن والضعف يسري في جسد الأمة المغربية ومؤسساتها،

1- مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد الخمسون، مارس. 1998 م. ص: 15.

منذ نهاية القرن التاسع عشر، الشيء الذي أغرى الطامعين المتربصين بالمغرب، وفتح المجال هذه المرة أمام الأوروبيين الجدد، والفرنسيين منهم والإسبان على وجه الخصوص، والذين عملوا بجراً، أكبرهم الفرنسيون الذين جاوروا المغرب برا وبحرا، باحتلالهم للقطر الجزائري الشقيق سنة 1830م، حتى كانت نتائج تدخلهم في الشأن المغربي الخاص، فرض الحماية على المغرب سنة 1912م.

اشتهر المغاربة بالصبر الذي يضرب به المثل، وتسامحهم سارت به الركبان، ما لم يتعلق الأمر بإهانتهم في ثوابتهم الدينية والوطنية، فإنه ينقل صبرهم من تحمل المتدخل في شؤونهم، المعتدي على ثوابتهم، المستهتر بمقدساتهم، إلى منازلته مهما كانت قوته عددا ومددا.

لقد سجل التاريخ أن من كان وراء الاحتقان لدى الأمة المغربية عرشا وشعبا، هو ضغط الإدارة الاستعمارية عبر إقامتها العامة في المغرب على سيدي محمد بن يوسف، سلطان البلاد، ورمز سيادتها، حتى وقع الظهير البربري في 16 ماي 1930م، الذي عرضه عليه المقيم العام «لوسيان سان»، فقد كان يعود إلى السلطان التصديق بخاتمه على النصوص التي تضعها سلطات الحماية. وأخص ما جاء في هذا الظهير، نصه على نقل القضايا الجنائية الخاصة بالبربر إلى القضاء الجنائي الفرنسي، بما يجرد السلطان من واحدة من أهم صلاحياته. (ج. لافوينت 1999م)¹.

وزاد هذا الاحتقان سبب آخر للانفجار، تمثل فيه أن «حذرت الإقامة سيدي محمدا من الشبان الوطنيين، الجمهوريين»، لكن تأثر السلطان كان كبيرا بالاستقبال العظيم الذي لقيه في فاس يوم 8 ماي 1934م بعد شهر من إلغاء الظهير البربري بهتاف «عاش الملك، عاش المغرب». ولقي الشبان المغاربة التأييد من الشعب، لتنظيم هذا الاحتفال الشعبي الأول بعيد العرش. وعقد السلطان المؤزر من الله تعالى وشعبه الوفي، العزم على ألا يتنازل بعد ذلك اليوم عن شيء من سلطته للحماية. وظل هذا التحالف غير المتوقع بين السلطان والوطنيين، موصولا إلى أن تحقق الاستقلال².

وزاد هذا الاحتقان شدة وقسوة أكثر على المغرب عرشا وشعبا الاقتصاد الاستعماري، حيث تفننت سلطات الحماية في تسويق المغرب، بما أفرغت عليه من التسميات من قبيل: «المملكة السعيدة» و«كاليفورنيا الإفريقية»، لاجتذاب رؤوس الأموال والمهاجرين إليه، إيهاما بذلك «السحر الدائم» وتلك «الخدعة العجيبة» اللتين انبرى لأكوتير سنة 1957م، في «مجلة إسبري» يفضح سوأتهما. وقد مكنت تلك العملية من اجتذاب استثمارات في العقارات، وتشيد تجمعات حضرية كبيرة على غرار

1- تاريخ المغرب منذ الاستقلال لبير فيرمورين. ترجمة. عبد الرحيم حزل. إفريقيا الشرق. 2010م. ص. 24.

2- تاريخ المغرب منذ الاستقلال. لبير فيرمورين. ص: 25-26.

العاصمة الاقتصادية القوية، التي أقامها «اليوطي» في مدينة الدار البيضاء، التي كانت ساكنتها في سنة 1952م تقدر بـ 682.000 نسمة¹.

كما رفع درجة الاحتقان لدى المغاربة، الاقتصاد الاستعماري الذي بنته سلطة الحماية على الاستحواذ على أحصص الأراضي الزراعية في المغرب. وفي هذا يقول «بيير فيرمورين»: «غير أن - كاليفورنيا الإفريقية - (يعني بها المغرب كما أسلفنا) لم تكن حقيقة إلا عند البعض، وتحديدًا منهم 5.903 من الأشخاص كانوا يتقاسمون في ما بينهم أزيد من مليون هكتار من جملة 4.5 ملايين هكتار المسخرة للزراعة»².

وغير هذا من فرض الضرائب المجحفة والمكوس، وفرض الأعمال الشاقة على المواطنين والمواطنات في المشاريع ومصالح المستعمرين، مع ما يصاحب ذلك من الكبت والضغط والاستهانة، وإحكام السيطرة على البلاد بدون مقابل ولا رحمة ولا اعتبار، بل بالمزيد من الضغط والإهانة والابتزاز، إلى أن تجاوز الأمر حده، فانقلب إلى ضده، واشتعلت فتيلة الانفجار بسبب جهل سلطات الحماية بطبيعة الأمة المغربية، وخلفيتها الدينية والحضارية، بغرور لم يكن له حدود في خطئها الفادح، المتمثل في الضغط المستمر على السلطان الشرعي للبلاد، «سيدي محمد بن يوسف»، بعدما قام الوطنيون الأحرار يطالبون باستقلال البلاد، وانضمام السلطان البطل إليهم، «كما تجلّى في خطاب طنجة في 10 أبريل 1947م، ما جعل الإقامة تعود إلى تشديد سياستها على عهد «جوان». فقد كان الجنرال يسعى إلى انتهاج سياسة تقوم على سيادة مشتركة، فرنسية، مغربية، بينما تقرر معاهدة فاس بالسيادة للسلطان، فكانت تلك بداية الأزمة المغربية الفرنسية»³.

واصل السلطان الشهم الشجاع «سيدي محمد بن يوسف»، قدس الله روحه، إضرابه عن الختم ضد المقيم العام، المحمل بتعليقات صارمة لإصلاح نظام الحماية، خدمة لمصالح فرنسا، فضغط على السلطان الذي شل فعليًا سير الحماية، مما جعل المقيم العام يندره، «فأرسل إليه المقيم في فبراير 1951م إنذارًا ليوقع على ظهيره، وتوعده بمؤامرة، فلم يتردد السلطان مرة أخرى عن إعلان تأييده الصريح خلال حفل عيد العرش في 18 نونبر، لتحرر السياسي الكامل والفوري للمغرب»⁴.

«ثم تجددت المؤامرة التي سبق أن حيكت سنة 1951م»⁵، والتي انتهت بنفي السلطان «سيدي

1- نفسه، ص: 26.

2- نفسه، نفس الصفحة.

3- تاريخ المغرب منذ الاستقلال. بيير فيرمورين. ص: 31.

4- نفس المرجع. ص: 32.

5- نفس المرجع ص: 32.

محمد بن يوسف» وأسرتة الشريفة في 20 غشت 1953م، إلى كورسيكا، ثم إلى جزيرة مدغشقر، وكان يوم عيد الأضحى.

وهذا السلوك المفتقد لأدنى حس بالمسؤولية، واحترام للأعراف الدولية، وحقوق الإنسان، والأمم في تقرير مصيرها بنفسها، والمشحون بالحق والكيد والمكر، يكون المستعمر قد أصاب المغاربة في رمز سيادتهم، سلطانهم وملكهم، والناطق باسمهم، وهو من ولاه الله عليهم بيعة شرعية، على أن يحمي حمى الوطن والدين، وأن يطيعوه في المنشط والمكره، وقرروا شيئا وشبابا، رجالا ونساء أن يثوروا على المستعمر تأييدا لثورة ملكهم الهمام البطل، الشريف المفدى، فقاموا قومة رجل واحد ليفدوا ملكهم الغالي، وسلطانهم القائد الملهم، بكل غال ونفيس، وفاء ببيعتهم له، وحبافيه وفي أسرتة العلوية الشريفة.

لم يع المستعمر أسس وخصائص أمة الإسلام إلا من خلال ما تحمله إليه مما تشاهده أجهزته الاستخبارية مما يرى ويسمع: «أن أمة الإسلام الخاتمة في تاريخ الرسالات الإلهية - ومنها الأمة المغربية - تجدد قومتها، إذا هي أخذت بمقومات الأمة في أي عصر أو مصر، وهي كذلك ما دامت أمة قائمة بما هو من مقوماتها من تبعات وتكاليف إيمانية، ومحلها القلب، لا تسمع ولا ترى حتى يرى أثرها على أرض الواقع، واجتماعية ناظمة لعقد الأمة بالمصطلح الاجتماعي والسياسي لكلمة العقد، قياما بالمقومات، ووفاء بالتبعات بين أعضاء الأمة الواحدة»¹.

لقد أبانت ثورة الملك والشعب عن صفاء معدن الأمة المغربية، ومتانة وحدتها، وقوة صفها، وحكمة قادتها وعلمائها، وسير شعبها، في كل وقت وحين، وراء من ولاهم الله أمرها، وتدبير شؤونها، وحماية حمى وطنها ودينها، وهو في موضوعنا وعلى رأس أحرار أمتنا الأبطال الأشاوس بطل التحرير والوحدة، جلالة الملك «سيدي محمد الخامس» طيب الله ثراه، وأكرم مثواه، الموهوب من الله العزيز الحكيم مقومات، قل أن يحظى بها غيره من القادة التاريخيين المؤثرين في الحياة الوطنية والعالمية، ومن أبرزها:

1 - حبه من جميع فئات شعبه:

«لقد كان جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه، محبوبا من طرف جميع فئات شعبه وطبقات رعيته، كان وطنيا صادقا، يمثل كل القيم الروحية التي يؤمن بها الشعب المغربي، ويرى وجوب الدفاع عنها كلما وقع المس بها، ولذلك فإن خلع محمد الخامس ونفيه كان حدثا لم يقبله الشعب المغربي، فانتفض ثائرا يدافع عن حقه في الاستقلال، وعن عودة ملكه الشرعي إلى عرش أسلافه المنعمين»².

1 - الهدى. مجلة علمية سنوية يصدرها المجلس العلمي المحلي لبولمان. العدد 3، 1436هـ / 2015م، بتصرف بسيط.

2 - مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد الرابع والأربعون. شتنبر 1996م.

2 - شجاعته:

«كان بطل التحرير قدس الله روحه شجاعا شجاعة المؤمنين، الصادقين، المقدامين، المتحدين لكل الصعاب، الرافضين لكل إملاء فيه تعسف وتفريط لحقوق أمته في حاضرها ومستقبلها، تجلى ذلك في أخرج المواقف وأصعب القرارات وأخطرها، والتي كان يعلم أنها ستتلوها استحقاقات لا بد من أداء ثمنها، لكنه أكرم الله مثواه كان أهلا لها وألفاً، «فمنذ الزيارة الملكية لمدينة طنجة سنة 1947م، بل قبل ذلك أثناء تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944م، ازدادت العلاقات بين القصر الملكي والإقامة العامة تدهورا. وقد بدأ التمهيد لخلع محمد الخامس عن عرشه باستدراج بعض الباشوات والقواد، والشخصيات إلى المخطط الاستعماري، والضغط عليهم للتوقيع على عريضة مزيفة، تتخذها فرنسا ذريعة لها للإقدام على فعلتها الشنيعة، بعد أن لم ينفعها تهديد ولا وعيد ولا ترغيب»¹.

كما تجلت شجاعته الفذة في رفضه قرارات سلطات الحماية بكل عزة وإباء، ونخوة وكرامة، مما أرغم «الجنرال كيوم» على الإعلان عن خلعته عن العرش، ونفيه، بعد زوال يوم: 20 غشت 1953م، ونقله وعائلته الشريفة على متن طائرة عسكرية إلى مدينة «أجاكسيو» عاصمة جزيرة «كورسيكا»، مصحوبا بسمو الأمير مولاي الحسن، وشقيقه سمو الأمير مولاي عبد الله، وباقي الأسرة العلوية الملكية. وقد دخل «الجنرال كيوم» القصر الملكي مهاجما، وواضعا الملك الشهم الشجاع بين خيارين اثنين لا ثالث لهما: إما التنازل عن العرش أو النفي. فوقف جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف في وجهه نخيبا أمله برفض الاختيارين معا، وهو يعلم أن الجنرال جاد، وأن قرار النفي قد اتخذ، لكن الشجاعة الفذة للقائد الهمام قد خيبت مسعى المتآمرين، ومكر الماكرين، (ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين)².

3 - سلميته:

كان بطل الحرية والاستقلال جلالة الملك محمد الخامس نور الله ضريحه، وأكرم مثواه، مسالما، وسلميته من شجاعته، و«لم يكن سلم بطل التحرير تسليما، ولم يكن انهماجا، إلى حد أنه حين تأزم الوضع، وحين أصبح واجبا أن يواجه فرنسا، فهو - وهو يسالم - أقسم ألا يتخلى، وألا يتخلى، وهو القسم الذي قدمه الرسول ﷺ لعمه حين جاء عمه أبو طالب يفاوضه، قال له: (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه، ما تركته)³.

ولسلم قائد ثورة الملك والشعب دلالات كثيرة، ومقاصد جليلة:

1- المرجع نفسه.

2- سورة الأنفال. الآية 30.

3- مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد الرابع والأربعون. شتنبر 1996م.

كان سلمه قدس الله روحه يدل على الوعي، وعلى حس ثقافي، وحضاري، وصمود، وتمسك بالشرعية وبالحق، فإنه نفي، ولكن في نفي محمد الخامس رضوان الله عليه يمكن أن نقول: إن جهاده في مقاومة الاستعمار كان قد حقق أهدافا معينة، أي: أنه كان قد ترك رأيا عاما، واعيا، قادرا على التمييز، وقادرا على الصمود، وقادرا على أن يظل متمسكا بالحق، ولهذا نفي محمد الخامس، وظل الشعب يطالب بعودته، وظل الشعب يطالب بالاستقلال على يد الملك الذي جاهد من أجل هذا، لكنه لم يأمر شعبه بقتل الفرنسيين وأعدائهم قبل خلعه، وكان في وسعه، وكان رجال كتلة العمل الوطني جاهزين لتعبئة الشعب المغربي الأبي. وحمل السلاح، لكنهم وغيرهم من أحرار المغرب لم يفعلوا حتى تم الاعتداء الغاشم على قائد ثورة الشعب المغربي. فبمجرد أن نفي الملك المجاهد قامت الحركة الفدائية في كل مكان مباشرة.¹

ف «في منتصف شهر شتنبر سيقع الحادث المشهور الذي قاده الشهيد علال بن عبد الله، وتنطلق المقاومة والفداء في كل مكان، وفي كل شبر من المغرب، إلى أن تحقق الاستقلال، وعاد الملك المجاهد إلى أرضه يحمل وثيقة الاستقلال، ويلغي عقد الحماية الذي كتب على المغرب، هذه الحماية لم تقض إلا بضع سنوات ثم بعد ذلك ألغيت»².

كما تجلى تسامحه طيب الله ثراه في إبقاء الباب مفتوحا أمام من استعمره (فرنسا - إسبانيا)، وقد فعلوا بالمغرب والمغاربة الأفاعيل، لتبادل المصالح والتعاون في مختلف المجالات، على قاعدة الاحترام المتبادل والندية.

كما تجلى تسامحه قدس الله روحه في إصداره عفوا عاما عن جميع من أخطأوا بوقوفهم ضد مصالح بلادهم، وقدس عرشهم، ونصرة ملكهم، أسوة بجده المصطفى ﷺ بصفحه عن قريش، وإسعادها بأخوته، وتأمينها على أنفسها وأموالها، وهو يقول لها: «من دخل البيت فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن».

وهذه ثقافة ملوك الدولة العلوية الشريفة، يتأسون بجدهم المصطفى ﷺ، ويورثونها لأولادهم، فهذا رفيق بطل ثورة الملك والشعب، في الكفاح الوطني المقدس، ووارث سره أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أكرم الله مثواه، مع من كانوا قد غرر بهم من أعداء الوحدة الترابية للمملكة المغربية الشريفة، فأخطأوا في حق أمتهم عرشا وشعبا، فلم يقس عليهم، بل رحم بهم، وفتح باب وطنهم الحق في وجوههم، بقوله قدس الله روحه: «إن الوطن غفور رحيم». وعنه أخذ هذا الخلق الكريم مولانا أمير

1 - مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد التاسع والأربعون. دجنبر 1997 م. ص: 23.

2 - نفس المرجع.

المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره، وما زال يحمل مشعل التسامح مع كل من أخطأ في حق بلاده، ورغب في أن يعود إلى أن يعيش فوق أرضه، وتحت سمائه، تحت شعار: «الله-الوطن-الملك».

أهم أحداث ثورة الملك والشعب:

لم يتأخر المغاربة في إظهار رد الفعل المناسب لحجم الإجرام الذي أقدمت عليه سلطات الحماية، كفعل شنيع بغيض، من نفي من أحبه شعبه، وبايعه، وأوفى له، وآمن كل المغاربة فقالوا: «إن خطوة مس رموز أي بلد من البلدان لا يمكن السكوت عنها، بقدر ما يتطلب الأمر مواجهتها بكل الوسائل، وهذا من شيم البلدان التي تعتز بتاريخها، الشيء الذي يجعلنا نؤكد على ما قلناه في سابق الكلام: إن قوة هذا البلد تكمن في إشاعة ثقافة المواطن المغربي الذي يسهم بكل ما يستطيع للحفاظ على هوية هذا البلد، والإبقاء عليه آمناً وموحداً»¹.

وردود الفعل في ثورة الملك والشعب من الشعب المغربي الأبي، فداء لملكه البطل، وأسرت الشريفة، ناتجة عن: عراقة الأمة المغربية، وعراقة مؤسساتها، وامتلاكها لخاصية الحصانة الذاتية، نظراً لتجذرها داخل البنية العامة للمجتمع المغربي، سمح ب بروز ردود فعل عديدة، اتجه الوجود الأجنبي. هذه الردود يمكن حصرها بعد تجميعها في اتجاهين: عمودي وأفقي: «والاتجاه الأفقي: وهو ما جسده ردود الفعل اتجاه الأجنبي ذاته، وهو البعد (البراني)، أي: الخارجي، وهذا الأخير أفرز لنا نوعين من المقاومة، التي تميزت باستعمال العنف ضد العنف، أي الكفاح المسلح، وبين اللجوء إلى الدفاع عن النفس بواسطة وسائل الحوار، والمظاهرة، والمنشور، والصحافة، أي: المقاومة السياسية»².

لكن المستعمر لا يعتبر تنظيم المظاهرات والاضطرابات والاحتجاجات السلمية من باب الكفاح السياسي، وإنما هو عنده من صنف العمل المسلح، ولذلك كان يتصدى لها بالحديد والنار. «وقد شهدت المملكة مظاهرات بعد سماع نبأ هذا الاعتداء على عاهل المغرب الشرعي، فأعلنت سلطات الحماية منع التجول في مجموع البلاد من الساعة الثامنة مساءً إلى الخامسة والنصف صباحاً، وصارت البلاد تعيش في حالة حصار...»³.

إن تاريخ المغرب الحديث يثبت أن للوطنية المغربية أسساً قد استمدت أصولها من مصدرين أساسيين في القرن العشرين. فأما أول هذين المصدرين، فقد خرج من المساجد. قيض له الانتشار في

1- دعوة الحق. 15-16/423.

2- مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد الخمسون. مارس 1998 م. ص. 17.

3- تاريخ المغرب منذ الاستقلال. لبيب فيرمورين. ص. 24.

المغرب على يد الشيخ أبي شعيب الدكالي، وسوف يكون لهذا المذهب مع مطلع العشرينيات تأثير، وأي تأثير على طلبة القرويين، أمثال: علال الفاسي، والمختار السوسي.¹

وأما المصدر الثاني للوطنية المغربية، فهو المتمثل في تيار الشبيبة المغربية، وقد سار هذا التيار ينشد استعمال أسلحة المحتل، ومبادئه المسماة «عالمية»، ومحاربتة بها. وكان لهذا التيار الثاني تأثير على الطلبة المتعلمين في مدارس الحماية، ولا سيما طلبة باريس الصغيرة، أمثال أحمد بلافريج، ومحمد بن الحسن الوزاني. وقد كانت أحداث العام 1930 م سببا في التنام التيارات.²

وانصهر عمل التيارين الملتئمين في بوتقة واحدة، وطنية، مغربية، جامعة. وفي هذه الفترة العصيبة على الأمة المغربية عرشا وشعبا، تعرض السلطان لمضايقات واستفزازات، وإنذارات، وحبك المؤامرات من طرف الإقامة العامة، للإيقاع به، فقست عليه وعلى الكتلة الوطنية التي سلمت القيادة للسلطان البطل، بتبنيه لوثيقة المطالبة بالاستقلال، يوم 11 يناير 1944 م، وخطاب طنجة التاريخي يوم 10 أبريل 1947 م.

«ولم يبق أمام المقاومة إلا الإفادة من جماهير، يتنافس رجالها ونساؤها على الاستشهاد، جماهير كان بعض أفرادها ينطلقون من أنفسهم، والآخرين تطلقهم حركات المقاومة السرية، فيتحركون بسرعة، ويضربون رصاصهم بسرعة ومهارة، ويصوبون مسدساتهم إلى كل من استطاعوا الوصول إليه من مدبري الخيانة وإقصاء السلطان... حتى أصبحت حياة أركان الإقامة العامة، وأجهزة الحماية، وحياة المستوطنين الفرنسيين، جحيما مفزعا لا يطاق»³.

بدأت الانتصارات تتحقق بحصاد جهل المستعمر أو تجاهله تاريخ المغرب، وطبيعة العلاقة بين القيادة فيه والقاعدة، أو الراعي والرعية، أساسها البيعة الشرعية، وتلاحم العرش بالشعب، العصي على الدخيل أن يحل عراه، إذ «حقق المغرب في مختلف العصور بقيادة ملوك الدول التي تعاقبت على الحكم فيه، منجزات اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، في طبيعتها وحدة الأمة، واجتماعها حول ثوابتها الدينية والوطنية، والتفافها حول العرش المغربي الذي دافع عن حرية المغرب واستقلاله، ووحدته أراضيه، ووحدته دينه، وعقيدته، وهويته وأصالته»⁴.

1 - المفكرون المغاربة، 1993 م.

2 - تاريخ المغرب منذ الاستقلال. ل. بدير فيرمورين. ص. 21.

3 - مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد الرابع والأربعون. شتنبر 1996 م.

4 - دعوة الحق. ربيع الثاني 1422 هـ. يوليو 2001 م. ص. 16.

وبجهله بأن ثورة الملك والشعب هي: ثورة القيم النبيلة، التي تلخص عهد البيعة والوفاء على العهد والتلاحم القوي بين الملك والشعب، الشيء الذي أثمر النصر التاريخي له، سحقت الاستعمار من جهة، ومكنت المغرب من تبوء المكانة التاريخية التي تليق به. يقول الراحل الحسن الثاني رحمه الله عليه ملخصا هذه الصلة الوطيدة بين الملكية والشعب: «إن ثورة الملك والشعب لم تكن ثورة الملك وحده، ولم تكن ثورة الشعب وحده، بل كانت ثورتها معا، ويمكن أن نقول إن المغرب كله كان ثائرا».¹

يجهل المستعمر بعلاقة الأمة المغربية بجذورها التاريخية، وبعطائها الحضارية، وباستعداداتها على الدوام إلى إرواء تراب الوطن من دمائها الزكية، وإنفاقها في سبيل حريتها واستقلالها أعز وأثمن ما لديها، وتحملها كل الصعاب، وبوعيتها الكبير بأسباب وأحداث ونتائج الثورات، التي راكمتها من تجاربها مع الدخلاء، قبل الفتح الإسلامي وبعده، وإلى يومنا هذا، وهذا لها انتصار آخر، لأنها مؤمنة بأن «الأمة التي تهمل تاريخها، أمة - لا محالة - ستفقد هويتها، وخصوصيتها، بل وتميزها بمجموع تلك الأحداث التاريخية التي كانت وراء بنائها وتطورها، وناهيك عن استقلالها في حالة تعرضها لحمولات الاستعمار».²

انتصر الشعب المغربي بطل الأبطال في ملحمة ثورة الملك والشعب يوم: 16 نونبر 1955 م. وهو من قال قدس الله روحه يوم عاد إلى عرشه وشعبه، حاملا معه بشرى الحرية والاستقلال: «لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

تحقق هذان المقصدان من ثورة الملك والشعب:

العودة المظفرة، والحرية والاستقلال، بعد ما نالت الأمة المغربية في شخص قائدها الملهم الهمام «سيدي محمد بن يوسف» أكرم الله مثواه، كل تقدير واحترام، ومساندة: «وأبت شعوب كثيرة استنكارها لعمل السلطات الاستعمارية الفرنسية، ونددت... ووقفت إلى جانب جلالة الملك محمد الخامس».³

وشدت المقاومة على المستعمر، وازدادت ضربات جيش التحرير الموجهة، وتزامن ذلك مع هزيمة المستعمر في حربه في الهند الصينية، في معركة «بيان بيانفو»، وانطلاق الثورة الجزائرية المسلحة، فأفلت الزمام من يد الحكومة الفرنسية، وسلطات إقامتها العامة بالرباط، وهكذا بادرت في شهر نونبر 1955 م إلى إعادة جلالة المغفور له محمد الخامس، وأسرته، من المنفى إلى باريس، حيث تفاوضت معه، ثم أرجعته إلى الرباط يوم 16 نونبر 1955 م، حاملا إلى شعبه الوفي بشرى بزوغ فجر الاستقلال وانتهاء

1 - دعوة الحق 12/ 423.

2 - نفس المرجع. ص. 11.

3 - مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد الرابع والأربعون. شتنبر 1996 م. ص: 35.

عهد الحجر والحماية، حيث قال طيب الله مثواه في أول خطاب إلى شعبه، بعد عودته إلى أرض الوطن: «الحمد لله وحده، أيها الشعب العزيز، حمدا لله على أن جمع شملنا، وأذهب حزننا، ولم يضع جهودنا. أيها الشعب العزيز، قد أخلصتَ الوفاء كما أخلصتَ، وأدّيتَ الواجب أحسن أداء كما أدّيتَ، وها أنا بينكم كما تعهدوننا، حب البلاد رائدنا، وخدمتها غايتنا. الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور»¹.

وصدق من قال: «إن تضحية كل مواطن مخلص في سبيل بلاده، وفي سبيل مقدساته العليا، لئن كانت بالأمس تنتسب إليه بحكم الفعل والعمل، فإن هذه التضحية تصبح فيما بعد تاريخا ومجدا لأمة بأكملها، وتعد موروثا مقدسا، ومنزها عن كل تلاعب أو خلط، وتمسي منارا تهتدي به الأجيال في مسيرة الحياة اليومية والمستقبلية»².

وعلل فقال: «لذلك فمن الواجب علينا كمقاومين، وفاعلين في مسرح أحداث الأزمة المغربية، والحركة التحريرية، أن نساهم في بناء هذا التاريخ، وفي جمع صفحاته المغمورة، وأن نشارك في هذا العمل الوطني النبيل، الذي لم يكتب عنه إلا القليل من الكتابات الجادة الصادقة، وفاء لأرواح إخوان لنا من رواد العمل الفدائي، ممن استشهدوا في ساحة المعركة، الذين استرخصوا أعز ما لديهم، من أجل هذه البلاد، والدفاع عن عزتها وكرامتها، وشرف أبنائها البررة»³.

آثار ثورة الملك والشعب في الحياة الوطنية:

إن نجاح أية ثورة حضارية يقاس بمردوديتها التي تعود بالنفع العام على الأمة الثائرة بأكملها. و«إن ما حققه المغرب من إنجازات، وما رفعه من تحديات، يعتبر امتدادا لمجموعة من الثورات في مختلف القطاعات»⁴.

وتبقى هذه المردودية في تنام مستمر متى كان وراءها الإخلاص من البناء، الكفيل برفع درجة الوطن، وفاء لأرواح أبطال الأمة، وفي مقدمتهم من ضحوا بما لم يضح به أحد غيرهم من أحرار العالم، وقادة الدنيا، الذين يتموضع في وسط عقدهم اليتيمة العصماء، قائد ثورة الملك والشعب، بطل الحرية والاستقلال، جلالة الملك المشمول بعفو الله، طيب الله ثراه وأكرم مثواه، الذي أعطى لدولته وشعبه من نفسه وأسرتة الشريفة، وعرشه المجيد، أروع الأمثلة في التضحية والفداء، وأصدق معاني الإخلاص

1 - مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد الرابع والأربعون. شتنبر 1996 م. ص: 35-36.

2 - مجلة المقاومة وجيش التحرير. العدد الخامس والأربعون. شتنبر 1997 م. ص: 73-74.

3 - نفس المرجع.

4 - دعوة الحق. العدد 423. ذو القعدة 1438 هـ/ غشت 2017 م. الفقرة الخامسة من «افتتاحية» العدد.

والوفاء، من أجل الحرية والاستقلال والكرامة والوحدة، والتضامن والإصلاحات، سيرا على نهج أسلافه المنعمين، الذين كانوا يعتبرون الإخلاص لله وللرسول مواصلة لحمل مشعل تلك الثورات، التي اقتبس منها، وأبدع فيها قائد الجهادين: الجهاد الأصغر؛ وهو من أجل استرجاع كرامة الأمة بتحريرها من ربة الاستعمار البغيض؛ والجهاد الأكبر؛ وهو من أجل بناء أركان الدولة ومؤسساتها وتحقيق الأمنين: الروحي، والاجتماعي، عن طريق البناء والتعمير، والتحصين، وحماية حمى الوطن والدين، وجعل كل هذا وغيره من مقومات جهاده، تغمده الله تعالى بواسع رحمته، ومنها:

- إقام نظام للقرويين بفاس، وتأسيس كلية ابن يوسف بمراكش من الجامعة إلى محو الأمية.

- عنايته قدس الله روحه الكبيرة بتطوير الكتابات القرآنية، بإدخال بعض الدروس التي لم تكن تدرس فيها يومذاك إليها، وتعيين علماء أكفاء، ليقوموا بإعطاء دروس علمية في هذه الكتابات، كما تم تعيين آخرين يقومون بالتدريس في المساجد في علوم معينة، يوافق عليها السلطان العالم الصالح المصلح.

- احتضانه أكرم الله مثواه لثورة كبرى قبل النفي وبعده، في الميدان التعليمي وبصورة أكبر في أواخر سنين الثلاثين، زمن التبني، وإعطاء الانطلاق، وفي سنين الأربعين، احتضان جلالته هذا التعليم الحر إشرافا، وتنظيما، ومراقبة، وترؤسا للجان وضع البرامج، وللجان وضع الكتب الدراسية لهذه المدارس الحرة، عدا تدشين مدرسة هنا ومدرسة هناك، في كل من مدينة الرباط، وفي مدن سلا، والدار البيضاء، وفاس، وسطات، ومراكش، وفي أي مكان ينتقل لتدشين هذه المؤسسات التعليمية الحرة. وأشهر المدارس الحرة الثانوية بالمغرب، مدارس محمد الخامس بالرباط.

- انفتاحه قدس الله روحه على الحضارة المعاصرة:

■ ففي ميدان الانفتاح على الحضارة المعاصرة، والاستفادة من التطور العلمي في الغرب، أرسل أكرم الله مثواه في منتصف سنوات الأربعين، أول بعثة لتدرس في الخارج على نفقته الخاصة، لتدرس هذه البعثة الطب وغيره من العلوم الطبيعية، والكيميائية، والهندسية، والرياضية.

■ وفي الميدان الثقافي والفكري، كان الملك المجاهد يؤمن بأهمية الثقافة البناءة، والفكر المبدع الخلاق والنزيه في نفس الوقت. فعمل على تكوين لجنة لكتابة تاريخ المغرب، وأخرى لكتابة أو تأليف الكتب المدرسية، التي يمكن أن تدرس في جامع القرويين بفاس، وابن يوسف بمراكش، وغيرهما. كما أسس أسكنه الله فسيح جنانه على حسابه، مطبعة بهدف فتح الباب للتوجه نحوها، ثم ليس فقط في مجال التصحيح الديني، ولكن كذلك في مجال التكوين والتعليم والثقافة والإبداع، والفكر الإنساني والسياسي.

إن ثورة الملك والشعب، قادها فقيه العروبة والإسلام، جلالة الملك محمد الخامس تغمده الله

تعالى بواسع رحمته، صاحب المواقف الرائدة، والشجاعة الفذة. وقد أصبحت بعد انتقاله إلى جوار ربه، أكرم الله مثواه، ذكرى عزيزة على قلب كل مغربي، وعربي، ومسلم، لما فتحت من الآفاق أمام كل مستعمر مقهور في بلاده، يخلدها الشعب المغربي بكل فخر واعتزاز، في العشرين من شهر غشت من كل عام. وإن الأصدق في الحكم يكون ممن عرف المحكوم عليه معرفة حقيقية، ولا تتم للآباء الكرام إلا من أولادهم البررة.

ومن أبر الأبرار بوالده السلطان الملك محمد الخامس، أكرم الله مثواه، ولده البار، ورفيقه في الكفاح والمنفى، والمجاهد معه في بناء أسس أركان الدولة المغربية الشريفة، ولي عهده ووارث سره من بعده، وجهبذ زمانه، أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه، الذي قال في حق والده المنعم مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه: «إن ذكرى ثورة الملك والشعب، محطة سنوية، تذكرونا بالكثير من المواقف النبيلة، من أبرزها: موقف الراحل محمد الخامس من الاستعمار، ناهيك عن ثباته على ما تقتضيه روح الوطنية، التي كان يلمسها في تحركات ومواقف الكثير من الرموز السياسية والوطنية، ناهيك عن إدراكه العميق للروح العالية لباقي أفراد الشعب المغربي المجاهد». ويقول المشمول بعفو الله الحسن الثاني رحمة الله عليه في كتاب «محمد الخامس فكرة وعقيدة» معبرا عن هذا الضرب من الإحسان العميق، بالروح الوطنية التي كان يتشبع بها الراحل: «في هذا الموقف الرهيب أذكر فترة تاريخية عشتها بجانبك، حينما تكالب علينا الاستعمار، مهددا لجلالتك، متحديا لمهابتك، يساومنا على أن نرضى بالذنية في وطننا، ويرادونا على أن نرهن مصير الأمة في عبودية مستمرة، مستعملا لذلك أنواع التهديد... إنك لا تزال أمامي يوم أن طُوقَ القصر، وقد نظرت إليك نظرة إشفاق، فقلت: «لا تخف إن الله معنا»¹.

فقول الولد البار للوالد المبرور في لحظة الحق والحسم: «لا تخف إن الله معنا»، عبارة فيها حس تأصيلي اقتباسي، اقتبسها المشمول بعفو الله وسند والده، ومنسق العمل الوطني بين والده المنعم، قدس الله روحه، وصفوة من رجال الكتلة الوطنية، الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، من قوله جده، المصطفى سيدنا محمد ﷺ، لصاحبه أبي بكر، رضي الله عنه، ﴿ثانك اثنين إنا هما في الغار﴾²: ﴿لا تخزن إن الله معنا﴾³. وفي هذا تأصيل، والرجوع إلى الأصل في تدبير المحن، واستخلاص الدروس والعبر، أصل. فرسول الله ﷺ تحيط بمكان وجوده في غار جبل ثور، عصابة حاقدة من القتل للإجهاز عليه وعلى صاحبه وللقضاء عليهما.

1 - دعوة الحق، 423، ص. 14، ذو القعدة 1438هـ / غشت 2017م.

2 - سورة التوبة. الآية: 40.

3 - سورة التوبة. الآية: 40.

والسلطان المؤمن بربه، المتأسي بجده عليه الصلاة والسلام «سيدي محمد بن يوسف» قدس الله روحه، وهو مطوق قصره العامر، مهجوم عليه بوقاحة المعتدين، ومكر المخادعين، وصلف المتجبرين، من سلطة الحماية، دون وجه حق، لإرغامه على التنازل عن العرش، أو الإبعاد إلى منفى سحيق.

والرسول الكريم محفوظ بوعد من بعثه رحمة للعالمين، في قوله -عز وجل-: ﴿فاصنع بما تومر وأعرض عن المشركين، إنا كفييناك المستهزئين﴾¹.

والسلطان المؤمن، الشهم الشريف، مكلوء بعناية الله عز وجل، الذي ولاه أمر شعبه الوفي، المخلص لله وللوطن وللملك، مسنود بنسبه الشريف، ومحبوب من شعبه الذي جعل روحه على كفه، للوفاء ببيعته، على السمع والطاعة، في المنشط والمكره، وإلى حد الموت. بيعة بينهما ميثاق غليظ، لا يبلى ولا ينقطع، ولا تنفصم عراه بين راعي الأمة ورعيته. هذه البيعة المباركة من بيعة النبي ﷺ من صحابته الكرام، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

فعن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه عن جده، قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر، واليسر، والمنشط، والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»².

وبيعة ولي أمر المسلمين من شعبه الوفي، من بيعة رسول الله ﷺ، التي هي أيضا بيعة الله -تبارك وتعالى- القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُ لَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾³.

بهذه البيعة تسلم السلطان المعظم، والملك القائد الملهم سيدي محمد الخامس أكرم الله مثواه، وقرر ولو كان الثمن النفس والولد والعرش، والوطن والشعب، ألا يحدث في الحكم بالمغرب ثغرة يتسرب منها الدخلاء، الظلمة المعتدون، ففضل النفي والمصير المجهول على التنازل عن العرش، وتحقيق طموح المستعمرين، وهدف المستغلين المعتدين.

وبنفس البيعة أعطى الشعب المغربي عهده لملكه، ورمز سيادته، وحرّم على نفسه نقض عهد أعطاه بسم الله، وأسوة بصحابة رسول الله ﷺ، لأنه يعلم يقينا أن نقض العهد غدر تبرأ الله ورسوله من صاحبه، ولا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولأن البيعة: عقد شراء نفس ومال، يقدمها الإنسان، فينال

1- سورة الحجر. الآية: 94-95.

2- رواه مسلم.

3- سورة الفتح. الآية 10.

من ربه الحصانة من النار، بدخول جنة النعيم ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا﴾¹.

فطوبى للعرش العلوي المجيد بالشعب المغربي الوفي، وطوبى للشعب المغربي الوفي بالعرش العلوي المجيد، وطوبى لهما بنصرهما على سلطات الحماية، بوفائهما ببيعتهما، وبإيمانها بأن أمر «السمع والطاعة» ليس محصورا في الولاية الكبرى، والإمامة العظمى، وفي خليفة رسول الله ﷺ، ولكنه ممتد إلى الأمراء، إلى الولاة، إلى كل من تولى أمرا من أمور المسلمين، على أساس من منهاج معين، في واقع معين، وظروف معينة، تحت القيادة الرشيدة، لمن بايعته أمته، عن طريق أهل الحل والعقد فيها، بيعة جلى حقيقتها أمير المؤمنين، جلالة الملك الحسن الثاني، أكرم الله مثواه، في قوله الشريف: «البيعة هي في عنقي وفي عنقكم، المغاربة بايعوا ملكهم بيعة الرضوان، وفي مقابل تلك البيعة، الملك بايع في شكله المغاربة، حينما يتعهد بضمن حقوقهم، وأول حق عند المغاربة هو الاستمرار في مغربيتهم، ولكن ليست أي مغربية، بل مغربية شريفة، كريمة، أنيقة، نظيفة طاهرة»².

ويبقى على الأمة المغربية العريقة الأصيلة الماجدة، دائما واجب الاحتفال بذكرى ثورة الملك والشعب، المناسبة الوطنية الجليلة، لتذكير أجيال الأمة في هذا الوطن الغالي، بأن استقرارنا اليوم وغدا كانت تقف وراءه شخصيات وطنية حرة ومخلصة، عرفت معنى الوطن والوطنية، «هذه الأخيرة لا يكون لها مذاق إلا بتوفر الارتباط العاطفي بين القصر والشعب»³.

هذا الارتباط أنتج تحقيق عدد كبير من الإنجازات الهامة على عهد الملكين الجليلين، المجاهدين، مولانا محمد الخامس، ومولانا الحسن الثاني، أسكنهما الله فسيح جنانه، وأسس لعهد أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس، أعز الله أمره، لتكون حصيلة إنجازاته الملكية صعبة الحصر... فهي ما تركت مجالا إلا وتدخلت فيه بحكمة، وخرجت منه بانتصارات مبهرة، ونتائج عديدة وقيمة، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. وهذه نماذج منها:

(1) تشكيل «هيئة الإنصاف والمصالحة» لتعويض المواطنين المتضررين، والمناطق التي تعرضت للتهميش واللامبالاة.

(2) إنصاف المرأة، وتمتعها بحقوقها المشروعة، بمراجعة مدونة الأحوال الشخصية، فجاءت بفضل التوجيهات الملكية السامية، وجهود العلماء والخبراء ضمن اللجنة الملكية المكلفة بالموضوع، إنجازا أشادت به جميع المنظمات الحقوقية في العالم.

1 - سورة النساء. الآية: 96.

2 - دعوة الحق. السنة التاسعة والخمسون. العدد: 417. شعبان 1437هـ/ يونيو 2016م.

3 - دعوة الحق. السنة التاسعة والخمسون. العدد: 423. 1438هـ/ غشت 2017م. ص. 16..

(3) حماية حقوق الطفل في الحياة، والصحة والتعليم، والعيش الكريم، حتى إذا شب، وجد أبواب العمل بعد تأهيله، مفتوحة في المشاريع الكبرى، والمتوسطة والصغرى، مدعوما من ولي أمره، ورائد نهضته، وضامن أمنه واستقراره، بتوجيهاته لكل القطاعات المختصة ببناء قدرات الشباب، والحفاظ على طاقته العقلية والروحية والجسدية، حتى تكتمل شخصيته، ويصبح محبا لوطنه، مطيعا لقيادته، متفانيا في خدمة أمته... فيستذكر الشباب المغربي قرب ملكه منه، وسيره به إلى مستقبل أفضل وأسعد، وعيش أطيب وأرغد.

(4) مكافحة الإرهاب بنوعيه: الخفيف والعنيف، بتصدي جلالته الشريفة للخطابات المتطرفة النارية، بالعمل على إطفائها بإقناع المقتنعين بها، عن طريق إشاعة الإسلام الوسطي المعتدل، وإبطال كثير من العمليات الإرهابية في مهدها... وإنشاء معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، في عام 2015م. وبإنشاء أو توسيع المجالس العلمية المحلية، لتشمل جميع العمالات والأقاليم على امتداد التراب الوطني، مع إحداث «لجنة الإفتاء» من كبار علماء المجلس العلمي الأعلى، الذي يتشرف بالرئاسة الفعلية لمولانا أمير المؤمنين، جلالة الملك محمد السادس، أعز الله أمره، وبالتأطير الديني للجالية المغربية في مختلف دول العالم.

(5) وعلى المستوى الاقتصادي، فقد دشّن حفظه الله ورعاه، المشاريع العملاقة، كافتتاح ميناء طنجة المتوسط عام 2007م، المرتبط بـ 186 ميناء، في 77 بلدا. كما دشّن، أطال الله عمره، خطا للقطار الفائق السرعة «البراق»، يربط مدينة طنجة بالعاصمة الاقتصادية للمملكة المغربية الدار البيضاء. وفي عام 2016م، افتتح حفظه الله مؤسسة «نور» لإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية.

(6) وفي مجال سياسة المغرب الخارجية، فقد تبني رعاها الله وسدد خطاه، نهجا قوامه تعزيز الوطنية، وفي صدارتها عودة المغرب سنة 2017م، بعد 30 سنة من الغياب عن منظمة الاتحاد الإفريقي، مدشنا أكرمه الله بكامل الصحة وتمام العافية، توجهها جديدا نحو القارة السمراء. ومع دول الجوار، ودول جنوب الصحراء، انتهج فلسفة سياسية ثابتة في تعامله معها، مكنته من مد جسور التواصل مع بقية الدول الإفريقية، وتعامله الإيجابي «رابع رابع»، مع قضايا القارة المتناثرة.

(7) كفاح الهجرة غير الشرعية، وابتدع لها نصره الله وأيده أنموذجا يحتذى به، باعتماده سياسة وطنية منطلقة من باب إنساني منذ سنة 2013م. وفي دجنبر 2018م، ترأس المغرب في مراكش القمة الحادية عشرة للمتندى العالمي للهجرة والتنمية. وفي نفس السنة، وفي ذات المدينة استضاف المغرب أيضا المؤتمر الحكومي الدولي لاعتماد الميثاق العالمي للهجرة الآمنة، والمنظمة والنظامية، والذي توج بتبني اتفاق مراكش من قبل ممثلي 165 حكومة، وهو الاتفاق الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة.

8) وفي مجال البر والإحسان، والتضامن، ووطنيا ودوليا، أسعدت جلالته المؤيدة بالله، الأسر العفيفة قبيل كل شهر رمضان، بمساعدات غذائية، تعزيزا لمبدأ التكافل والتضامن بين شرائح المجتمع المغربي؛ وتقديم المملكة المغربية بتوجيهات سامية من جلالته المنيفة، الرحيمة، العظوفة، لعدد من الدول الإفريقية، ملايين المعدات الطبية والأدوية في مواجهة فيروس «كورونا- كوفيد19»، خصوصا في البلدان الإفريقية الفقيرة. ولمواساة الشعب اللبناني الشقيق، وللوقوف إلى جانبه في الكارثة التي أصابته بتفجير «مرفأ بيروت»، أرسل المغرب من المساعدات ما لم ترسله أية دولة في العالم.

فهنيئا لكل المغاربة بما تحقق لنا من حرية واستقلال، ووحدة ترابية، ومنجزات عملاقة، وأمن روحي واجتماعي، بفضل تلاحم العرش والشعب في مسيرة وطن، قادها ملوك الدوحة العلوية المنعمين، فكونت نبراسا هاديا إلى المجد، وأنموذجا كان على الدوام الأثبت والأقوى في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، والأشد في الدفاع عن قضايا الأمة المغربية بثقة تامة، في أن المغرب بقيادته العلوية، وعزم وإرادة شعبه، قادر على تحويل التحديات الصعبة الشائكة إلى فرص سانحة، لاستشراف المستقبل الأفضل في «ذكرى ثورة الملك والشعب»، التي خاضها السلطان الملك المفدى، المجاهد محمد الخامس، قدس الله روحه، وحامل لواء التحرير معه، والبناء بعده أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، نور الله ضريحه، الذي سار وارث سره، والضامن لتلاحم العرش والشعب بعده، أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس، على نهجه في الكفاح، وتوسع في البناء والتعمير والتطوير، والحفاظ على الوحدة الترابية، وتثبيت عرى التلاحم بين العرش والشعب، وغرس قيم الوطنية الحققة، ومتابعة فتح الأوراش الكبرى لتشغيل الطاقات الحية في الوطن الغالي، من مثل المختبر الوطني لصناعة اللقاحات المختلفة للأمراض والأوبئة، والعمل على استرجاع الأبحاث المغربية، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، غذاء، ودواء، وعتادا.

فلقد وهبه الله ناصرته ومؤيده، خصال جده العظيم، ووالده الجهيد الحكيم، وميزه بالصبر الجميل، والتسامح المشروع، والقرب من شعبه الوفي الذي يحبه ويخلص له، والإحساس بما يعانيه في بعض جوانب حاجاته، فيوفر له حاجاته، ويحقق له مبتغاه بعناية لا تنقضي، وحنو لا يخف، وتقدير وكرم منقطعي النظر.

أعانه الله وحفظه في حله وترحاله، وخلد في الصالحات ذكره الذي سارت به الركبان، لحكمته في القيادة، وبراعته في التدبير، وشجاعته في اقتحام الصعاب، من أجل عزة الوطن، أرضا، وإنسانا، وأقر عينيه الكريمتين بولي عهده المحبوب، صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي الحسن، وشد عضد جلالته المنيفة بشقيقه السعيد، صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، وبكافة أفراد أسرته الشريفة.

إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير. والحمد لله رب العالمين. /.

ذكرى ثورة الملك والشعب، تجديد بيعة وصلة ماض بحاضر، وتطلع لمستقبل مشرق.

• ذ. محمد الزباني

رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر.

من منن الله على الإنسان أن جملة بالعقل، وزوده بالإرادة، وفطره على عشق الحرية، وبَغْضٍ إليه التسلط وقبول الظلم، والرضوخ لاستفزازات أهل العدوان، وحبب إليه حياة العيش الكريم في جماعة بشرية متعاونة على الخير، متصدية لمشاريع البغي والطغيان.

لقد تعرض الشعب المغربي الأبي خلال حقبة الاستعمار الفرنسي إلى المساس بأقدس مقدساته الدينية والوطنية لأيام عصيبة، كان فيها منكودا، وكان كلُّ يوم من تلك الأيام لديه عبوسا قمطيرا، لكنه دافع عن حقه في الحرية والسيادة دفاع المؤمنين، وكافح من أجل إنهاء الاستحواذ الاستعماري كفاح الموقنين الصادقين، متحليا بصبر غزير، ومتسلحا بصمود كبير، إلى أن عانق الحرية، وعافس عيش الانعتاق، فتحقق له وعد الله لكل شعب مؤمن، في قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾¹.

فمن أعظم ما مر به المغرب في تلك الحقبة من المحن ما تعرض له يوم 20 غشت 1953 م، حين فُجِعَ بالمساس برمز سيادته بطل التحرير مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه، الذي نالته يد التسلط والجبروت، وتناولت عليه ذراع الغدر الماكرة فأبعدته عن عرشه، وحجبت عن شعبه، برفقة أسرته الشريفة، فكان ما كان من هيجان شعبي متلاحم بعرشه، حتى أذهب الله الحزن، واندحر العدو الغشوم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾².

لقد كانت فصول المكايد الاستعمارية، وصور الإذاية الممقوتة من سلطات الحماية على الشعب

1- سورة النور: 53.

2- سورة فاطر: 34.

المغربي المظلوم متلاحقة الأشكال، متصلة الحلقات، منذ وطئت قدم المستعمر الفرنسي أرض المغرب، وحدث نفي الملك المجاهد عن عرشه، ما هو إلا النقطة التي أفاضت الكأس، غير أنه كان أشد ألماً على المغاربة قاطبة مما قبله، لقد أشعل هذا الحدث شرارة المقاومة من جديد، وبوتيرة غير مسبقة، وألهب مشاعر الغضب لدى الشعب ضد وجود المحتل الغاصب.

فما السبب المفجر للثورة الوطنية حينذاك؟

إن مجمل الأسباب الذاتية الداخلية المتضاربة المؤدية إلى تفجير الوضع بما يمكن أن يوصف، أنه ليس في حسابان العدو المحتل، ما يلي:

1- التناول على العرش الذي يعتبر أهم الأسباب التي سرّعت بانجلاء زمن القهر، وبزوغ فجر الاستقلال، فإنه ما إن سمع المغاربة بتنحية ملكهم الشرعي عن عرشه من قبل سلطات الحماية، وتنصيب زعامة مزيفة موالية لمخططها الغاصب، منفذة لحكمها الجائر، حتى هب المغاربة عن بكرة أبيهم في الحواضر والبادي، وفي المدن والقرى، في انتفاضة عارمة نافضة منتفضة، رافضة للسلوك الأرعن، نائرة في وجه التصرف المستهجن. فانطلقت الأمة المغربية في درب الجهاد المقدس، معلنة للعالم أنها خائضة على أرضها أوسع معارك التحرر، وأسرعها في تاريخ الشعوب المقهورة. فانكشف لألة القمع مع مرور الأيام أنها أمام شعب لا قبل لها بمواجهته، حيث استطاعت المقاومة الوطنية الباسلة هنا وهناك، أن تسدد ضرباتها الموجهة إلى نحر المستعمر البغيض، وما زادت الأيام وتشديد أساليب القمع، عمليات التضحية والفداء إلا التهابا، فسجل المواطنين والمواطنون، المجاهدات والمجاهدون خلال ملحمتهم تلك أبداع الأسطورات، وسطروا أروع البطولات.

ولم تخمد الثورة منذ غياب السلطان الشرعي إلا بعودته، وبرؤية جبينه الشريف وهو يطل بطلعته البهية من على مدرج الطائرة يوم 16 نونبر 1955 م.

2- جهل المحتل الباغي بالتاريخ الحضاري، والماضي المتوهج المشرق للمغرب والمغاربة، أو نسيانه أو تناسيه لما تحتزنه الذاكرة الوطنية من شموخ عريض، ومجد عريق، يعد المواطنين والمواطنون الاقتراب من حوزته خطاً أحمر، فضلاً عن اقتحامه وامتهانه:

- لقد نسي المحتل أو تناسى أنه يمارس عربدته الخسيسة فوق أرض الصالحين، ويواجه في معاركه أحفاد الفاتحين.

- نسي المحتل أو تناسى كيف أقام المغاربة الدنيا ولم تقعد لصعد المستعمرين الأوائل قبله: من الوندال والرومان والبرتغال، فما أفلح أحد في إطالة المكث في عمق المغرب، فإن كان شيء من ذلك حاصلًا فعلى شط البحرين.

- نسي المحتل أو تناسى أنه يحتل بلد أقدم جامعة علمية في العالم "القرويين" بفاس العتيقة، ظلت لقرون حاملة لواء العلم، والعدل، والعرفان، وشع منها سباق بشري في مضمار الرقي العلمي، والتقدم الحضاري، بلغ أقصاها الدنيا بما في ذلك أوروبا موطن المحتل الغاشم.

3- عدم تقدير المستعمر لردة الفعل التي كانت لطمة في وجهه غير محسوبة، فقد انجفل الشعب على غير ما كانت قوة سلطات الحماية متوقعة، يسوقه تيار جارف من الأنفة والإباء، نحو ميادين الشهادة ونيل إحدى الحسينين، كأن حشود المواطنين في كبريات الحواضر طوفان مباغت، ومردودة فعل الشعب المغربي الأبى كان وقودها الذي أروى زندها وأهب شهوبها في الصدور، ردة فعل الجالس على العرش مولانا محمد الخامس الذي رفض الخضوع لإملاءات العدو المستعمر بالتبرؤ من الوطنيين، ولو أدى ذلك الرفض إلى التضحية بأعلى ما يمكن التضحية به وهو الملك. ويتضح أن الذي أوقع سلطات الاحتلال في مواجهة الردتين، ردة العرش وردة الشعب، هو الجهل بما يربط العرش العلوي بالشعب المغربي من تلاحم ديني ووطني، تمتزج فيه عقيدة التوحيد بعقيدة الولاء للعرش المجيد، مزج بينهما عقد البيعة الشرعية المنبثق من روح الشريعة الإسلامية، والمقتبس من معين حب الوطن، والدفاع عن كيانه حتى آخر قطرة من الدم.

4- المراهنة الفارغة والهشة على ثلة من الخونة لله وللوطن وللملك وللبيعة الشرعية، والاغترار بشرذمة موالية له، مستعدة لتنفيذ مشروعه التخريبي، بحيث كان المحتل يظن أن تغيب القمة عن قاعدتها، وحجب السلطان الشرعي الذي يستمد منه الشعب عناصر نخوته الوطنية، ويستقي منه جرعات غيرته الدينية، سيؤول بقلوب المغاربة بعد حين إلى خمود ونضوب، بعد أن يروا قيادة بديلة تساهم سلطانهم الشرعي. أراد المحتل أن ينسى الشعب، فنسي المحتل ولم ينس الشعب. نسي المحتل شمم وإباء الشهيد علال بن عبد الله، وشجاعة المجاهد الخطابي، وشهامة الشهيد الزرقطوني، وأنفة المجاهد علال الفاسي، والمختار السوسي الشبايية، وغيرهم كثير، الذين لقنوا إخوتهم المواطنين والمواطنين مبادئ التفطن لدسائس الاستعمار، وأعطوا من أنفسهم لرجال المقاومة زادا من أساليب التضحية والفداء في ميادين الاستشهاد، وكانوا أسوة حسنة لهم في الثبات على المبادئ، والصمود على المواقف الشريفة، ولم تفلح أساليب مكر المستعمر في إثارة النعرات، وخابت وانكشفت سياسة "فرق تسد"، حتى لم يبق أحد من عموم المواطنين إلا تفطن لها.

وهكذا توالى تسطير البطولات، وكسب المعارك تباعا، حتى أيقن العدو أن استمراره على نهجه القامع الجائر إنما يصب به الزيت على النار، ويرفع به مستوى الاحتقان الشعبي إلى آفاق غير مدروسة،

وإلى نتائج غير محسوبة، فاضطر مقهوراً إلى الجلوس للمفاوضات مع صاحب العرش ورجال المقاومة الباسلة، فحقق الله النصر والظفر، وخيب آمال من فجر وكفر، وسقط في أخدود الغدر من هياه وحفر.

ما ذا أَعَدَّ ذُوو شعر وإنشاد؟ *** هاتوا القصيدَ فهذا حينُ ميعاد
 قد حل عشرون من آب ولستُ أرى *** قد حل إلا لتذكيري وإسعادي
 إني لأذكره في الناس منقبة *** أزهى بها شاد أسلافي وأجدادي
 ولم تزل في الوري أصداءُ شهرته *** تروي ملاحم أجدادي لأحفادي
 وافيت يا مانح الأعياد بهجتها *** لولاك ما كنتُ أدري كلَّ أعيادي
 لما تعالى زئير الشعب: ليس لنا *** غمض، وأيدي العدا مُدَّتْ لأسيادي
 عَرَّ البغاة سكونُ الشعب، ما علموا *** أن الجماهير أسيافُ بأغمد
 لم ترتض العيش إلا أن يعود لها *** عهدُ ابن يوسفَ لن ترضى بأوغاد
 محمد الخامس الميمون طالعه *** من جرَّع القهرَ بعد القهر حُسادي
 يميناه في الطعن للباغين وارثه *** شهمُ المسيرات باني ركنِ أمجادي
 نبُعُ الرؤى الحسن الثاني ومُلهمُها *** يُدعى بذِي بصر في الحكم وقاد
 يرمي الزمان بآراء مسددة *** من الرباط إلى شام وبغداد
 مضى وغادر فينا سر حنكته *** يحمي العرين فلا نخشى من العادي
 محمد السادس المحبوب، من يده *** للشعب ما خُلقت إلا لإمداد
 الله آتاه في أسرار دولته *** ما لا ترى العين من جيش وأجناد
 إنا لننعم في أفياء دوحته *** بالأمن حين يموج الخوف كالوادي
 دام العلي بولي العهد تلحظه *** عين الإله؛ ليبقى رِداءُ إسناد
 دام الرشيد، فلا خوفٌ على وطن *** حراسُ حُرُماته أشبالُ آساد

(من وحي الذكرى)

ما ذا أَعَدَّ ذُوو شعر وإنشاد؟ *** هاتوا القصيدَ فهذا حينُ ميعاد

لقد كان لحدث ذكرى ثورة الملك والشعب (20 غشت) صدهاء على كل الانتصارات الآتية من بعده، فقد انتصر المغاربة داخليا بوحدة متماسكة، عز في دنيا الناس نظيرها، وقل تحت الفرقدين مثلها، فقد دبت روحها في كيان العرش والشعب لاستكمال الوحدة الترابية، بعد تصلب الوحدة الاجتماعية الداخلية، فتمكن المغرب من استرجاع مدينة طرفاية في فبراير سنة 1968م، واتجه الطموح الوطني لاسترجاع منطقة أيت باعمران ومركزها المحتل آنذاك سيدي إفني، فتم ذلك بحمد الله في يونيو سنة 1969م؛ لتقوى الآمال العريضة في استرجاع الأقاليم الجنوبية المغتصبة، فأعطى أمير المؤمنين الحسن الثاني أكرم الله مثواه انطلاقة المسيرة الخضراء من أجل إلحاق الجنوب بالشمال، ودحر المحتلين عن آخر شبر من أرضنا الحبيبة، فكانت المسيرة الخضراء المظفرة في نونبر سنة 1975م، ليعيش المغرب على أرضه في طمأنينة وأمان، كي يتفرغ للجهاد الأكبر المتمثل في إنشاء المؤسسات الوطنية، وهو الشيء الذي قام به صانع نهضة المغرب الكبرى، باني السدود، ومحرر الصحراء جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وجاء بعده رفيقه في إنجاح المسيرات المتعددة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأعز أمره، قائد الثورة البنائية والإنمائية العملاقة، ورائد الحركة العمرانية الحديثة في شتى ميادين الحياة، أدام الله عزه ونصره، وأيد بعونه سلطانه.

وقفات تأملية في ذكرى ثورة الملك والشعب المميزات والمستفادات

ذ. عبد الإله التاج

رئيس المجلس العلمي المحلي بإقليم الحاجب.

دأب المغرب منذ فجر استقلاله على الاحتفال بذكرى ثورة الملك والشعب، باعتبارها حدثا مفصليا في التاريخ المغربي الحديث، بما هي منعطف جوهري في نضال المغاربة ملكا وشعبا ضد سلطة الحماية الاستعمارية، ومن ثم فهي من الذكريات الوطنية المجيدة التي ميزت تاريخنا الوطني الحديث، وكشفت عن مدى الالتحام بين الشعب والعرش، وجهودهما النضالية المستمرة، مما شكل جبهة قوية ضد كل المؤامرات.

فبهذه الروح، وبهذه الفلسفة، أكد صاحب الجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني (ت 1999م) بقوله: «فعلينا شعبي العزيز إذن أن نتخذ العبرة من هذه الذكرى، علينا أن نعلم أن أمامنا جهادا مستمرا، وبالأخص فيما يخص الأجيال الصاعدة»⁽¹⁾.

إن الاحتفال بمثل هذه المناسبة يبدو أول ما يبدو ضرورة تاريخية، وواجبا وطنيا في نفس الآن، حيث إن التأمل والاعتبار في الأحداث الهامة للأمة، سواء كانت دينية أم وطنية ليعد مطلباً قرآنياً، وجه إليه الكتاب العزيز، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾⁽²⁾.

وأيام الله هي الأيام المشهودات التي شكلت وتشكل بصمة قوية في تاريخ الأمة، لأنها الأيام التي ساهمت في صنع كيان الأمة، وطبعته بطابعها الخاص، وغدت - هذه الأيام - معلمة في التاريخ، يسترشد بها الخلف عن السلف.

كما أن الاحتفال يأخذ طابعا تربويا، لأنه الأداة الأساسية للحفاظ على الذاكرة التاريخية.

1- المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - الخطب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة من محمد الخامس إلى محمد السادس. ثورة الملك والشعب 1956-2000م. مطبعة عكاظ. يناير 2001م. (د. ط.). خطاب 20 غشت 1998م. ص 260.

2- سورة إبراهيم. الآية 7.

وفي هذا كان التوجيه الملكي السامي للمغفور له جلالة الملك الحسن الثاني في خطابه بنفس المناسبة سنة 1984 م حيث قال: «إياك ثم إياك- شعبي العزيز- أن تكون نَسَاءً، بل كن ذَكُورًا، إنك اليوم وغدا وبعد عقود، إذا تذكرت ملاحمك وتاريخك، كيفما كانت العواصف التي يمكن أن تهب عليك، والإعصارات التي تهددك، يكفي أن ترجع وبسهولة إلى قاموسك الضخم- قاموس تاريخك- وستجد فيه ما يجب أن تجد من المراجع ومن الفتاوى التاريخية لتغلب على الصعاب، وليبقى المغرب هو المغرب»¹.

فتأسيسا على ما سبق، يمكن التأكيد على أن الاحتفال بوعي، إحياء للذاكرة وتحصينا للذات الجماعية للمغاربة، وتوجيهها لإدراك مقوماتها التاريخية والهوياتية، ومن ثم يتشكل الوعي التاريخي للأمة. فوقفنا على الحدث المجيد في هذه المعالجة، يهدف إلى إبراز أهمية الحدث ودوره في ترسيخ بناء الدولة المغربية الحديثة، وتطور المجتمع المغربي، وسنعمد في هذه المعالجة إلى تقسيم الموضوع إلى محورين:

المحور الأول: المميزات.

وهو محور يتحدث عن مميزات ثورة الملك والشعب، للكشف عن خصائصها التاريخية:

• **الميزة الأولى للحدث المجيد:** أهم ما يميزه هو الالتحام التام بين القيادة المغربية ممثلة وقتها في جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، ووارث سره جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراهما، والقاعدة مجسدة في الشعب المغربي بمختلف شرائحه، وفي مقدمته الحركة الوطنية، ورجال المقاومة، وجيش التحرير، وهو التحام شكل نقطة ارتكاز في قوة المواجهة وفاعليتها، وإرباك حسابات المستعمر، «ذلك أن هذا اليوم يوم التضحية ونكران الذات، انطلق فيه الملك والشعب إلى ميادين الكفاح، ذاك وجود بملكه وأسرته وجاهه وحرته في سبيل شعبه ووطنه، وهذا يفدي ملكه وعرشه بنفوس أبنائه، ودمائهم، وما ملكت أيانهم»²، فما عبر عنه التوجيه الملكي السامي في خطابه هو مرتكز الالتحام ومرتكز التضحية، كل من جانبه في سبيل الوطن وسيادته وعزته، سواء تعلق الأمر بالملك أو الشعب.

• الميزة الثانية:

إن الحدث يؤسس لنفسه على تركيبة دينية وسياسية وحضارية، فجانبها الديني يتجسد في كون المقاومة والجهاد أمانة في عنق ملك البلاد، وحامي حمى الملة والدين، والساھر على حوزة الوطن،

1- المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير- الخطب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة من محمد الخامس إلى محمد السادس. ثورة الملك والشعب 1956-2000 م. خطاب 20 غشت 1984 م. ص 172.

2- المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير- الخطب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة من محمد الخامس إلى محمد السادس. ثورة الملك والشعب 1956-2000 م. خطاب 20 غشت 1959 م. ص 27.

بالإضافة إلى أنه أمانة في عنق الشعب، لأنه يجسد الوفاء لبيعة الملك، باعتباره أمير المؤمنين، كما يجسد الدفاع عن الوطن والدين. أما الجانب السياسي فالقضية قضية تحرير الوطن، وتحقيق سيادته، وسيادة دولته على نفسها، من غير وصاية على أمورها وقراراتها.

وبخصوص الجانب الحضاري، فإن ثورة الملك والشعب كان من أهدافها تحصين الهوية المغربية بكل أبعادها المتعددة، فالمستعمر كان من بين أهم أهدافه النيل من هذه الهوية، عن طريق تغريب الأمة المغربية والنيل من لغتها، باعتبارها رمز عروبتها ودينها، بل تعدى الأمر إلى محاولة إحداث الفرقة بين المغاربة أنفسهم عن طريق ما عرف بالظهير البربري¹، إلا أن الوعي بكل هذه التحديات والمكائد وصدها، أدى إلى الحفاظ على مقوماتنا الدينية والوطنية والثقافية، بفعل جهاد الملك والشعب، فحقق الله نصره لأهل الحق، ففرحت الأمة بنصر الله، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿إِنَّا لَنَنصِرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْقَاتُ﴾²، ويقول رب العزلة: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ، يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾³.

• الميزة الثالثة:

صلابة الموقف، وإتقان المواجهة، وهي ميزة في ثورة الملك والشعب المباركة، حيث أبان الحدث عن عزة النفس المغربية بمختلف مكوناتها، فكانت المقاومة منذ أول يوم حطت فيه جيوش الاستعمار، تعبيرا عن رفض هذا الواقع، لأنه واقع اغتصاب للأرض، ونهب للخيرات، وتشويه للذات، وإشاعة الفساد مهما تظاهر بالحماية والإصلاح.

فالواقع الاستعماري مسخ للشخصية المغربية، وإذاقتها أصناف الذل والمهانة، إلا أن التعبئة والصمود وبث الوعي الوطني والحماس الديني عبر عن تكتل صلب، جسده الوحدة والالتحام بين العرش والشعب، وهو ما عبر عنه جلالة الملك المغفور له محمد الخامس في خطاب ثورة الملك والشعب، في ذكرائها الخامسة سنة 1958 م بقوله: «أقف اليوم في هذا الصعيد لإحياء الذكرى الخامسة لثورة كبرى، كان من الممكن أن تكون ثورة الملك وحده، أو ثورة الشعب وحده، وأبت الأقدار الإلهية التي ربطتهما برباط محكم متين إلا أن تجعلها ثورة الملك والشعب معا، وإننا لنحمد الله عز وجل على ما وهب لنا فيها من فوز... وانكشفت الحجب عن مدى التجاوب الحاصل بين ملك وشعبه»⁴.

1- الظهير البربري: مرسوم أصدرته فرنسا تحت الضغط بتوقيع السلطان محمد الخامس في 16 أيار 1930 م، نص على الفصل في النواحي القانونية الشخصية بين العرب والبربر، بإقامة سلطتين قضائيتين في المغرب، واحدة للعرب، وأخرى للبربر، علماً أنه لم يكن هناك مطلب شعبي، لا من العرب ولا من البربر في هذا الشأن، ورفض البربر والعرب هذا الظهير، وعدوه أنه يفرق بينهم. ينظر: صالح أحمد القطان. سياسة فرنسا تجاه البربر وأثرها في الحركة الوطنية المغربية. 1930-1963 م. بغداد، 2009 م. ص 50.

2- سورة غافر. الآية 51.

3- سورة الروم. الآية 4-3.

4- المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - الخطاب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة من محمد الخامس إلى محمد السادس. ثورة الملك والشعب 1956-2000 م. خطاب 20 غشت 1958 م. ص 23.

هذه بعض ميزات هذا الحدث التاريخي الهام لعرش ضحى، ولشعب وفي، فكان النصر تلو النصر من عهد جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، ووارث سره مؤسس المغرب الحديث جلالة الملك الحسن الثاني، إلى خليفته على العرش العلوي المجيد، جلالة الملك محمد السادس نصره الله.

المحور الثاني: المستفادات

وننتقل الآن إلى ذكر ما تيسر من مستفادات للأجيال الحاضرة لنعي قيمة الحدث ووزنه في تاريخنا الوطني من أجل الاستثمار والتوظيف.

وأول هذه المستفادات تقدير وشكر نعمة الاستقلال، فكثيرة هي الأجيال الآن التي فتحت عينيها والوطن يرفل في العز والحرية والاستقلال، فتظن أن الأمر هين، وأن المعاناة بسيطة، وقد يستهين البعض بالتضحيات التي قام بها الآباء والأجداد، ولنعلم أن هذا الاستقلال دونه أنفس ضحت ولذات حرمت، لذلك فمن الواجب شكر الله وحمله على نعمة الاستقلال، لأن هذا الاستقلال هو الذي هيا لنا أجواء السيادة والحرية والأمن، وأعظم شكر نقوم به، هو شكر الوعي بالانتماء، وترسيخ قيم الوطنية والمواطنة، والسعي نحو تثبيت المكاسب، والحفاظ على مقوماتنا الدينية والوطنية، يقول رب العالمين: ﴿اعْمَلُوا آلَ مَآوُؤَكُمْ شُكْرًا، وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾¹.

فالشكر هنا متلبس بالعمل، حتى إذا ما تحقق هذا المنحى تحقق معه وعد إلهي أفضل، ﴿وَإِذْ تَأْتِيَنَّكُمْ رِزْقُكُمْ لَنِّ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾²، إشعارا بالتطور والنماء، فكل أمة كان شكرها شكر عمل أتاها رزقها رغدا، وعاشت الطمأنينة والاستقرار والأمن.

وثاني المستفادات؛ التعبئة الدائمة: وجدنا سابقا أن ما ميز ثورة الملك والشعب، تعبئة الطاقات الوطنية لأبناء المغرب الحر، وحالة الاستنفار القصوى في كل أرجاء الوطن، فكانت لحظة تاريخية استثنائية بامتياز.

واليوم نحن أشد ما نحتاج إلى هذه التعبئة الوطنية وراء عاهل البلاد المفدى جلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى تعبئة الالتفاف حول العرش، وتعبئة دعم المؤسسات وتطوير أدائها، ومحاربة الفساد، والانحراف والتطرف، وإعطاء الاهتمام للتنمية المجتمعية.

جاء في معرض الخطاب الملكي السامي لذكرى ثورة الملك والشعب في غشت 1999م بسط للرؤية الملكية لجلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره، حيث قال: «لذا فإننا نقديرنا منا هذه المسؤوليات

1- سورة سبأ. الآية 13.

2- سورة إبراهيم. الآية 9.

الجسيمة التي تفرضها علينا الأمانة العظمى، وتشبثا بالمقدسات الدينية والوطنية، وحرصا على تدعيم المؤسسات وتقويتها، ندعو الجميع بحزم وصرامة وبدون لين أو هوادة، إلى لزوم مقتضيات دولة الحق والقانون، في إطار الحريات التي يضمنها الدستور للأفراد والهيئات»¹.

إنه خطاب المسؤولية، ودولة المؤسسات، والحق والقانون، لفسح المجال لهذه التعبئة، والمشاركة الفاعلة في ظل دستور المملكة.

أما المستفاد الثالث هو التواصل التاريخي وربط الحاضر بالماضي، فإن أخطر ما تبثلى به الأمة هو القطيعة التاريخية كنوع من الانفصال والتنكر، فواجب أبناء المغرب اليوم أن يعرفوا تاريخهم، ويفهموا أحداثه، ويدركوا ملابساته، حتى يتحقق استخلاص منهج التعامل الإيجابي، ويبقوا أوفياء لأحداث تاريخهم، ويقتدوا بمن سبقهم من الآباء والأجداد، على درب الجهاد والمجاهدة، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَكَى اللَّهُ فِيهِمْ أَخْتِلَاهُمْ²﴾، اقتداء بالأعمال الصالحة الإيجابية النافعة للوطن وأهله، إصلاحا، وتنمية، ومواجهة للتحديات التي تفرض نفسها في عالم التحولات، وتدافع المصالح، استجابة لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ³﴾.

وختاما، إن الذين استشهدوا في سبيل هذا الوطن سيظلون أحياء بيننا، قائمين كمعالم شاهدة على حيوية الأمة المغربية، يشكلون حافزا للاستمرار على درب نفسه، وفاء للوطن، وتضحية في سبيله، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَكُفُوا مَا عُلِّقُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا⁴﴾.

1- المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - الخطاب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة من محمد الخامس إلى محمد السادس. ثورة الملك والشعب 1956 - 2000م. خطاب 20 غشت 1999م. ص 265

2- سورة الأنعام. الآية 91.

3- سورة الأنعام. الآية 49.

4- سورة الأحزاب. الآية 32.

أحداث تطوان يوم 8 فبراير 1948 م بين الروايتين: المغربية والإسبانية

ذ. محمد الأندلسي- تطوان.

شهدت مدينة تطوان عاصمة المنطقة الخليفية أو منطقة الحماية الإسبانية يوم 8 فبراير 1948 م أحداثاً دامية على إثر المظاهرة الشعبية والسلمية التي انطلقت من زاوية سيدي علي بن ريسون في اتجاه المشور، احتجاجاً على القرار الذي اتخذته السلطات الإسبانية بمنع مجموعة من أعضاء حزب الإصلاح الوطني -الذين كانوا في جولة بالشرق العربي للتعريف بالقضية المغربية- بعد وصولهم إلى مدينة طنجة الدولية عن طريق البرتغال، من الدخول إلى مدينة تطوان مقر إقامتهم. ويتعلق الأمر بالأستاذ عبد الخالق الطريس، رئيس الحزب، والطيب بنونة الكاتب العام للحزب، وأحمد أحمد بن عبود، مدير مكتب المغرب العربي في القاهرة، ورئيس الوفد الخلفي لدى اللجان الثقافية للجامعة العربية، والمهدي بنونة الذي قدم من الولايات المتحدة الأمريكية. وقد واجهت سلطات الحماية الإسبانية هذه المظاهرة السلمية بقوة السلاح والعنف المفرط، مما خلف عدداً من القتلى وعشرات الجرحى، واعتقالات واسعة في صفوف الوطنيين وعلى رأسهم كل أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني بتطوان.

هذه الأحداث الدموية كان لها صدى كبير في كل البلدان العربية التي أدانتها وعبرت عن تضامنها مع المغرب في مواجهة السياسة القمعية للاستعمار الإسباني في شمال البلاد¹. كما حاولت الصحافة الإسبانية المحلية الصادرة في مدينة تطوان أو تلك الصادرة في مدريد، التقليل من خطورة هذه الأحداث، وتحميل المسؤولية الكاملة في وقوعها للمخزن الخلفي، واتهام حزب الإصلاح الوطني وبشكل خاص

1 - نشرت جريدة العرب الأسبوعية، خبر احتمال عدول الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية، عن زيارته المرتقبة إلى إسبانيا بدعوة من الجنرال فرانكو، بسبب اعتداء «جنود الطاغية فرانكو» على العرب في تطوان. كما ذكرت أن وفداً من شباب العرب في باريس قدموا مذكرة احتجاجية شديدة اللهجة إلى إدارة الجريدة، وبعثوا بنسخة أخرى إلى أمين الجامعة العربية ورؤساء الحكومات العربية، أدانوا فيها الاعتداء الشنيع التي تعرض له العرب في تطوان والذي «يُظهر وجه الاستعمار المقيت، وفي وقت يتحدث فيه ساسة الدول عن تقرير المصير، وعن الحرية، فإذا كان المغربي لا يستطيع العودة إلى وطنه، وإذا كان العراقي يمنع من دخول بلاده، فأين الحرية...». انظر: جريدة العرب الأسبوعية، العدد التاسع 17 ربيع الثاني 1367 هـ / 27 فبراير 1948 م.

زعيمه الأستاذ عبد الخالق الطريس بالتحريض ضد إسبانيا والدعاية لحركة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي أعلن من مصر عن تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي¹.

ومن أجل تبيان حقيقة ما جرى يوم 8 فبراير 1948 م، ووضعه في سياقه الدولي والإقليمي، أثرنا مقارنة الرواية المغربية بنظيرتها الإسبانية، مُعتمدين في ذلك على المذكرات والرسائل الشخصية لبعض شهود العيان ممن كانوا في قلب الأحداث سواء في مدينة طنجة كالأستاذ الشهيد محمد أحمد بن عبود² أو في مدينة تطوان كالأستاذ محمد داود³، وفي الجانب الآخر اعتمدنا على الصحف والجرائد الإسبانية التي غطت هذه الأحداث وبشكل خاص على جريدة "Diario de Africa" الناطقة باسم الإقامة العامة الإسبانية بتطوان، وجريدة "ABC" المدرية، وكذلك جريدة "El Telegrama del Rif" الصادرة في مدينة مليلية المحتلة. فما السياق التاريخي لأحداث 8 فبراير 1948 م بتطوان؟ وكيف تناولت الروايتان المغربية والإسبانية هذه الأحداث؟

1 - السياق التاريخي لأحداث تطوان سنة 1948 م:

لا شك أن أحداث 8 فبراير 1948 م بتطوان من النتائج المباشرة لسياسة العنف والقسوة والتشدد التي طبّقها المقيم العام الجنرال باريلا (1945-1951 م) في مواجهة المد الوطني، فهي تتويج للمواجهة بينه وبين الوطنيين شمال المغرب، وبشكل خاص أعضاء حزب الإصلاح الوطني، الأمر الذي دفع بالعديد من المسؤولين الإسبان المعارضين لسياسة المقيم العام باريلا إلى توجيه سهام نقدهم لها، وكمثال على ذلك ما ذكره «السنور لويس إيريس»، الملحق التجاري بالمفوضية الإسبانية بطنجة، في حديثه مع الأستاذ عبد الخالق الطريس عن حوادث تطوان قائلا: «إن المسؤول عن هذه الفضائح إنما هو باريلا المغرور وجماعته [...] فهو يظن أنه استطاع أن يكون إمبراطورية، ويريد أن يخضع له فيها كل واحد [...] إن مطامح هذا الرجل لا حد لها، وأقول لك على وجه السّر إنه يطمع في أن يكون في محل فرانكو، وهذه السياسة الخرقاء التي يتبعها في المنطقة قد لفت فرانكو نظره إلى فسادها»⁴.

ومن أجل فك طوق الحصار الشديد المضروب على نشاط الأحزاب السياسية في المنطقة الخليفية

1 - محمد خرشيش: لجنة تحرير المغرب العربي وتطوير العمل المغربي، ضمن أعمال الندوة الدولية، نشاط الحركة الوطنية المغربية في المشرق العربي (1945 - 1949 م)، تنسيق محمد الشريف ومحمد ياسين الهبطي، منشورات مؤسسة الشهيد محمد أحمد بن عبود، تطوان، 2020 م، ص. 49.

2 - رسائل الشهيد محمد أحمد بن عبود، بين 8 فبراير و12 مارس 1948 م، أوردها الدكتور محمد أحمد بن عبود في: مكتب المغرب العربي في القاهرة، دراسة ووثائق، منشورات الشهيد محمد أحمد بن عبود، جمعية تطاون أسمى، الطبعة الأولى، تطوان، 2015 م، ص. 108 - 122.

3 - حسناء محمد داود: على رأس الثمانين، منشورات جمعية تطاون أسمى، تطوان، 2011 م، ص. 227 - 232.

4 - رسائل الشهيد محمد أحمد بن عبود، ص. 109.

من قبل السلطات الإسبانية، اتجه زعماء الحركة الوطنية صوب المشرق العربي، وبالتحديد إلى مصر، التي احتضنت الجامعة العربية الحديثة العهد بالتأسيس (1945م)، فشاركوا إلى جانب إخوانهم في المنطقة السلطانية، وباقي البلدان المغاربية، في مؤتمر المغرب العربي الذي عقد بالقاهرة في شهر فبراير 1947م، لتنسيق العمل المشترك المغاربي لمواجهة الاستعمار الأجنبي، والذي انبثق عنه تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة¹. وكان أهم عمل قام به هذا المكتب بعد تأسيسه، هو التخطيط لعملية تحرير الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي في بور سعيد يوم 1 يونيو 1947م². وبمجرد لجوئه إلى القاهرة، انضم الخطابي لمكتب المغرب العربي، مما أعطاه دينامية جديدة بالنظر إلى رمزيته ومكانته المتميزة، ومساره الكفاحي الاستثنائي، ونضاله المستميت في مواجهة القوتين الاستعماريتين فرنسا وإسبانيا، فكان صاحب المبادرة لاستحداث «لجنة تحرير المغرب العربي» ثم «جيش التحرير المغاربي»³.

وعلى المستوى الوطني، كان للزيارة التاريخية للسلطان محمد الخامس إلى مدينة طنجة يوم 9 أبريل 1947م، ومواقفه الاستقلالية المساندة والمؤيدة للحركة الوطنية، دورٌ كبير في تحول الإداريتين الاستعماريتين الفرنسية والإسبانية إلى سياسة القمع، والعنف، والاعتداء على الوطنيين المغاربة، في تنسيق محكم بينهما، كما يتضح ذلك من حديث لويس إيريس مع الطريس، حيث قال: «إن ما يعمل به باربيل اليوم إنما هو من تعليقات الجنرال جوان»⁴.

إن نشاط أعضاء حزب الإصلاح الوطني في المشرق العربي، والنجاح الكبير الذي حققوه على مستوى التعريف بالقضية المغربية وتدويلها، وهيكله العمل الوطني المغاربي المشترك ومأسسته، لا شك أنه أزعج السلطات الاستعمارية في المغرب، وسبب لها قلقا كبيرا، فأخذت تتحين الفرص للتنكيل بالوطنيين، والشعب المغربي المتعاطف معهم، فكانت أحداث تطوان تتويجا لسياسة القمع والاعتداء التي واجهت بها السلطات الإسبانية المطالب الاستقلالية للحركة الوطنية.

2 - مقارنة بين الروايتين المغربية، والإسبانية لأحداث تطوان 1948م:

1 - الرواية المغربية:

ينطلق الأستاذ محمد داود في مذكراته، التي سجّل فيها أحداث تطوان، من تحديد تاريخ وصول أعضاء حزب الإصلاح الوطني إلى مدينة طنجة، قادمين من مصر عبر مدينة لشبونة البرتغالية، وذلك

1 - محمد بن عبود: مكتب المغرب العربي في القاهرة، دراسة ووثائق، ص. 9.

2 - محمد بن عبود: نضال الوطنيين المغاربة في القاهرة في الأربعينيات: الشهيد أحمد بن عبود نموذجا (1946-1949م)، ضمن

أعمال الندوة الدولية: نشاط الحركة الوطنية المغربية في المشرق العربي (1945-1949م)، ص. 20.

3 - محمد خرشيش: لجنة تحرير المغرب العربي، ورهان تطور العمل المغاربي، ص. 46-49.

4 - رسائل الشهيد أحمد بن عبود، ص. 109.

يوم 4 فبراير 1948 م، ثم يذكر أنه كان من المقرر وصول الزعماء الوطنيين إلى مدينة تطوان مساء يوم الخميس 5 فبراير، حيث استعد الناس لاستقبالهم والاحتفال بعودتهم، إلا أن سلطات الحماية الإسبانية منعتهم من عبور نقطة البرج الحدودية بين مدينة طنجة الدولية ومنطقة الحماية الإسبانية، وحدد أسماء الوطنيين الذين مُنعوا وهم: الأستاذ عبد الخالق الطريس، ومحمد بن أحمد بن عبود، والمهدي بنونة، وأخيه الطيب بنونة. وبمجرد وصول الخبر إلى أعضاء الحزب بمدينة تطوان، شرعوا في تعبئة الناس انطلاقاً من المساجد، وتحريضهم على الإضراب احتجاجاً على نفي الطريس ورفاقه، لتُمسِّي المدينة يوم 6 فبراير كلها مغلقة، وفي اليوم الموالي 7 فبراير توقفت الدراسة بجميع المعاهد والمدارس¹. وفي يوم الأحد 8 فبراير استمر التوتر، فقرّر حزب الإصلاح الوطني الاجتماع بالجامع الكبير، إلا أن قوة من البوليس والجنود والمخازنية المسلحين، منعوا الناس من دخول المسجد، «فذهب الناس للزاوية الريسونية، وأخذوا بقراءة طه، وأثناء ذلك هجم عليهم المخازنية والبوليس، فخرجوا في مظاهرة، فلما وصلوا السوق الفوقي والطرنكات، اصطدموا بالبوليس والجواسيس، أعوان «بلدية» رئيس الاستعلامات، فصار هؤلاء يضربون الناس بالمسدسات والسكاكين، وجرح أناس كثيرون، ومات عبد اللطيف المدوري في الحين بضرب سكين ومسدسات، ويقال إن هناك أمواتاً آخرين [...] وتفرقت المظاهرة، وألقت السلطة القبض يومه على أعضاء لجنة حزب الإصلاح الوطني»². وذكر الأستاذ داود أسماء أعضاء الحزب الذين اعتقلوا، ثم بعد ذلك حصر عدد الشهداء في شهيد واحد هو عبد اللطيف المدوري، والجرحى في اثنين هم: محمد الرايس الفرخاني ومحمد البويفروري³.

أما رواية الشهيد محمد أحمد بن عبود فتنتطق من سرد تفاصيل الأحداث ابتداء من يوم وقوعها أي يوم 8 فبراير، حيث قال: «اتصل بي الحاج أحمد الطريس (أخ عبد الخالق الطريس) في الأتيل من تطوان تلفونيا وقال: اجتمع اليوم الناس في زاوية سيدي علي بن ريسون في الساعة 12 وخرجوا من هناك في مظاهرة في اتجاههم إلى المشور، ولما وصلت المظاهرة إلى السوق الفوقي اعترضتها قوة من البوليس والجيش، واعتدوا على الناس بإطلاق النار، وفي نفس الوقت كان عدد كبير من البوليس السري مُنبئين بين المتظاهرين، فبدأوا يعتدون على الناس بالسلاح الأبيض، وقد قتلوا أربعة، هم: عبد اللطيف المدوري، وغماري، وريفي، والشارف، وألقى البوليس القبض على جميع أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني»⁴. ليبدأ بعد ذلك الاتصال بالخليفة مولاي الحسن بن المهدي من أجل التدخل، والضغط على الإقامة العامة الإسبانية، لإطلاق سراح السجناء الذين وصل عددهم حسب بن عبود إلى 200 معتقل،

1 - حسناء محمد داود: على رأس الثمانين، ص. 227 - 228.

2 - حسناء محمد داود: على رأس الثمانين، ص. 228.

3 - نفسه.

4 - رسائل الشهيد محمد أحمد بن عبود، ص. 108.

من بينهم أربعة نساء، أما عدد الجرحى فقد بلغ 17 جريحاً¹. تعرض السجناء حسب روايتي داود وبن عبود للتعذيب والضرب المبرح، «وبدأوا يَسْوَقُونَ الناس إلى مركز البوليس، وهناك يُسْتَكْمُونَ بالضرب المبرح [...] ثم يأمرّون المضروب بخلع الطربوش الوطني وإلقائه على الأرض [...] وكان الضرب في الغالب يوجه إلى الوجه، حتى أن بعض الشباب، ومنهم نجل رئيس محكمة الاستئناف المُرير، ضاعت معالم وجهه»². وتم توزيعهم بين سجن الباشا، وسجن الأجانب بتطوان، وسجن «اللانشو» بمدينة سبتة المحتلة، حيث سجن أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني، وعددهم 10³. واشترط المقيم العام الإسباني الجنرال باريلا على الخليفة، من أجل إطلاق سراح مساجين سبتة، عزل محمد أحمد ابن عبود من اللجنة الثقافية لدى الجامعة العربية⁴. ويذكر بن عبود في رسائله أن الإسبان عرضوا على المسجونين في سبتة مقابل إطلاق سراحهم، التوقيع على تعهد، لكنهم امتنعوا⁵. وتذكر الرواية الرسمية للمخزن الخلفي أن المظاهرة وُوجهت بإطلاق الرصاص مما أسفر عن قتل ثلاثة من الأهالي واثنين من البوليس، واثنين من أرمادا، ويبدو أن الكسكاسي جاسوس «بيلا» رئيس الاستعلامات هو الذي بدأ بإطلاق الرصاص. وعند استفسار الخليفة للمقيم العام الإسباني عن المسؤول عن إعطاء الأوامر بإطلاق النار، أجاب بأنه الباشا «أشعاش»، وبعد استفسار الباشا أنكر ذلك جملة وتفصيلاً⁶. وكردّ فعل على هذا الاتهام والإهانة، وعلى هذه المذابح والاعتداءات غير المبررة، قدم الباشا «أشعاش» استقالته إلى الخليفة الذي نصحه بالعدول عنها، واتصل الخليفة بالمقيم العام الإسباني وأخبره بأنه «سيترك البلد إذا لم تُسَلَّم السلطة في الحال إلى الباشا»⁷، فأمر المقيم العام النيابة بتسليم السلطة في الحال إلى الباشا الذي أعيد إليه اعتباره، بعدما «استولى الإسبان على السلطة المباشرة، وأشبعوا رغبتهم في الاعتداء على الناس، ثم ألصقوا كل شيء بالباشا»⁸.

نستنتج من روايتي الشهيد ابن عبود والأستاذ داود أن نيّة سلطات الحماية الإسبانية كانت مُبَيَّنة للتنكيل برجال الحركة الوطنية والانتقام منهم، ويتضح ذلك بشكل جلي من خلال الاستعمال المفرط للقوة، والاستعداد والتخطيط القبلي لقمع المظاهرة السلمية، من خلال بثّ الجواسيس والعيون المسلحين في كل أرجاء المدينة، وقطع المواصلات بين تطوان وأحوازها⁹، تحسباً لانضمام القبائل إلى

1 - نفسه، ص. 109 - 110.

2 - نفسه، ص. 113.

3 - حسناء محمد داود: على رأس الثمانين، ص. 229 - 230.

4 - نفسه، ص. 230.

5 - رسائل الشهيد محمد أحمد بن عبود، ص. 111.

6 - نفسه، ص. 112.

7 - نفسه، ص. 112 - 113.

8 - نفسه، ص. 113.

9 - نفسه، ص. 110.

المظاهرة، فيتسع نطاقها، ويصعب على السلطات الإسبانية السيطرة عليها وإخمادها. والقيام بقطع أسلاك التيار الكهربائي عن المدينة استعداداً لشن حملة واسعة من الاعتقالات في صفوف الوطنيين والشعب¹. ويؤكد الأستاذ داود على أن المتظاهرين الذين خرجوا في المظاهرة كانوا عِزَّلاً من أي سلاح «وعلمت أن المتظاهرين لم يكن أحد منهم يحمل أي سلاح ولا هراوة»². وبالتالي فلا مُبرِّر لمواجهتهم بالرصاص والسكاكين.

أما بالنسبة لمظاهر الاختلاف في الروايتين، فيمكن حصرها في عدم الاتفاق على الحصيلة النهائية من القتل والجرحى، ومَرَدُّ ذلك في اعتقادنا يرجع إلى أن زمن كتابة هذه المذكرات يتطابق مع زمن وقوع الأحداث، وبالتالي لم يكن هناك فاصل زمني يسمح للشاهدين انتظار تبلور الواقعة وما ستسفر عنه من نتائج ومخلفات.

وعموماً فإن الروايتين تُكمِّلان بعضهما البعض، وتوضحان بشكل دقيق ومفصل ما جرى يوم 8 فبراير 1948م بتطوان.

2 - الرواية الإسبانية:

اعتمدنا -كما سبق التنويه بذلك- في استخلاص الرواية الإسبانية لأحداث يوم 8 فبراير بتطوان وإعادة تركيبها، على ما نشرته الصحف الإسبانية، وخاصة جريدة «دياريو دي أفريكا» الناطقة باسم الإقامة العامة الإسبانية بتطوان، والتي حَمَلَت مسؤولية وقوع هذه الأحداث إلى التصريحات المحرّضة على العنف التي أدلت بها «مجموعة طنجة»، في المؤتمر الصحفي الذي عقدته في فندق «المنزه» بالمدينة الدولية، والتي أسهمت في إثارة مجموعة من الشباب الوطنيين «غير المسؤولين» في مدينة تطوان، للخروج في مظاهرة غير مُرخّصة من قبل السلطات. وبهذا الصدد تقول الجريدة بأن الطريس تحدث في ذلك المؤتمر الصحفي الذي حضره الصحفيون الطنجيون، والملحق الصحفي لمفوضية أمريكا الشمالية، بطريقة مثيرة ونبرة قوية، وأعلن: «الحرية الفورية والكاملة للمغرب»، وهَدَّدَ باستعمال العنف في حالة عدم الاعتراف بذلك³. واعتبرت الصحيفة الإسبانية ذلك المؤتمر الصحفي مجرد دعاية حاول من خلالها الطريس إظهار تبعيته للزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وتبني دعوته التحريرية، من خلال إثارته للعنف والتمرد والهجوم على النظام الحالي للدولتين الحاميتين⁴. وتقول الرواية الإسبانية أن سبب منع الطريس وابن عبود من الدخول إلى مدينة تطوان، هو عدم احترامهم للقوانين والقواعد

1 - نفسه، ص. 113.

2 - على رأس الثمانين، ص. 228.

3 - Diario de Africa: "Incidentes en la Medina", Año 6, N° 679, Martes 10 de Febrero de 1948.

4 - Diario de Africa: "Incidentes en la Medina".

الجاري بها العمل، والمتمثلة في أخذ التأشيرة عند الخروج من المنطقة الإسبانية، وعند الدخول إليها، «في الواقع، حضر [الطريس] الجمعة الماضية مرفوقا بمحرضين آخرين من بينهم ابن عبود إلى المركز الحدودي في المنطقة الإسبانية البرج، عبد الخالق ورفاقه يتباهون بعدم الخضوع في نزوحهم من صوب المنطقة الإسبانية حيث يقيمون، للقوانين والقواعد المقررة، إذ لم يأخذوا تأشيرة السلطات ولا طريقا قانونيا، بالإضافة إلى أن بعضا من رفاق الطريس خضعوا للقوانين، وسمح لهم بالعبور بحرية. الطريس وابن عبود مُنِعَا في الحدود من طرف الشرطة بسبب خطأ في القواعد، أو غياب في الوثائق الشخصية»¹. بعد هذا القرار الذي اتخذته السلطات الإسبانية بمنع الطريس، وابن عبود من الدخول إلى تطوان، تضيف الصحيفة الإسبانية، أن الطريس أمر أنصاره في تطوان، الذين كانوا يستعدون للاحتفال بعودته، بالتظاهر، والاحتجاج يوم الأحد 8 فبراير، حيث خرج ما يناهز 200 متظاهر في مركز المدينة «الحي المسلم»، ثم تستعرض الصحيفة مجريات الأحداث كالآتي: «التظاهرة أثناء سيرها بالشوارع أجبرت المؤسسات على الإغلاق، وأنتجت عدة حوادث مع المارة المغاربة المسلمين، الذين لم يرغبوا في الانضمام إليها. وبالوصول إلى محيط القصر الخليفي، تدخل الحرس المغربي لقطع الممر على التظاهرة، مما نتج عنه الاعتداءات الأولى. المتظاهرون في مجموعة من 20 فردا، رموا شرطي مغربي حاول تهدئتهم، وجرحوه جروح دقيقة. المخازنية صدوا الاعتداء، ثم أجبروا على إطلاق بعض الرصاصات من المسدسات ضد بعض المحتجين الذين يسعون إلى مواجهة قوات النظام. قتل أحد المحتجين وجرح ثلاثة آخرين. خلفت الملاحقات والاعتداءات التي وقعت في شوارع المدينة جروح عدة أشخاص، ولكن غير بليغة. تم استعادة الهدوء مباشرة وفورا وبشكل نهائي»². ثم حاولت الصحيفة الإسبانية الربط بين هذه الأحداث وفشل الطريس في الحصول على دعم جامعة الدول العربية لمشاريعه في مواجهة سلطات الحماية. واختتم المقال بالتأكيد على أن أحداث تطوان لم تكن لتقع لولا التحريض والإثارة التي قام بها الطريس في مؤتمر «المنزه» بطنجة، ولولا عدم امتثاله للأحكام والقوانين المنظمة للعبور، من وإلى المنطقة الإسبانية³.

أما جريدة ABC المدريدية فقد وجَّهت سهام نقدها للصحافة العربية التي ضخمت أحداث تطوان ونفختها حسب تعبيرها، حيث أطلق المعلقون العنان لمخيلاتهم في تفسير الأحداث وتأويلها، بل وتحريفها عن الواقع الحقيقي، وحاولت التقليل من خطورة هذه الأحداث وتداعياتها على علائق الود والصداقة التي تجمع إسبانيا بالدول العربية وبالمغرب، مؤكدة أن مثل هذه الحوادث تتكرر بشكل يومي في جميع أنحاء العالم «وقعت في تطوان أحداث يمكن القول عنها أنها ليست بالخطيرة جدا

1 - Ibid.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

ولا بالقليلة الأهمية، بالمقارنة مع الأحداث الجارية التي تنتج كل مرة في العديد من المظاهرات [...] وهنا نؤكد على تكرار هذه الحوادث بشكل يومي في كل التجمعات الحضرية عبر الكوكب. لو كان المعلقون على وعي وليست لديهم نية في توسيع الأحداث وتضخيمها¹. واعتبرت الصحيفة المدريدية أن مظاهرة تطوان لم تكن مظاهرة شعبية بقدر ما هي تعبر عن رد فعل حزب الإصلاح الوطني فقط، وأن الشعب المغربي أدانها عبر ممثليه الشرعيين «إن تظاهرة تطوان التي ألمحنا لها لم يشارك فيها لا الشعب المغربي ولا الأعيان، والإدانات التي قدمت واضحة وقطعية»².

وأكدت جريدة El Telegrama del Rif أن أحدث تطوان، لها علاقة مباشرة بالتصريحات التحريضية للطريس أمام الصحافة في طنجة، كما حاولت ربط ذلك بلقائه بالزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي «الشيخ المنفي» الذي لجأ إلى مصر، وبدأ الاتصال بالوطنيين المغاربة من أجل تفجير الوضع في المغرب بالاتفاق مع الطريس³. كما برزت قرار المنع في حق الطريس ورفاقه بالدخول إلى تطوان، بعدم مصادقته على وثائق السفر عند خروجه من المغرب وذهابه إلى مصر. وذكرت الصحيفة بأن المتظاهرين هم من بدأوا بالهجوم على المخازنية الذين حاولوا منعهم من التظاهر في محيط القصر الخلفي، مما خلق قتلا واحدا وأربعة جرحى في صفوف المغاربة، وثلاثة جرحى من بين رجال الشرطة⁴. ولتبرئة إسبانيا من أية مسؤولية في هذه الأحداث، قالت الصحيفة الإسبانية بأن فرقة المخازنية تابعة للحكومة الخليفية، وليس لإسبانيا، أو الجيش الإسباني⁵.

يبدو جليا أن الرواية الإسبانية لأحداث تطوان، تحاول أن تضعها في سياق النشاط السياسي الذي قام به أعضاء حزب الإصلاح الوطني بالشرق، وخاصة بمصر، حيث نجدها تؤكد على محاولات الطريس كسب التأييد والدعم العربي للقضية المغربية، وعلى اتصاله بالزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، الأمر الذي سبب قلقا كبيرا للسلطات الاستعمارية الإسبانية في المغرب. ومن جهة ثانية تُحمّل الرواية الإسبانية مسؤولية وقوع هذه الأحداث الدموية إلى تصريحات الطريس المحرصة على العنف، وذلك بعد منعه من العودة إلى مدينته تطوان. وأن المتظاهرين هم من بادروا بالهجوم واستعمال العنف ضد قوات حفظ النظام التي اضطرت إلى مواجهتهم بالرصاص. ومن جهة أخرى غيّبت الرواية الإسبانية مصير المعتقلين المغاربة على خلفية هذه الأحداث، ولم تعر الموضوع أدنى اهتمام.

1 - "Los sucesos de Marruecos", ABC, Año cuadrage - Simoprimer, N° 13086, 9 de Febrero de 1948, p 1.

2 - Ibid.

3 - "La Mehaznia disuelve un conato de manifestación de un grupo de exaltados", El Telegrama del Rif, Numero 13948, 11 de Febrero de 1948, p 6.

4 - Ibid.

5 - Ibid.

الإدارة الاستعمارية الإسبانية وموقفها من نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف

● ذ. خالد بويقران - بني ملال.

عرفت المنطقة الخليفية تناميا في العمل الوطني منذ ثلاثينيات القرن الماضي، حيث ركز رموز الحركة الوطنية في البداية على مطلب الإصلاحات، ثم استغلال جانب من الظرفية الدولية للمطالبة بالاستقلال. لكن الإدارة الاستعمارية الإسبانية واجهت هذه المطالب بشن سلسلة من الحملات القمعية، واعتقال الوطنيين، ونفي البعض منهم. ووجبت الإشارة إلى أن إسبانيا دخلت في صراع خفي مع الجمهورية الفرنسية، جراء إيواء مؤسسة الحماية الفرنسية للجمهوريين الإسبان، الفارين من النظام الفرنكوي بالمنطقة الخليفية والمتروبول. ومن هذا المنطلق استغلت إسبانيا حادث نفي السلطات الاستعمارية الفرنسية للسلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف يوم 20 غشت 1953م، وغيرت سياستها الاستعمارية بشمال المغرب، وسمحت للوطنيين المغاربة الفارين من المنطقة السلطانية باللجوء إلى المنطقة الخليفية.

1 . السلطان سيدي محمد بن يوسف وتنامي العمل الوطني بالمنطقة السلطانية ضد مؤسسة الحماية الفرنسية ما بين سنوات 1947م - 1953م.

ارتبط الحديث في الكتابات التاريخية الوطنية التي تؤرخ وتوثق للعمل الوطني لمؤسسة القصر الملكي والشعب المغربي خلال أربعينيات القرن الماضي، بتزامن تنامي النضال الوطني للسلطان سيدي محمد بن يوسف ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية بالمغرب، حيث دأب خلال إلقائه للخطاب السامي بطنجة¹ على عدم إدخال كلمات الشاء والإجلال للدولة الاستعمارية الفرنسية، فصعدت بذلك مؤسسة الحماية الفرنسية من سياستها الاستعمارية القمعية ضد الوطنيين المغاربة، واحتد صراع بين العرش العلوي المجيد والإقامة العامة الفرنسية بالرباط. كما أن المجلس الوطني للحزب الفرنسي للشغيلة

1 - أشار علال الفاسي في كتابه «الحركات الاستقلالية في المغرب العربي» إلى أن السلطان سيدي محمد بن يوسف «سينتقل لا محالة في بلاده.. وأنه يعرف الموقف الذي يتخذه إزاء كل ادعاء أجنبي، يريد الحد من حقه في التمتع بمظاهر سيادته على سائر المناطق المغربية». علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية، (د. ت)، ص 299.

الدولية ضغط على المقيم العام الفرنسي ألفونس جوان¹ Alphonse Juin من أجل إرغام السلطان سيدي محمد بن يوسف على التنكر للأعمال الوطنية التي كان يقوم بها حزب الاستقلال ضد السلطات الاستعمارية الفرنسية، بالإضافة إلى ذلك انتقد السيناتور الاشتراكي للجمهورية الفرنسية الرابعة Jean Leonetti الأعمال البطولية النضالية لرموز الحركة الوطنية بالمنطقة السلطانية.

طبعت مرحلة المقيم العام الفرنسي Alphonse Juin العنف بامتياز وتأزيم الأوضاع بالمغرب السلطاني، بسبب فشله في العمل الاستعماري، وفي مواجهة تنامي العمل الوطني، بمختلف ربوع المغرب، سواء بالمدن الكبرى والصغرى والقرى والمدائن، كان من شأنه نشر الوعي الوطني لمجابهة أو صد السياسة الاستعمارية الفرنسية، بالإضافة إلى مشاركة الحركة الوطنية عقب اغتيال النقابي المغربي فرحات حشاد، بمظاهرات وانتفاضات وما واكبتها من أحداث دامية في 7 دجنبر 1952 م².

واستمرارا في فشل مؤسسة الحماية الفرنسية في مواجهة العمل الوطني للعرش العلوي والشعب على حد سواء للسياسة الاستعمارية بالمنطقة السلطانية، التجأت الإقامة العامة إلى أن تفرض على السلطان تعيين مساعدين له غير مرغوب فيهم.

وفي سنة 1951 م تم تعيين الجنرال Augustin Guillaume مقيما عاما على المغرب السلطاني الذي تأثر بشكل كبير بفكرة نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف من طرف القائد فليب بونيفاص Philippe Boniface الذي كان مستشارا ومخططا لبعض المقيمين العامين الفرنسيين بالمنطقة السلطانية، إذ حرض Guillaume على تنزيل مخطط استعماري لإضعاف العمل الوطني لحزب الاستقلال، وتخطيطه بإلفاق تهمة التحريض على التواطؤ مع الحزب الشيوعي والانقلاب. أما فيما يخص مؤسسة القصر، فقد اقترح عليه المسّ بالسلطان سيدي محمد بن يوسف بواسطة القيام بحملة ضده من طرف القواد المواليين لمؤسسة الحماية، كالقائد التهامي الكلاوي، وبعض الزوايا التي كانت تحت تأثير الشيخ عبد الحي الكتاني؛ إذ اعتبرت جريدة España أن عريضة الكلاوي والكتاني³ لعزل السلطان سيدي محمد بن يوسف كانت من وحي مؤسسة الحماية الفرنسية، التي كانت تصر آنذاك

1 - خلال الأزمة الخانقة التي عرفتها العلاقات المغربية مع الجمهورية الفرنسية، عمدت فرنسا إلى تغيير المقيم العام المدني «إريك لابون» وتعيين الجنرال ألفونس جوان Alphonse Juin مقيما عاما بالمنطقة السلطانية. عبد الهادي بوطالب، ذكريات، شهادات، ووجوه، 1992 م، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ص 262.

2 - في خضم التحضيرات والتعبئة لتنفيذ الإضراب العام للتضامن العمالي المغربي، حاولت سلطات الحماية منع تنفيذ قرار الإضراب العام، فالتجأت إلى ارتكاب مجزرة دموية في حق الشغيلة المغربية. بوقنطار يحيى، تطور الحركة النقابية بالمغرب، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، 2001 م، ص 29.

3 - B. Stephane, le conflit franco - Maroc 1943 - 1956, Tome 3, Bruxelles, 1963, p. 346.

على معاقبة السلطان بسبب التحدي¹، والوقوف في وجه سياستها، وتهديد مصالحها الاستعمارية² بالمنطقة السلطانية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطات الاستعمارية الفرنسية قد فشلت من قبل في الإطاحة بالسلطان سيدي محمد بن يوسف في فبراير 1951م، لكن حكومة باريس استكملت مخططاتها الاستعمارية بالتجاء المقيم العام Augustin Guillaume إلى نهج سياسة العنف والتخطيط بمساعدة قائد الدار البيضاء Philippe Bonifaces ومستشار القصر الملكي والدبلوماسي³ De la Tour du Pin.

وعلى هذا الأساس قام بعض أذئاب وأعوان الاستعمار الفرنسي بالمغرب، كالقائد الكلاوي وعبد الحفي الكتاني بمبادرة ضد العرش العلوي المجيد، حيث حشد الكلاوي مجموعة من القبائل، وفبرك مسيرة تحت قيادته، ثم تعبئة عبد الحفي الكتاني للزوايا ضد القصر.

وفي 20 غشت 1953م نفت السلطات الاستعمارية الفرنسية السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى كورسيكا ثم مدغشقر، وبدأت بعد ذلك مرحلة جديدة من المقاومة والأعمال الفدائية في المنطقة السلطانية، كرد فعل عن نفي رمز الأمة والسيادة المغربية. ورغم تطور الأحداث بالمغرب لم تتدخل الدول العظمى في الإجراء غير القانوني الذي قامت به مؤسسة الحماية الفرنسية، لكن ديكتاتورية فرانسييسكو فرانكو كان لها موقف رسمي من نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف طيب الله ثراه.

2 . موقف حكومة مدريد من نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف :

1-2 : السياسة الاستعمارية الإسبانية بالمنطقة الخليفية، وردود فعل الحركة الوطنية، ما بين سنوات 1943-1953م :

عرفت المنطقة الخليفية سنة 1943م مرحلة جديدة من النضال الوطني، ومرحلة انتقالية من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال. حيث أشار "محمد بن عزوز حكيم"⁴ إلى أن الحركة الوطنية بالمغرب الخلفي قد عرفت تحولا عميقا في نضالها ضد السياسة الاستعمارية الإسبانية. إذ سطر رموز الحركة الوطنية بالمنطقة الخليفية وثيقة المطالبة بالاستقلال والوحدة الترابية⁵ بتاريخ 14 فبراير

1 -Georgette Elgey , les républiques des contradictions 1951-1954 , Fayard , S.d , p.410.

2- للتوسع انظر :

Robert Barrat , Justice pour le Maroc , Éditions du Seuil , 1953 pp.225-231.

3- Bulletin - Société Chateaubriand - Numéros 11-15 , p10..

4 - محمد بن عزوز حكيم، وثائق التشهد، منشورات مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، مطبعة الساحل، الطبعة الأولى، الرباط، 1980م، ص103.

5 - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، منشورات عكاظ، الطبعة الأولى، الرباط، 2012م، ص166.

1943م والتي هدفت من خلالها الكفاح سياسيا ودبلوماسيا ضد نظام الحماية الفرنسية والإسبانية الذي نقضت فرنسا بنوده. كما أن وطنيي الشمال استندوا في تقديم وثيقتهم على الإجماع القانوني والدولي بحق الشعوب في تقرير مصيرها، بالإضافة إلى ذلك فإن الحركة الوطنية اعتبرت هذه الوثيقة محور ثقة الشعب المغربي، ومؤيدة من طرف العرش العلوي المجيد لمواجهة السياسة الاستعمارية الإسبانية بالمنطقة الخليفية، حيث تضمنت هذه الوثيقة ما يلي¹:

- إعلان سقوط نظام الحماية المفروض في جميع أطراف المغرب؛

- اعتبار إرادة الشعب المغربي في حد ذاتها مصدرا طبيعيا لتقرير مصيره، ثم تنسيق هذه الإرادة المشروعة مع تطورات السياسة الدولية العالمية الحالية؛

- حل القضية المغربية على الأساس الشرعي والقانوني الوحيد، وهو تجديد الاعتراف باستقلال المغرب وسيادته الداخلية والخارجية، وإعادة وحدة ترابه الوطني، كما كانت في عهد الاستقلال، تحت ظل العائلة العلوية المالكة، مع ضمان هذا الاعتراف من جميع الدول، ولاسيما دول أوروبا وأمريكا؛

- عقد اتفاقات ومعاهدات حرة لضمان المصالح المشتركة، مع كل الدول التي ترغب أن يكون بينها وبين المغرب الحر المستقل، تعاون اقتصادي أو ثقافي منظم أو غير ذلك من أنواع التعاون، ولاسيما الدول المجاورة، والدول الإسلامية؛

- اعتبار الأجانب المقيمين في تراب المغرب على قدم المساوي التام، من ناحية المعاملة، والمعاشية، والاقتصاد، والعدالة؛

- اعتبار التراب المغربي بجميع أطرافه، وحدوده، وشواطئه، ومياهه، وأجوائه، أرض حياد تام مطلق، عند قيام أي نزاع دولي مسلح، وبالنسبة إلى كافة المتحاربين حاضرا ومستقبلا، بحكم موقعه على مفترق الطريق الحيوية العالمية الكبرى بالنسبة للقارتين الأوربية والأمريكية، وتعهد المغرب الحر المستقل للطرفين المتنازعين بإبعاد شبح كل ما يمكن أن يعتبر تهديدا أو خطرا على أحد الفريقين، وبصيانة حياده التام، والدفاع عنه برا وبحرا وجوا.

هكذا أعلنت الحركة الوطنية بالمنطقة الخليفية من خلال وثيقة المطالبة بالاستقلال، ووحدة المغرب الترابية إلى إسقاط نظام الحماية، ثم التفاعل مع العمل الوطني بالمغرب الخلفي حيث دعمت وثيقة 11 يناير 1944م التي قدمها حزب الاستقلال لمؤسسة الحماية الفرنسية، وذلك بتسطير زعيم

1 - محمد بن عزوز حكيم، وثائق التشهد، منشورات مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، مطبعة الساحل، الطبعة الأولى، الرباط، 1980م، ص 103.

حزب الإصلاح الوطني الأستاذ «عبد الخالق الطريس» مذكرة يوم 29 فبراير 1944 م مؤيدة لوثيقة المطالبة بالاستقلال. وقد شكلت هذه المبادرة وحدة المنطقة الخليفية، والمنطقة السلطانية، في الدفاع عن استقلال المغرب ووحدته الترابية، بالإضافة إلى ذلك سطر كل من الأستاذ «عبد الخالق الطريس» والأستاذ «محمد المكي الناصري» مذكرة في فاتح أبريل 1945 م طالبا فيها الرئيس الأمريكي «روزفلت» بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية للدولة المغربية في تقرير مصيرها، وتحقيق استقلالها ووحدتها الترابية¹، إذ أشار محمد العربي المساري² في كتابه (المغرب خارج سياج الحماية) أن المذكرة التي بعثها عبد الخالق الطريس، ومحمد المكي الناصري إلى الرئيس الأمريكي روزفلت، كانت مرفقة بتقرير يتضمن أحوال وأوضاع الدولة المغربية، من السياسة الاستعمارية الإسبانية والفرنسية.

وفي إطار تعريف وطني المنطقة الخليفية بالقضية المغربية سطر الأستاذ عبد الخالق الطريس زعيم حزب الإصلاح الوطني، والأستاذ محمد المكي الناصري زعيم حزب الوحدة المغربية، مذكرة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد «عزام باشا»، يوم فاتح أبريل 1945 م، طالبا فيها جعل القضية المغربية من بين اهتمامات جامعة الدول العربية، وانخراط أبناء المغرب الخلفي في اللجان الثقافية بها، ابتداء من سنة 1946 م³. ومع تزامن العمل الوطني بالمغرب الخلفي، وطينا، ودوليا، نهجت الإدارة الاستعمارية الإسبانية سياسة القمع والتضييق على رجال الحركة الوطنية، لشل أنشطتهم وتحركاتهم المناهضة للسياسة الاستعمارية الإسبانية، الراضية لمطلب الاستقلال ووحدة المغرب، وإسقاط نظام الحماية، لكن هذا لم يمنع رموز الحركة الوطنية من التصعيد، وتنويع نشاطهم النضالي لمقاومة السلطات الاستعمارية الإسبانية، مستغلين الظروف الدولية، ونقصد هنا طرد إسبانيا من الأمم المتحدة، والصراع الخفي الإسباني- الفرنسي، المتمثل في إيواء فرنسا للجمهوريين الإسبان الفارين من النظام فرانكوي، ثم الدعاية للقضية الوطنية في العالم العربي والإسلامي، كما أن النظام فرانكوي استغل فرصة التقرب من دول العالم العربي والإسلامي للخروج من العزلة المفروضة عليه من طرف الدول العظمى، ونهج سياسة الانفراج النسبي بالمنطقة الخليفية لتلميع صورة ديكتاتورية فرانكو.

سمحت الظرفية الجديدة بالمنطقة الخليفية في تواصل زعيم حزب الإصلاح الوطني الأستاذ عبد الخالق الطريس مع «ريغوريس»⁴ بهدف تجنيدهم للقيام بالدعاية للقضية الوطنية فيما بينهم، حيث أشار «المهدي بنونة» في كتابه (المغرب السنوات الحرجة)⁵ أن ريكولاس هو اللبنة الأولى للمقاومة المسلحة

1- محمد بن عزوز حكيم، وثائق التشهد، ص 117.

2- محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، ص 169.

3- المهدي بنونة، المغرب السنوات الحرجة، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، 1989 م، ص 75.

4- عبد الخالق الطريس، من تراث الطريس، مطبعة الرسالة، الرباط، ص 195.

5- المهدي بنونة، المغرب السنوات الحرجة، ص 110.

الثانية، بعد حدث نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، لكن المفوض السامي الإسباني خوسي إنريكي باريلّا إكليسياس¹ Iglesias José Enrique Varela شن سلسلة من حملات الاعتقال، هُتت رموز الحركة الوطنية، وفصل الموظفين منهم² عن العمل ثم أوقف جريدتي الحرية والوحدة المغربية عن الصدور.

وفي ظل هذه الظرفية الحالكة التي طغت فيها عمليات القمع والتنكيل الممنهج من مهندسي السلطات الاستعمارية الإسبانية، بغية تضيق عمل رموز الحركة الوطنية بالشمال، كثف الوطنيون اتصالاتهم مع المنظمات الدولية، وهو ما كانت تحشاه حكومة مدريد، إذ أشار "عبد الخالق الطريس" إلى أن الإدارة الاستعمارية الإسبانية كانت تخشى من عرض رجال الحركة الوطنية للقضية المغربية، المتمثلة في حصول المغرب على الاستقلال على هيئة الأمم المتحدة، فاضطر المفوض السامي الإسباني إلى تغيير لغة الحوار مع وطني المنطقة الخليفية، حيث أعرب عن رغبة الإدارة الاستعمارية الإسبانية في تحقيق النهضة والتقدم والتنمية للمغرب الخليفي، لكن رجال الحركة الوطنية كانوا دؤوبين في التنسيق مع رجال الحركة الوطنية بالمنطقة السلطانية، الذين رفضوا أي حوار مع السلطات الاستعمارية الإسبانية والفرنسية، حيث أضاف "محمد العربي المساري" أن الوطنيين يمكنهم التفاوض والحوار مع السلطات الاستعمارية الإسبانية، إلا على حرية البلاد واستقلالها.³

ومع تنامي العمل الوطني قام أبو الأمة، وبطل التحرير، والمقاوم الأول، السلطان سيدي محمد بن يوسف بالزيارة التاريخية لمدينة طنجة يوم 10 أبريل 1947م، التي كانت محطة نضالية للعرش العلوي المجيد، في إطار المطالب الاستقلالية لرموز الحركة الوطنية بالمنطقة الخليفية والسلطانية، كما أن «المهدي بنونة» قد أكد على أن السلطان سيدي محمد بن يوسف من خلال خطابه بطنجة قد وجه أنظار الرأي العام العالمي للقضية الوطنية⁴، فكانت الحركة الوطنية بالمغرب الخليفي وفدا من المدن والقبائل لتأكيد روابط البيعة مع السلطان سيدي محمد بن يوسف، طيب الله ثراه.

هكذا شكلت زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف لطنجة، محطة جديدة من نضال رموز الحركة الوطنية بشمال المغرب، حيث سطر زعيم حزب الإصلاح الوطني برقية إلى الأمين العام لهيأة الأمم المتحدة يوم 30 مارس 1948م حول موضوع الحماية الفرنسية والإسبانية بالمغرب، وسياستهما القمعية،

1- خلال تولي باريلّا منصب المفوض السامي الإسباني بالمغرب الخليفي، عرف العمل الوطني لرجال الحركة الوطنية تضيقا، ونخص بالذكر هنا الأنشطة التي كان يقوم بها حزب الإصلاح الوطني، ثم الصحف التي كانت تصدر بتطوان، وكذلك عدم السماح لعبد الخالق الطريس بالعودة إلى تطوان، إلى أن توفي يوم 24 مارس 1951م. خالد بويقران، المفوضون السامون الإسبان: بين العمل العسكري بالمتربول والمهام الاستعمارية بالمغرب الخليفي 1912-1956م، مطابع الرباط نت، 2016م، ص 75-76.

2- محمد العربي المساري، المرجع السابق، ص 166.

3- نفسه، ص 170.

4- المهدي بنونة، المغرب السنوات الحرجة، ص 105.

والتضييق على الحريات بالمنطقة الخليفية والسلطانية، مشيراً بذلك إلى أن حزب الإصلاح الوطني يعلن احتجاجه على الإدارة الاستعمارية الإسبانية، ورغبة الساكنة المحلية في تحقيق حرية واستقلال البلاد¹.

وفي سنة 1952م، عمل حزب الإصلاح الوطني على اقتراح تمثين وتوثيق الروابط، والتنسيق بين الأحزاب السياسية بالمنطقة الخليفية والسلطانية، في العمل الوطني لمواجهة الإدارة الاستعمارية الإسبانية ومؤسسة الحماية الفرنسية، فوجه كل من زعيم حزب الإصلاح الوطني الأستاذ عبد الخالق الطريس، وزعيم حزب الوحدة والاستقلال محمد المكي الناصري رسالة إلى حزب الاستقلال والشورى والاستقلال تضمنت ما يلي²:

- يرى الحزبان، أي حزب الإصلاح والوحدة: أن وجهة النظر التي ستعرض على هيئة الأمم المتحدة بواسطة الكتلة العربية الآسيوية في موضوع القضية المغربية، يجب أن تكون وجهة نظر المغرب بأجمعه، أي وجهة نظر جميع الهيئات الوطنية الموقعة على ميثاق طنجة؛

- يرى الحزبان أنه لا بد من إعداد وثيقة جامعة مانعة عن هذه القضية، باسم جبهة الأحزاب الوطنية، وتوقيع رجالها المسؤولين قاطبة، ليتم توزيعها على جميع الوفود بالأمم المتحدة، وبالتالي ليم الاستشهاد بها، واستعمالها من طرف أعضاء الكتلة العربية الآسيوية؛

- يرى الحزبان أن جميع المستندات والنشرات والتصريحات المتعلقة بالقضية المغربية، والتي تكون موجهة إلى مختلف الوفود خلال الدورة، يجب أن تكون باسم كافة أحزاب الجبهة وبمشاركتها وتحت مسؤوليتها؛

- يرى الحزبان أنه من الواجب تحديد موقف الجميع من تطور القضية بعد تسجيلها في جدول الأعمال؛ إذ من المحتمل بعد تسجيلها تأليف لجنة خاصة لبحثها، وسماع أقوال المهتمين بالأمر، فلا بد من الاتفاق من الآن بين أحزاب الجبهة على الصورة التي سيتم بها مواجهة الموقف المنتظر؛

- يرى الحزبان أنه من اللازم الشروع منذ الآن وبكل سرعة في إعداد نداء مشترك من أحزاب الجبهة، يوجه في أول مناسبة إلى رؤساء الوفود الدولية، يتضمن تعبيراً عما يعلقه الشعب المغربي عليهم من آمال، وما هو مدين لهم به من جميل؛

- يرى الحزبان أنه من واجب الأحزاب الوطنية أن ترسل تعليمات واضحة إلى ممثليها في نيويورك، بضرورة السير في هذا الاتجاه، والعمل على خلق جو ملائم للتعاون بين ممثليها هناك، بحيث يكون الجميع على استعداد كامل لتبادل الرأي والعمل يداً في يد.

1- حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني 1936م - 1956م دراسة تحليلية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، 2006م، ص 306.

2- المصدر السابق، ص 307.

وأخيرا تطلب الرسالة عقد اجتماع مستعجل للنظر في هذه المقترحات والبث فيها والإشعار.

هكذا كانت مبادرة أحزاب المنطقة الخليفية في توحيد الجهود والتنسيق للتعريف بالقضية الوطنية بالمحافل الدولية، مستغلين الحملة القمعية لمؤسسة الحماية الفرنسية بالمغرب، إثر المظاهرات التي نظمها رجال الحركة الوطنية عقب اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد، لكسب تأييد بعض الدول المتعاطفة مع القضية الوطنية المغربية، لمطالبة هيئة الأمم المتحدة باتخاذ قرار منح الحرية للشعب المغربي، وفقا لما جاء في مبادئ وأهداف الميثاق الأطلسي¹.

عموما فحزب الإصلاح الوطني قد واجه السياسة الاستعمارية الإسبانية بالمنطقة الخليفية محليا ودوليا، كما أنه كان متفاعلا مع ما يقع في المنطقة السلطانية، ودؤوبا في التنسيق مع باقي الأحزاب لمواجهة الإدارة الاستعمارية الإسبانية، ومؤسسة الحماية الفرنسية.

والجدير بالذكر أن مرحلة 1943 م و1951 م التي عرفت فيها المنطقة الخليفية تصعيدا في عملها الوطني، في المقابل سلك المفوض السامي الإسباني Varela سياسة قمعية من شأنها التضيق على رموز الحركة الوطنية، ومنع عبد الخالق الطريس، ومحمد بن عبود من العودة إلى تطوان²، وما رافق ذلك من تنظيم مظاهرات ضد السلطات الاستعمارية الإسبانية بتطوان يوم 8 فبراير 1948 م، استشهد فيها العشرات، وجرح فيها المئات، واعتقل فيها بعض رموز الحركة الوطنية. كما أن باقي المدن بالمنطقة الخليفية احتجت وتظاهرت ضد قرار الإدارة الاستعمارية الإسبانية، المانع لزعيم حزب الإصلاح الوطني من العودة لشمال المغرب.

وتحولت هذه التظاهرات والاحتجاجات إلى أحداث دامية، إذ أشار الأستاذ محمد العربي المساري إلى أن هذه التظاهرات كانت من تأطير أعضاء حزب الإصلاح الوطني³. لكن المفوض السامي باريلا استمر في نهج سياسة التضيق والقمع لرجال الحركة الوطنية بالمنطقة الخليفية.

وفي سنة 1951 م، غيرت الإدارة الاستعمارية الإسبانية سياستها بالمنطقة الخليفية، حيث تم تعيين مفوض سامي جديد في مارس 1951 م «غارسيا بالينيو»⁴، الذي كانت سياسته متميزة بالانفراج مع

1- نفسه، ص 309.

2- محمد داود، على رأس الثمانين، منشورات جمعية تطاوين أسмир، 2011 م، ص 227.

3- محمد العربي المساري، المرجع السابق، ص 200.

4- عينه الجنرال فرانكو مفوضا ساميا لإسبانيا بالمغرب الخلفي يوم 31 مارس 1951 م، حيث استمر في مهمته حتى سنة 1956 م، أي تاريخ استقلال المغرب. وبعد ذلك عين مديرا للمدرسة العليا للجيش، ثم قائدا للمنطقة العسكرية بمديريد. وتوفي بالينيو بمدينة مدريد يوم 29 يونيو 1972 م. خالد بويقران، المفوضون السامون الإسبان: بين العمل العسكري بالتربول، والمهام الاستعمارية بالمغرب الخلفي 1912-1956 م، مطابع الرباط نت، 2016 م، ص 78.

رجال الحركة الوطنية، والسماح لرجال الحركة الوطنية بالمنطقة السلطانية، الفارين من قمع مؤسسة الحماية الفرنسية باللجوء إلى المغرب الخليفي.

فمرحلة «غارسيا بالينيو»، عرفت تحسينا للأوضاع، والتعاون مع الوطنيين، لمواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية بالمغرب السلطاني، حيث تزايد هذا التعاون بين السلطات الاستعمارية الإسبانية مع الحركة الوطنية بالمنطقتين الخليفية والسلطانية مباشرة، بعد نفي مؤسسة الحماية الفرنسية للسلطان سيدي محمد بن يوسف يوم 20 غشت 1953 م.

2.2 - الموقف الرسمي الإسباني من نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف:

كانت السلطات الاستعمارية الإسبانية متتبعة للأوضاع السياسية بالمنطقة السلطانية، وذلك منذ نهاية الحرب الأهلية الإسبانية، وفرار الجمهوريين الإسبان من ديكتاتورية فرانكو إلى فرنسا والمغرب السلطاني، ودعمهم من طرف الدولة الفرنسية، فكان نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف فرصة استغلتها إسبانيا لمساندة الوطنيين ودعمهم بالسلاح، لمواجهة السلطات الاستعمارية الفرنسية بالمغرب. وبالتالي فإن إسبانيا كان موقفها مع رجال الحركة الوطنية بالمغرب الخليفي المتمثل في الحفاظ على المصالح المشتركة ضد مؤسسة الحماية الفرنسية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زعيم حزب الإصلاح الوطني الأستاذ عبد الخالق الطريس قد أبلغ السلطات الاستعمارية الإسبانية بتطوان عن موقف الحزب من الإجراء غير القانوني، الذي قامت به مؤسسة الحماية الفرنسية بخلع سلطان البلاد ونفيه¹. ونظمت مظاهرات احتجاجية من طرف ساكنة تطوان²، حيث ألقى الأستاذ عبد الخالق الطريس زعيم حزب الإصلاح الوطني خطابا لتعبئة الساكنة المحلية للمشاركة في المظاهرات، والتنديد بنفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، كما تم توقيع عرائض، وتقديمها للمفوض السامي الإسباني «غارسيا بالينيو» وخليفة السلطان المولى الحسن بن المهدي.

اعتبرت الإدارة الاستعمارية الإسبانية الإجراء غير القانوني للسلطات الاستعمارية الفرنسية بنفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، وعارضته بشدة، ولم تعترف آنذاك بـ «محمد بن عرفة» كسلطان للمغرب، حيث دأبت حكومة مدريد على دعم ومساندة رجال الحركة الوطنية بشمال المغرب، لمواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة السلطانية، وذلك بالسماح لوطني الشمال بالتنسيق في العمل المسلح مع وطني المغرب السلطاني، ثم استقبال الفارين منهم وإيوائهم ومدّهم بالأسلحة.

1- محمد داود، على رأس الثمانين، ص 237.

2- محمد بن عزوز حكيم، وثائق الشهد، ص 146.

وفي هذا الإطار، استغلت الإدارة الاستعمارية الإسبانية الظرفية التاريخية التي كان يمر منها المغرب من أزمة العرش، لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية لفصل المنطقة الخليفية عن المغرب، تحت ذريعة عدم احترام مؤسسة الحماية الفرنسية لبنود معاهدة 30 مارس 1912 م بنفيها للسلطان الشرعي محمد بن يوسف، وبذلك تراجعت إسبانيا عن الاعتراف بمعاهدة 30 مارس 1912 م، والمطالبة بتعديل الاتفاق الإسباني الفرنسي 27 نونبر 1912 م، وإضافة بنود حول منح إسبانيا صلاحيات، ومهام الدفاع، والعلاقات الخارجية بالمغرب الخلفي¹، أي جعل المنطقة الخليفية حلقة وصل بين إسبانيا² والعالم العربي والإسلامي.

وفي يوم 23 شتنبر 1953 م، سطر حزب الإصلاح الوطني رسالة تحمل في طياتها موقفه الرسمي من عزل ونفي السلطات الاستعمارية الفرنسية للسلطان سيدي محمد بن يوسف، موجهة إلى جامعة الدول العربية والكتلة الإفريقية - الآسيوية بهيئة الأمم المتحدة³. فاضطرت إسبانيا إلى تكليف المفوض السامي غارسيا بالينيو للتواصل مع الوطنيين وتقديم المساعدات لهم، لمقاومة السلطات الاستعمارية الفرنسية⁴.

وخلال تخليد المغاربة للذكرى 26 لعيد العرش قرر حزب الإصلاح الوطني الاحتفال به يوم 19 نونبر 1953 م، مع تسطير برنامج نصالي⁵، كرد فعل ضد السلطات الاستعمارية الفرنسية على نفي رمز الأمة والوحدة السلطان سيدي محمد بن يوسف. أما فيما يخص إسبانيا فقد وجهت مذكرة يوم 05 فبراير 1954 م لمؤسسة الحماية الفرنسية، احتجت فيها على إجراءاتها غير القانونية المتمثل في عزل السلطان⁶.

واستمرارا في تنامي العمل الوطني، وتشبث ساكنة المنطقة الخليفية بالسلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف، تم تنظيم احتفالات لتخليد الذكرى 27 لعيد العرش يوم 19 نونبر 1954 م، وكذلك تسطير رجالات الحركة الوطنية مقالات عديدة بالجرائد. واستطاع الوطنيون إقناع المفوض السامي الإسباني غارسيا بالينيو، بالسماح لهم بتنظيم المقاومة المسلحة ضد الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة السلطانية، حيث أصبح المفوض السامي الإسباني يلعب آنذاك دورا مهما في تزويد المقاومين بالأسلحة من مدينة سبتة المحتلة⁷.

1 - محمد داود، على رأس الثمانين، ص 241.

2 - Marruecos, Importantes declaraciones del Alto comisario. In Africa num 125, mai 1952, pp.267-268.

3 - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، ص 222.

4 - Jean Wolf, Maroc : L'averité sur le Protectorat Franco-Espagnol - l'épopée d'abdElkhaleq torres, Paris, 1994, p.286.

5 - محمد بن عزوز حكيم، في ركاب زعيم الوحدة، ص 208.

6 - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، ص 290.

7 - V, M, Lezcano, El final del protectorado Hispano-Frances en Marruecos, El desafio del nacionalismo magrebi (1945- 1962), Madrid 1998, p.168.

استغلت حكومة مدريد الأوضاع والظرفية التي كان يعيشها المغرب خلال فترة نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف من لدن مؤسسة الحماية الفرنسية، بمحاولة تلميع صورتها مع الوطنيين بالمغرب الخلفي والسلطاني. فبادرت الإدارة الاستعمارية الإسبانية إلى تقديم المساعدات المادية والمعنوية للوطنيين الفارين من السياسة الاستعمارية القمعية الاعتقالية، التي كانت تنهجها السلطات الاستعمارية الفرنسية ما بين سنة 1953 م وسنة 1955 م. كما سمحت إسبانيا للوطنيين بالتدريب على الأسلحة وتهريبها من المنطقة الخلفية¹ إلى المنطقة السلطانية، ثم جعل شمال المغرب مقرا للاجتماعات بين الوطنيين.

هكذا استمرت الإدارة الاستعمارية الإسبانية في دعم رجال الحركة الوطنية بالمنطقة الخلفية والسلطانية، لمقاومة مؤسسة الحماية الفرنسية إلى غاية 22 غشت 1955 م. فغيرت موقفها بانتهاء مصالحها مع الوطنيين، وأمرت بحجز الأسلحة، واعتقال المقاومين، والتضييق على الوطنيين اللاجئين بالمنطقة الخلفية.

1 - F.Cernadas , Operaciones militares en Marruecos , Africa , num 167 , novembre 1955 , pp.498-501.

وثيقة المطالبة باستقلال المغرب وموقف محمد الخامس منها

● ذ. أحمد الأزمي - فاس.

مدخل: يوم 11 يناير 1944م، الذي هو يوم تقديم وثيقة المطالبة باستقلال المغرب، يشكل إحدى المحطات المهمة في تاريخ الكفاح الوطني الذي خاضه العرش والشعب المغربي، من أجل الحرية والاعتناق من ربقة الاستعمار، ولدلالاته الرمزية يعتبر يوم 11 يناير يوم عطلة على المستوى الوطني.

ففي هذا اليوم من سنة 1944م قام رجال الحركة الوطنية بتنسيق مع الملك محمد الخامس تغمده الله بواسع رحمته، بخوض معركة نضالية حاسمة، تمثلت في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى سلطات الحماية الفرنسية، وتسليم نسخ منها إلى المقيم العام الفرنسي، وإلى القنصلين العامين لدولتي بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص.

فما هي الظروف والسياقات التي أعدت فيها هذه الوثيقة، وماذا كان موقف الملك محمد الخامس رحمه الله منها؟

I. ظروف إعداد وثيقة المطالبة بالاستقلال وردود فعل بعض الدول الأجنبية:

1 - ظروف الإعداد:

من العوامل التي ساعدت على التفكير في تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال، وقوف المغرب إلى جانب فرنسا ضد الألمان¹ في الحرب العالمية الثانية، وانهازم الدولة المستعمرة للمغرب في هذه المواجهة، يضاف إلى ذلك نزول جيش الحلفاء في المغرب، والتقاء السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه بروزفيلت رئيس الولايات المتحدة² والأمريكية وتشيرشل رئيس وزراء بريطانيا يوم 21 يناير 1943م، وما سبق

1 - روم لاندر، محمد الخامس منذ اعتلائه العرش إلى يوم وفاته، ترجمة ليلي أبو زيد، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، 2000م، ص 14.

2 - E. Roosevelt, mon père m'a dit, 1947, Témoignage d'Elliot Roosevelt sur l'entrevue d'Anfa, 22 Janvier 1943 (extraits).

ذلك من إعلان للميثاق الأطلسي يوم 14 غشت 1941م الذي يمنح الحق لكل شعب من شعوب العالم في اختيار حكومته، مع ضمان المساواة بين جميع الأمم¹.

أما وثيقة الاستقلال فقد كتبت في منزل محمد الغزاوي بالمطاحن الإدريسية بفاس، وضربت على آلة كاتبة بالفرنسية، التي تطوع بإحضارها نفس الشخص (الغزاوي)، واختير المكان بعناية، لبعده عن الاستخبارات والإقامة العامة الفرنسية². وكلف أحمد بلافريج بترجمته إلى اللغة العربية، لكنه لم يستطع الدخول إلى الرباط، وبقي في مدينة طنجة، خشية إلقاء القبض عليه من قبل السلطات الفرنسية بتهمة خدمة مصالح دول المحور.

ويرى أبو بكر القادري أن الوثيقة اشتملت على ثلاثة محاور أساسية، يتناول المحور الأول، الأسباب الداعية لمطالبة حزب الاستقلال باسترجاع المغرب لاستقلاله ووحدة ترابه، وإلغاء الحماية المفروضة عليه، بقوة الحديد والنار، مع ضمان الحريات الأساسية المؤطرة بنظام الشورى الإسلامي، في ظل الملكية الدستورية، بقيادة جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، في حين نجد المحور الثاني ينص على المطالبة باستقلال المغرب، واضعاً ذلك في حسابه، ومتأكداً من موافقة الملك محمد بن يوسف على ذلك، في أفق التقدم جميعاً (أعضاء الحزب والملك) بهذا المطلب إلى الدول المعنية، مثل فرنسا الدولة المستعمرة، وبعض قوى المجتمع الدولي النافذة، كبريطانيا والولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي³. أما المحور الثالث، فقد تضمن النظام الذي ستعتمد عليه البلاد بعد الحصول على الاستقلال، مستشرفاً في الوقت نفسه، وجوب قيام الملك رحمه الله بإدخال إصلاحات، شبيهة بتلك المعمول بها في تركيا، والولايات العربية الإسلامية التابعة لها في المشرق العربي مثل مصر، حيث يسود مبدأ الشورى الذي يضمن حقوق الراعي والرعية⁴.

ومما يلاحظ على مضامين هذه المحاور، أنها تعمدت عدم إدراج عبارات مستفزة للسلطات الفرنسية، مثل المطالبة بالنظام الديمقراطي والانتخابات، حتى لا تثير حفيظة الفرنسيين وعملائهم من المغاربة وغير المغاربة. فالذين عادوا لقراءة هذه الوثيقة بعد استقلال المغرب، وسجلوا بعض الثغرات فيها، لم ينتبهوا أو نسوا أن الظروف التي حررت فيها هذه الوثيقة، كانت صعبة، لشدة وطأة المستعمر على البلاد استخباراتياً وأمنياً، مع ما رافق ذلك من عنف وبطش واعتقالات. يضاف إلى ذلك، أن

1 - علال الحديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية (1947-1851م)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م، ص 158.

2 - عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006م، ج 10، ص 58.

3 - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية (1945-1941م)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1993م، ج 2، ص 178-180.

4 - نفسه، ص 181.

الحزب (الاستقلال) كان يضم خليطا من الاتجاهات والطبقات في المغرب، ومعها كم هائل من الأفكار، والمواقف، والرؤى. فلم يكن من السهل توحيدها، للعمل كرجل واحد، وهو ما مكن في الأخير من تحقيق مرامي حزب الاستقلال بتلاحم مع الملك، وباقي مكونات الشعب المغربي، وهي الاستقلال، وإرساء الدولة المغربية، على أسس الحرية والديمقراطية¹.

وبعيدا عن الجدل المثار حول عدد الأشخاص الوطنيين الموقعين² على الوثيقة بعد تحريرها، هل هو 58 أو 59 أو 66 الذي اتفقت عليه الأغلبية، فإن الاتفاق تم بعد ذلك على تقديمها إلى السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه، وإلى المقيم العام، وإلى كل من ممثلي أمريكا وأنجلترا. أما اختيار يوم تقديمها للسلطان، الذي هو يوم الثلاثاء 11 يناير 1944م، فلم يكن اعتباطيا، بل كان مدروسا من قبل محمد الخامس رحمه الله، لأنه اليوم الذي يزوره فيه المستشار الفرنسي على الساعة العاشرة صباحا لإطلاعه على قرارات الإقامة العامة³. وكان عدد الوفود التي تشكلت لتقديم نص الوثيقة إلى الجهات المعنية، ثلاثة⁴:

الوفد الأول: يرأسه الأمين العام للحزب أحمد بلافريج، وهو من قدم الوثيقة للسلطان محمد الخامس طيب الله ثراه.

الوفد الثاني: يتقدمه رئيس جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي إدريس بفاس، السيد محمد الغزاوي، وهو الذي قدم الوثيقة إلى نائب المقيم العام.

الوفد الثالث: برئاسة رئيس جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف بالرباط، السيد المهدي بن بركة، وقد قدم الوثيقة إلى كل من قنصل أنجلترا، والولايات المتحدة بالرباط⁵.

بعد إيصال الوثيقة للجهات المشار إليها أعلاه، اتفق أعضاء الوفود على الالتقاء بمنزل الأمين العام للحزب، أحمد بلافريج، لتناول طعام الغداء، احتفالا بنجاح خطة حزب الاستقلال، لأنهم اعتبروا إخراج المطلب من السر إلى العلن، ومن المحلية إلى العالمية، نجاحا في حد ذاته.

وما أن حل وقت الزوال، حتى انتشر خبر المطالبة بالاستقلال، فاندفع الطلبة على وجه الخصوص بحماس ووطنية، وعملوا على استنساخ وثيقة الاستقلال وتوزيعها على المناضلين في جميع أنحاء البلاد،

1 - نفس المصدر السابق والصفحة.

2 - حول هذا الموقع يمكن الرجوع على سبيل المثال إلى:

- Charles André Julien, Le Maroc face aux impérialismes, édition, J.A 1978, Paris, p 190.

3 - أبو بكر القادري، م. س، ص 181.

4 - يتضمن عمل الطالبين الجزائريين، عبر فاضل وسلوى لباشي، عناصر مفيدة حول وثيقة الاستقلال المغربية: انظر: الملك محمد الخامس ودوره في الحركة الوطنية المغربية (1927-1961م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة «قلمة» 8 ماي 1945م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ - السنة الجامعية 2018-2019م، الجزائر.

5 - أبو بكر القادري، م. س، ص 181.

وتلا ذلك اجتماعات أعضاء حزب الاستقلال والمناضلين لقراءتها، مما اعتبر دليلا ساطعا على توهج الروح التحررية الوطنية لدى المجتمع المغربي، التي لم تنطفئ، رغم مرور ما يزيد عن ثلاثة عقود من الزمن.

2 - ردود فعل بعض الدول الأجنبية:

بعد شيوع خبر المطالبة بالاستقلال على المستويين، الداخلي والخارجي، ظهرت عدة ردود فعل من قبل عدد من الدول الأجنبية، وفي مقدمتها الدولة الحامية فرنسا.

أ- رد فعل فرنسا:

ما إن اطلع المقيم العام الفرنسي بالمغرب كابريال بيو Gabriel Puaux على مضمون وثيقة الاستقلال¹ حتى طلب يوم 18 يناير 1944م مقابلة الملك قبل انعقاد المجلس الوزاري، ليبلغه بأن رؤساءه في الجزائر رفضوا المذاكرة في قضية الاستقلال، وأن مسألة إلغاء معاهدة الحماية الموقعة بفاس عام 1912م أمر مرفوض تماما، مع تعهد فرنسا في الوقت نفسه بالقيام بإصلاحات في جميع المجالات. إلا أن أعضاء حزب الاستقلال رفضوا هذا العرض، وظلوا متمسكين بمطلب الاستقلال، وحثتهم في ذلك أن كتلة العمل الوطني، سبق لها أن تقدمت بجملة من الإصلاحات للسلطات الفرنسية منذ سنة 1934م²، فبقيت حبرا على ورق؛ لذلك فإن عهد الإصلاح فات أوانه. وقد تزامن هذا الرد المغربي على الرفض الفرنسي للوثيقة، مع بيان أذاعه حزب الاستقلال، يؤكد فيه أن المطالبة بالاستقلال لا تعني أبدا العداء لفرنسا. ورغم كل المحاولات التي قامت بها الإقامة العامة بالمغرب، من أجل القضاء على مطلب الاستقلال، إلا أن عرائض التأييد التي كانت تتوارد على القصر الملكي³ كل يوم، لم تكن تزيد قادة حزب الاستقلال إلا تشبثا بموقفهم.

أمام هذا الإصرار والثبات على المبدأ من قبل أعضاء حزب الاستقلال، غيرت فرنسا أسلوب تعاملها مع الوطنيين، وعوضت المهادنة والدبلوماسية بالقوة والإكراه⁴، فدشنت مرحلة جديدة من المراقبة المشددة والتفتيش على جميع المدن المغربية، خاصة تلك التي كان أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال من سكانها، مما نتج عنه اعتقال 18 نشيطا من حزب الاستقلال يوم 28 يناير 1944م،

1 - الحاج أحمد بن شقرون وجماعة من العلماء، محمد الخامس، الملك العالم، سلسلة البدائع، الكتاب السابع، عدد خاص، مطبعة سمونا، 1995م، ص 71.

2 - أبو بكر القادري، م. س، ص 196.

3 - نفسه، ص 203-207.

4 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الرسالة، الرباط، 1980م، ص 259.

بتهمة التواصل مع دول المحور.¹ وكان في مقدمة المعتقلين: الأمين العام للحزب أحمد بلافريج، ومحمد اليزيدي. وفي صباح 29 يناير سمع الأهالي بالخبر، فوقع إضراب عام شامل في سائر المدن المغربية، أطلق على إثره سراح محمد اليزيدي؛ في حين تم نفي بلافريج إلى جزيرة كوستاريكا. ناهيك عما قامت به فرنسا من اعتقالات أخرى، وإعدامات، واعتداء على النساء والرجال في مختلف المدن المغربية لعدة أيام. وقد لخص علال الفاسي في كتابه «الحركات الاستقلالية في المغرب العربي»، رد فعل فرنسا العدواني والعنيف على مطلب الاستقلال، تلخيصا مفيدا ومركزا وشاملا².

ب- موقف بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية:

في يوم 11 يناير 1944م، تقدم المهدي بن بركة إلى قنصل بريطانيا وقدم له وثيقة الاستقلال المعبرة عن الرأي العام المغربي، فتردد القنصل كثيرا في قبولها، مبرا ذلك بأن قنصليتهم لا تتعامل إلا مع الإقامة العامة الفرنسية، وهو الموقف نفسه تقريبا الذي بينته القنصلية الأمريكية، حجتها في ذلك أن بلادها في الوقت الحالي لا تهتم إلا بقضايا الحرب، وحشد كافة الجهود لهزم العدو، بعيدا عن التفكير في شيء آخر³.

II. موقف محمد الخامس من وثيقة الاستقلال

لم يكن موقف محمد الخامس رحمه الله من وثيقة الاستقلال، موقف المباركة والقبول والترحاب فحسب، بل كان موقفه من منطلق قوي⁴ قوامه المساهمة في الإعداد والمراجعة، موظفا حنكته السياسية، وأفكاره وتوجيهاته في إغنائها، والحرص على تمثيلها لكافة الفئات والشرائح الاجتماعية، وأطراف المشهد السياسي في البلاد. ومن المؤشرات التي تدل على إسهام السلطان محمد بن يوسف طيب الله ثراه إسهاما فعليا في الإعداد والمواكبة، إلى حين الجهر بنص المطالب المغربية، من أجل الحصول على الاستقلال:

1- اتصاله بالنخبة المؤثرة في البلاد: بعد عيد العرش يوم 18 يناير 1943م بدأت الاتصالات السرية بين السلطان محمد الخامس رحمه الله والوطنيين، فكانت أولى الاتصالات مع جماعة قدماء ثانوية

1 - Groupe d'auteurs, Histoire du maroc, librairie nationale, Casablanca, 1967, p 397.

2 - علال الفاسي، م. س، ص 259.

3 - أبو بكر القادري، م. س، ص 186.

4 - زكي مبارك، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وإشكالية استقلال المغرب، منشورات فيديبرانت Phediprint، 2003م، ص 25.

مولاي إدريس بفاس، ومع جماعة الحزب الوطني، ثم مع بعض من علماء القرويين، والرباط، وسلا، ومكناس، لتحضير هيئة للمطالبة بالاستقلال¹.

2- اختيار يوم تقديم الوثيقة: لم يكن اختيار اليوم الذي هو 11 يناير 1944م، اعتباطيا، بل دبر الملك ذلك قصداً، باعتباره اليوم الذي يزوره فيه المستشار الفرنسي على الساعة العاشرة صباحاً لتبليغه بقرارات الإقامة العامة، لذلك استحسن محمد الخامس رحمه الله أن تصله الوثيقة قبل نصف ساعة من وصول المستشار الفرنسي، ليقدمها له دون أي تأجيل².

3- حرص جلالته على مراجعة مضمون الوثيقة: تمت القراءة والمراجعة الأخيرة لها من قبله شخصيا، وبمعية شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، ومحمد المعمري الزواوي³. وبعد ذلك، تشكلت ثلاثة وفود لإيصال نص الوثيقة إلى الجهات المحددة، كما تقدم.

4- استقبال جلالته للوفد الحامل للوثيقة لإطلاعه عليها: بتاريخ يوم الثلاثاء 11 يناير 1944م، عندما كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحاً، انطلق من منزل محمد اليزيدي الوفد الذي كان يرأسه أحمد بلافريج إلى دار المخزن. وبينما هم في قاعة الانتظار استعداداً لمقابلة الملك، وصل مستشار الحكومة الفرنسية، الذي ظل مشدوها من وجود هذا الوفد. وبعد مدة من الزمن، دخل الوفد لمقابلة جلالة السلطان محمد بن يوسف رحمه الله، وأمامه ألقى الأمين العام لحزب الاستقلال أحمد بلافريج خطاباً، غاية في الأهمية، انبسط له السلطان⁴، وفرح وانفتحت أسارير وجهه، لما اشتمل عليه كلام بلافريج من معاني عظيمة. أما رد الملك في كلمة له أمام الوفد، فمفاده أنه سوف يقوم بدراسة هذه الوثيقة قبل عرضها على العلماء والأعيان.

جلسة الملك هذه مع الوفد، التي دامت ساعة كاملة، قضاهما المستشار الفرنسي كلها في الانتظار. وكان مصدر حيرة هذا الأخير جهله لسبب هذه المعاملة، لأنه جرت العادة أنه عندما يصل إلى دار المخزن لمقابلة الملك، يدخل مباشرة دون انتظار، مما جعله يدرك أنه يوجد شيء ما يطبخ. فالحاج محمد المقرري الصدر الأعظم نفسه، الذي كان باستطاعته تنوير المستشار الفرنسي، لم يكن يعلم شيئاً عن مطالب الوفد⁵.

1 عبد الكريم الفيلاي، م. س، ص 45-54.

2 - أبو بكر القادري، م. س، ص 181.

3 - نفسه، ص 181.

4 - نفسه، ص 183.

5 - نفسه.

5- عقده لاجتماع مع رجال الدولة وأهل الحل والعقد لمعرفة رأيهم¹: انسجاما مع رغبة الوفد، أمر محمد الخامس طيب الله ثراه بأن يعقد اجتماع مع أهل الحل والعقد يوم 13 يناير 1944م، وهو اجتماع ضم نخبة من الوزراء وكبار القواد والعلماء والقضاة والأشراف، أخبرهم بأن حزب الاستقلال قدم له وثيقة تاريخية تطالب باستقلال المغرب، وأنه موافق عليها، من حيث المبدأ، وبما أن المجتمعين نخبة البلاد وأعمدتها، فقد خاطبهم قائلا: «... وبما أنكم أهل الحل والعقد في البلاد، لا بد من أخذ رأيكم والتشاور معكم، وعليكم أن تتحملوا معي هذه المسؤولية، لأن البلاد أمانة عندنا»².

وكان من بين الحضور، الصدر الأعظم محمد المقرري، الذي بقي صامتا؛ في حين قال المصلح والسلفي محمد بن العربي العلوي: قل لنا ماذا نعمل ونحن من اليوم تحت قيادتكم. أما الباشا الحاج التهامي الكلاوي، فكان كلامه قصيرا، لكنه حاسما، حيث قال: «يا صاحب الجلالة، أنت ملكنا، وسنكون دائما وراءكم»³. فهل كان الكلاوي يشك في قدرة محمد بن يوسف على شق عصا الطاعة ضد فرنسا؟

خاتمة:

إن التحام السلطان محمد الخامس رحمه الله بالشعب⁴ لم يكن وليد سنة 1944م، وتفسير ذلك أنه قام قبل هذا التاريخ بعدة محاولات للحد من سيطرة فرنسا، واستعمل عدة وسائل للوصول إلى هدفه كمرحلة أولى، قبل المطالبة بالاستقلال، كما يشهد على ذلك تقرير وضعته مديرية الشؤون السياسية الفرنسية في 23 مارس 1945م. وهذا التقرير عبارة عن ملف سري، يوجد في أرشيف كي دورساي⁵ Quai d'orsay بباريس. وتكمن أهميته في كونه يبرز شخصية محمد الخامس الوطنية الفذة، بقدر غير قليل من التفاصيل؛ لذلك، فالتقرير ورد تحت عنوان: «الوطنية السلطانية» le nationalisme sultanien⁶.

هذه الشخصية المتفردة للسلطان محمد الخامس طيب الله ثراه في التضحية والنضال، والوفاء للبيعة، كما تشهد على ذلك معطيات الملف السري المشار إليه أعلاه، زادت تبلورا وصدقا، وواقعية

1 - محمد بن هاشم العلوي، من وراء السدود أو الحركة الوطنية بفاس سنة 1937م وسنة 1944م، القاهرة 1980م، ص 80.

2 - أبو بكر القادري، م. س، ص 194.

3 - نفسه.

4 - الصادقي العماري، «مذكرتي»، أبعادها وبنائها في الحركة الوطنية المغربية، ضمن كتاب: أبو بكر القادري، دراسات وشهادات، إعداد وتنسيق نجاة المريني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1994م، ص 181.

5 - هذا الاسم يطلق على وزارة الخارجية الفرنسية، ويوجد في المقاطعة السابعة بباريس (فرنسا)، على الضفة اليسرى لنهر السين Seine. 6 - le nationalisme sultanien, Archives du quai d'orsay, Paris, 1944-1949, M1, Vol. 6.

نقلا عن أسية بنعدادة، الملك محمد الخامس والمطالبة بالاستقلال، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، قطاع الثقافة ضمن الموقع الإلكتروني:

www.miniculture.gov.ma

في التعاون، والتفاعل مع رجال الحركة الوطنية، باحتضانه ورعايته لتحرير مضامين وثيقة الاستقلال، وفق ما تم تسطيره في هذا المقال. ومما شجع الجميع (الحركة الوطنية والملوك) على التجرد على فرنسا والمغامرة والجهربطلب الاستقلال، إعلان الميثاق الأطلسي من طرف الحلفاء في 14 غشت 1941م، الذي اعترف بحق الشعوب في اختيار شكل الحكم الذي تريده، عقب انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. كما ساهم النزول الأمريكي سنة 1942م فوق الشواطئ المغربية، واجتماع محمد الخامس برئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفيلت في آنفا يوم 22 يناير 1943م، في تقوية الآمال عند المغاربة، ودفعهم للمطالبة بالاستقلال. فكان تقديم هذه الوثيقة بحق، بداية نهاية الاستعمار على مغربنا الحبيب، وبزوغ فجر الحرية والانعقاد في كل ربوعه.

ذكرى ثورة الملك والشعب

• د. إبراهيم بن أحمد الوافي.

رئيس المجلس العلمي المحلي لإنزكان أيت ملول.

إن مما تقتضيه وتستدعيه المناسبات على اختلاف أنواعها، ولا سيما الأحداث والذكريات، هو النظر إليها ومن خلال سياقاتها نظر اعتبار واستبصار، لإدراك ما تشير إليه، وما يستفاد منها من مآلات، ومن دروس نافعة في الحياة اليومية والمستقبلية؛ فتجديد الاحتفال بالذكرى، فيه تبديد لما قد يعتري النفوس من الذهول والنسيان، وتفتين العاقل، وإيقاظ الوسنان؛ ولذلك كان لكل أمة ذكرياتها من تراثها وتاريخها، التي تعتز بها وتلقنها لأجيالها، وتدلهم على ما يمكنهم استخلاصه منها، ومن الاحتفال بها، ولبلدنا المغرب الأقصى، أفاض الله عليه النعم بلا عد ولا إحصاء، محطات وذكريات رائدة، تستلهم منها الأجيال، ومما حُفَّ بها من إنجازات، وما تخللها من تضحيات، ما يجعلها على وعي بمغزى تلك الذكريات، وما ترمز إليه من إشارات؛ ومن أهمها ذكرى «ثورة الملك والشعب»، التي نستقبل هذا العام ذكرها التاسعة والستين، فهي ذكرى تخلد أجداد الأجداد، وتحفز عزائم الأحفاد، وتضرب المثال لأهل الإنكار والعناد، على استمرار المغاربة في الوقوف صفا واحدا، وراء عاهلهم المفدى، لحماية الحدود، واسترجاع المفقود.

وإن مما يرمز إليه الاحتفال بهذه المناسبة الخالدة، التي هي منبع للإمداد والاستمداد، ومنجم زاخر بالعطاءات، والتضحيات، والجهاد، هو التذكير بما عرف به المغاربة من عدم المساومة على أرضهم، ومقدساتهم، والتفافهم حول رمز وحدتهم، الساهر على أمنهم، والضامن لوحدة تراثهم، وأنهم دوما على استعداد للسير وراء قائدهم فيما تجتمع عليه كلمتهم، ويتحد به صفهم، ويرتقي به وطنهم.

كما أن ما ترمز إليه أيضا، هو تلك النموذجية غير المسبوقة لالتحام الملك بالشعب، والتحام الشعب بالملك، ولا سيما في أيام المحن والابتلاءات، وهو مما تَعَوَّدَ عليه المغاربة كلما دعا داعي الواجب الوطني أَنْ هَلُمُّوا، وكلما حمى الوطيس¹؛ وهذه الكلمة صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسبقه إليها

1 - قال الأصمعي وغيره: الوطيس: حجارةٌ مُدَوَّرَةٌ، فإذا حميت لم يمكن أحداً أن يطأ عليها. فيُضْرَبُ ذلك مثلاً للأمر إذا اشتدَّ. / الفاخر للمفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (المتوفى: نحو 290هـ)، (ص: 139)، ط. 1، البابي الحلبي، 1380هـ.

أحد؛ في ملحمة يوم حُنين، وهو على بغلته الشَّهباء، يستحث الأبطال على الاستماتة في الجهاد، في حديث طويل في المغازي.¹

وقد استلهم المغاربة على عاداتهم في الاقتداء بالرسول ﷺ، هذا التوجيه النبوي ونظائره، وطبقوه في مواقف كثيرة من كفاحهم وتاريخهم المجيد، ومن بينها ملحمة: «ثورة الملك والشعب» التي وضعوا بها حدا لتلاعبات المستعمر، وتحركاته المعادية لرمز التحرير السلطان الشرعي محمد بن يوسف، والكيد له والإعداد لخلعه ونفيه وعائلته إلى كورسيكا، ومنها إلى مدغشقر، وذلك في 20 غشت 1953م، وتنصيب دمية ابن عرفة مكانه.

ولا شك أن الاستعمار الفرنسي قد تجاوز حده بتلك الفعلة الشنيعة، لما امتدت يده الغاشمة إلى رمز التحرير الملك المجاهد، السلطان محمد الخامس وأسرتة الملكية، وخلق لنفسه بسوء صنيعه أزمة لا يحسد عليها، فقد سرى وقعها البغيض إلى نفوس كل بيت مغربي، ورفضها المغاربة رفضا باتا، وصار المغرب كله مشتتلا في وجه المستعمر، مما أحدث تحولا جذريا في مسيرة الكفاح، ولم تعد المطالب مقتصرة على ما كان من قبل؛ وإنما تحولت إلى مطالبة علنية بالاستقلال، وخروج المستعمر نهائيا من البلاد، وخلع دمية ابن عرفة، وعودة الملك الشرعي محمد بن يوسف إلى عرشه، وفرضت الحركة الوطنية بمجموعها هذه المطالب من خلال عمليات الفداء، وعمليات جيش التحرير، مع تكثيف النشاط الدبلوماسي في كافة المنابر الحرة، مما أربك المستعمر وأجأه إلى التفاوض، والتسريع في إرجاع السلطان محمد الخامس منتصرا، وباعتراف فرنسا باستقلال المغرب في 16 نونبر 1955م. وألغي وضع طنجة الدولي، وتحررت في أكتوبر 1956م.²

ثم تلت فرنسا إسبانيا، وتخلت من جهتها عن المنطقة الخليفية، وأبقت على احتلالها لكل من مدينة سبتة ومليلية، وطرفاية وإفني والصحراء المغربية، وظل المغرب يسترجع أرضه، ويطالب بالباقي، ممن استلبه منه ظلما وعدوانا، وما زال هذا الأمر قائما والمغرب يكافح منذ ذلك الحين إلى اليوم، ومع كل مكابذاته ومعاناته، لا يستحيي الجار الذي كان من المنتظر أن يؤازره، ما فتئ يخلق العراقيل ويتستر وراء صنيعته الانفصالية، ليطلب حقه مما ليس له؛ ومن البلية شر من لا يرعوي، ومن لا يرجع عن غيه وظلمه وتعتته، ومن لا يستشعر محاسبة نفسه عن سوء فعله وخلقه، وما يلحقه من الضرر بنفسه وبغيره؛ مع أن الحقيقة بازغة لكل ذي عينين، بزوغ الشمس في رابعة النهار، وهي أن المغرب كافح بالطرق المتاحة على

1- المغازي للواقدي، (3: 899).

2- تاريخ المغرب، تحيين وتركيب، إشراف وتقديم الأستاذ محمد القبلي، ص: 604.

الصعيد الدولي والمحلي من أجل استرجاع أراضيهم، والجار ينتظر أن يهديها له على طابق من ذهب، بعد أن حررها المغاربة بقيادتهم الرشيدة والحكيمة، وبكافة مكوناتهم وشرائعهم الاجتماعية من المستعمر. فكيف يتصور من له أدنى مسكة من العقل أن يهدي المغاربة أقاليمهم الجنوبية لبني جلدتهم من انفصاليين مغاربة، أساءوا السوأي بالخروج عن طاعة الإمام الأعظم، وتفضيل إنفاق أعمارهم في الباطل، وأرزاقهم، في محاربة إخوانهم ووطنهم، فماذا يُنتظر من هؤلاء؟

وماذا ينتظرون ممن يكذب عليهم ويحتجزهم؛ وإذا كان أمره يهمهم بالفعل، فأراضيهم شاسعة، فليصدق عليهم من أرضه، إشفاقا منه عليهم، وإذا كان ذلك لا يمكنه فعله، فكيف يطالب غيره بفعله؟ إن أفعال العقلاء تنزه عن العيب، وهم قد بدأوا منذ نصف قرن بالعبث وما زالوا عليه، ولا من يدرك حقيقة الأمر، ويرجع عن غيه ويستفيق؛ ولقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة»¹. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة، إذا لم تستحي فافعل ما شئت»²

وإذا لم يكن لذكرى عشرين غشت، سوى أن تذكرنا بما علينا استذكأره، وتنور عقولنا بما تحتاج إليه من تنوير، حتى ترى الحق حقا فتعمل به، والباطل باطلا فتحذره وتجتنبه، فكفاها ذلك عطاء؛ أما وإنها تذكرنا بأجداد رجال هذه البلاد، في مسيرة التحرير من أخطبوط الاستعمار، فأنعم بها من ذكرى وأكرم، فهي رمز لتجسيد التحام الملك والشعب، في ثورة لا تعرف هوادة، لاسترجاع الأمور إلى نصابها، وهي ذكرى ذات النفحات المستمرة، لتحرير باقي الثغور المغربية التي ما زال المستعمر متمسكا بها، متذرعا بأعدار واهية مثل من يحجب ضوء الشمس بالغربال، زاعما مع من يدعم أطروحاته بأن سبتة ومليلية من أوروبا، ولو كنا في مسلاخه، لادعينا بأن قرطبة من أفريقيا، وحُججنا على الأرض والعمران الحضاري أوثق من ادعاءاته وحججه، فيا لله ما هذه الأحكام الجائرة في حق جار قدّم لجيرانه، ولأوروبا الكثير وما زال؟ مما يمكنه ويستطيعه وما لا يستطيعه، مجارة لحفظ العهد والود وحسن الجوار، ولم يحصل من هذه الدول على صوت حق لدولة عاقلة راشدة، تخلد نفسها في تاريخ الإنصاف لغيرها، وتصرح بأن ذاك حق المغرب، لا غبار عليه، وتلك أرضه داخل حدوده وخريطته، وهو بلد مسالم لا يُعرف بالترامي ولا بالاعتداء على أحد، ولا يستولي على أراضي أحد، بل العكس هو الصحيح، فالمغرب بلد يضحى ويقف مع من ضاع حقه، وسلبت أرضه؛ فإذا كان الهدف واضحا من أول وهلة، فمن الظالم ومن المتطاول على حق غيره؟

1- صحيح البخاري: 46 - كتاب المظالم والغصب، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، ح. 2447.

2- صحيح البخاري: 78 - كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، ح. 6120.

ألا فليحذر من لم يقدر غيرة المغاربة على وطنهم ومقدساتهم وثوابتهم، وحرصهم واعتزازهم بما قدمه أسلافهم من تضحيات في سبيل عزة هذا الوطن وكرامته، فهم يقفون في كل زمان ومكان أوفياء لأرواحهم الطاهرة، ويستخلصون الدروس والعبر من مسيراتهم الزاهرة، وهم على نهجهم في الالتحام عند الشدائد، مهما كانت الأحوال والظروف، كما أنهم لا يتوانون ولا يتخاذلون، ولا يترددون أمام نداء الواجب، فكيف يقبلون الظلم والجور؟ والحال أنهم ينهلون من دروس تاريخهم المجيد، وما رصعوا به جبينه من انتصارات الشجعان، في وجه موجات الغزو الأجنبي، الفينيقي والوندالي، والروماني، والصليبي، فقد قهرهم وردوهم على أعقابهم خاسئين خاسرين، دفاعاً عن حقهم، وحماية لبيضتهم، وحوزتهم، ومؤمنين بسنة التدافع الربانية، المنصوص عليها في الآيات القرآنية، وهي قوله تعالى: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت السواحل وبيع وحصونهم ومساكنهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾².

فكما أن الأجسام تحمي نفسها من الدخيل بالتآزر ضده، فتقاومه ما استطاعت؛ وفقاً للسنن الإلهية والكونية، فكذلك الأمم والشعوب، فما أسرع انتشار الظلم والفساد في الأمم، إذا لم يلتفت عليه ويقاوم؛ وهذا لا يتحقق إلا بنوع خاص من الحزم والعزم والانضباط، وإيثار التضامن، والتعاون، والتآزر، وترك الكراهية والتحاسد والتباغض، واستبدالها بالتواد والتحاب بين أفراد المجتمع الواحد، ذلك التحاب المترتب عن حب الله وحب رسوله ﷺ الذي هو شرط الإيمان الصحيح؛ وهو ما يستفاد مغزاه من حديث رسول الله ﷺ: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»³.

قال ابن بطال القرطبي في شرحه: «صفة التحاب في الله تعالى، أن يكون كل واحد منهما لصاحبه في تواصلهما وتحابهما، بمنزلة نفسه في كل ما نابها»⁴؛ أي في كل ما أصابه وحلَّ به.

وهذه المناسبة شرط في التذكير بالتحاب والتواد، الذي ضرب فيه المثل الأعلى الآباء والأجداد في ثورة الملك والشعب، فقد ذكروا لنا أنهم في محنة استرجاع الاستقلال، قاموا قومة رجل واحد في المدن، والبوادي، والقرى، مطالبين بالتعجيل بعودة الملك محمد الخامس إلى عرشه، وبخروج المستعمر

1- سورة الحج، الآية: 38.

2- سورة البقرة، الآية: 249.

3- صحيح البخاري: 78 - كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ح. 6011.

4- شرح صحيح البخاري لأبي الحسن بن بطال القرطبي المتوفى عام 449هـ، (9: 236).

واستقلال البلاد، فاسترخصوا من أجل تحقيق هذين الهدفين كل غال ونفيس، متساحين، متضامنين، متعاونين، ميسرين، وداعمين للمقاومة، ومقدمين كافة الخدمات لها، ومتكتمين عن خططها وأسرارها، مفضلين الموت عن البوح بتحركاتها، وتلك هي شيم العقلاء من المغاربة الأحرار، الذين يقدرון الظروف، ويقومون بالواجب كما يجب، وغير ذلك من أنبل الشيم والسجايا، وأحسن الأخلاق والمكارم، التي تذكر لهم فتشكر.

إن مما ينبعث من أريج هذه الذكرى الخالدة في الوجدان المغربي لا يمكن عدّه ولا حصره؛ لأنه حدث له سياقات، وتفاعلت فيه جملة أحداث؛ لكن أهم ما يوقف عنده من هذه الذكرى، هو ما جدته ثورة الملك والشعب من إذكاء روح المسؤولية، وإيقاد جذوة الشعور بالحرية والاستقلال، واحترام ثوابت الأمة ومقدساتها، لدى الجيل الجديد من المغاربة، وهو لعمرى رصيد ثمين لا يقدر بثمن؛ لأنه سيبقى خالدا وماثلا للعيان للأجيال، ينفقون منه سرا وجهرا، على المدى القريب والبعيد، كلما دعا داعي التعبئة والتزود، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذه من نعم الله على هذا البلد المعطاء، التي تستحق التحدث، والتذكير، والشكر، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّب بين فلوبكم وأصتمت بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾¹، وقال عز وجل: (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ فلتم سمعنا وأطعنا، واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور)²، وقال سبحانه: (أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم، واذكروا إذ جعلكم خلعا من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بخصّة، فاذكروا آلاء الله لعلكم تعلقون)³.

والمقصد من هذا التذكير هو أن النعمة على الأسلاف والآباء، هي بمثابة النعمة على الأبناء؛ لأنها سُمعة حسنة لهم، وقُدوة يقتدون بها بعدهم، وبركة يعود نفعها عليهم، وصلاح لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومستقبل القادمين من أجيالهم، ولا شك أن بعض هذه النعم يورث، وتكون له تجليات، فيما فطر الله الذريات، من فطنة، وذكاء، وسلامة طويات، ولولا تلك النعم الموهوبة من العزيز الوهاب، لمات ذكر الأسلاف، وساء حال الأخلاف.

ونسأله جلت قدرته وعظمت حكمته أن يبقي علينا نعمة الإيمان، والإسلام، والإحسان، وأن يثبتنا على الجادة، ويحفظنا من العدوان والطغيان، ويجنب بلدنا ويعصمها من الشرور، والفتن، والآثام، وأن

1 - سورة آل عمران، الآية: 103.

2 - سورة المائدة، الآية: 8.

3 - سورة الأعراف، الآية: 68.

يجبر أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يتولى برحمته الواسعة فقيدي العروبة والإسلام، جلالة الملكين الراحلين، محرر البلاد الملك المجاهد محمد الخامس، وباني المغرب الحديث وموحد البلاد، الملك الحسن الثاني، وبيارك في خلفهما، ووارث سرهما وأمجادهما، مولانا أمير المؤمنين، جلالة الملك محمد السادس، دام له النصر والتأييد، والتوفيق، والتسديد، وبيارك في ولي عهده المحبوب، سمو الأمير المولى الحسن، وصنوه السعيد المولى الرشيد، ويوفق الجميع إلى طريق الرشاد والتسديد، إنه سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علماء وطلبة القرويين وثورة الملك والشعب

● ذ. إدريس الفاسي الفهري

نائب رئيس جامعة القرويين بفاس.

لهذا الموضوع مدخلان؛ مدخل أعم، هو ثورة الملك والشعب، ومدخل أخص؛ هو علماء وطلبة القرويين باعتبارهم من جملة الشعب.

أما فيما يتعلق بالمدخل الأعم الذي هو ثورة الملك والشعب؛ فينبغي أن نكون واعين بأنها حالة خاصة من أحوال التاريخ البشري، فلقد ظل للثورات التي يحدثنا عنها التاريخ طرفان، طرف قائم بالثورة، وطرف قائم ضده؛ وعموم الثورات التي عرفها التاريخ كان الشعب فيها قائما بالثورة ضد حكامه. ولكن ثورة الملك والشعب، تتفرد في التاريخ بأنها ثورة جمعت بين الملك والشعب في خندق واحد.

فكيف كان ذلك؟ وما هو السياق التاريخي الذي جعل من الملك والشعب ثائرين في وقت واحد؟ وما هو المطلب أو المطالب التي جمعت بين الملك والشعب في هذه الثورة؟

وأما ما يتعلق بالمدخل الأخص للموضوع، الذي هو علماء وطلبة القرويين، فهم كما تقدم مكون من مكونات الشعب الذي ثار بمعية الملك، ولكن يكتسي الحديث عن علماء القرويين وطلبتها في سياق الكلام عن ثورة الملك والشعب أهميته الخاصة، من المبدأ الدستوري الأكبر، والركن الأساس في نظام الحكم المغربي، أي عقد البيعة في الشريعة الإسلامية. وللعلماء فيما يتعلق بالبيعة الشرعية مكانتهم الخاصة؛ لأنهم معدودون ضمن أهل الحل والعقد، الذين تنبني عليهم البيعة الشرعية، ولا تتم إلا بحضورهم وموافقتهم.

ولذلك، فإن السؤال الخاص الذي نعرض له في هذه المناسبة، هو كيف كان موقف علماء القرويين وطلبتها في غضون أحداث ثورة الملك والشعب؟ وحين نتساءل عن موقف علماء القرويين وطلبتها ضمن هذه الأحداث التاريخية، ينبغي علينا أن نضع في اعتبارنا أمرين:

الأول: أن القرويين هي يومئذ الصرح الجامعي الفريد في المغرب.

والثاني: أن للقرويين من الشرعية والمكانة المتجذرتين في التاريخ، ما جعل كلا من سلطات الحماية، وغيرها من السلطات، تحسب له ألف حساب.

وسوف أصدر في المعلومات الموالية:

- عن الجرائد الصادرة في هذه الفترة،
- وعن بعض مدونات قادة الحركة الوطنية من علماء القرويين،
- وعن المذكرات التي جمعتني في هذه الشؤون بالعالم الجليل والوطني الكبير، سيدي عبد الحي العمروي، شفاه الله تعالى وأمد في عمره.
- ويمكن الرجوع إلى نظرة أشمل للموضوع في أطروحة مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس، بعنوان "علماء القرويين زمن الحماية 1912 - 1956 م"، أعدتها الطالبة الباحثة حنان الحمياني، تحت إشراف الزميل الدكتور محمد حاتمي. وقد كنت ضمن لجنة مناقشتها.

وإن كان لي من فضل في هذه الورقة، فهو لا يتجاوز:

- الترتيب التاريخي للأحداث،
- والتأمل في الأسباب والمسببات،
- والاعتبار الصحيح للأسس الشرعية للبيعة، التي أعطت للعلماء دورا بارزا في ثورة الملك والشعب وما قبلها وما بعدها.
- وتحليل الأحداث داخل المغرب بمجريات وتطور المبادرات، والتشريعات، والمنظمات الدولية في هذه الفترة، نظرا لتأثيرها الواضح في ثورة الملك والشعب قبل حصولها، وفيما بعده.
- وكل ذلك مع غاية ما يمكن من الاختصار؛ لأن المجال يضيق عن التفصيل اللائق بالموضوع.

المبحث الأول: مجريات الأحداث التي قادت إلى ثورة الملك والشعب:

شهدت العلاقة بين السلطان وبجانبه الحركة الوطنية من جهة، والإقامة العامة من جهة أخرى شدا وجذبا متبادلا، ابتداء عمليا بتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944 م، لتكون موضوع اعتبار في الاجتماعات الأمامية الموالية التي ستنتهي بإعلان ميثاق الأمم المتحدة.

وقد عرف المناخ الدولي العام بعد الحرب العالمية الثانية تغييرات هامة فعلية، ولاسيما المقتضيات الدولية لميثاق الأمم المتحدة، وعلى الأخص الفصل الحادي عشر منه المتضمن للتصريح المتعلق بالأقاليم

غير المتمتعة بالحكم الذاتي. وقد كان كل من السلطان، والحركة الوطنية، والإقامة العامة، على وعي بهذه التحولات الدولية، وعلى ترقب وتطلع لما تسفر عنه.

وعرفت علاقة السلطان سيدي محمد الخامس - طيب الله ثراه - بمؤسسة الإقامة العامة توترات متوالية اشتدت وتيرتها منذ سنة 1950 م. حين سعى المقيم العام الجنرال ألفونس جوان في بداية هذه السنة إلى إحداث تغييرات نوعية في العلاقة التي تربط الدولة المغربية مع الحماية الفرنسية. بحيث قدم الجنرال جوان مقترحات ظهائر سلطانية تقتسم بموجبها السلطة الفعلية بين السلطان والإقامة العامة، وذلك عن طريق تكوين مجالس تمثيلية مشتركة بين المغاربة والفرنسيين. وقد كانت الممانعة القوية للسلطان في هذا الشأن بداية لتفكير الإقامة العامة في التخلص من السلطان بطريقة ما. وقد تراجعت الإقامة العامة عن خلع السلطان في هذا الوقت بعد أن قام بتوقيع الظهائر المعنية، وإن كان ذلك مع وقف تنفيذها.

وخلف الجنرال جوان مقيم عام جديد، هو الجنرال أوغستان غيوم في أكتوبر 1951 م، الذي مضى على نفس نهج سابقه وإن كان أكثر منه تشددا. وجاء الرد الواضح على هذه السياسة ضمن خطاب العرش الذي وجهه السلطان محمد الخامس - رحمه الله - يوم 18 نونبر 1952 م، والذي صدره بالحث على الصبر والثبات، وضمّنه خطّته للوصول بالمغرب إلى ديموقراطية حقيقية مثل جميع الأمم الحرة.

وبعد نحو شهر من ذكرى عيد العرش وخطابها التاريخي شهدت عموم ربوع المملكة المغربية مظاهرات عامة على إثر اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد يوم 5 دجنبر 1952 م، وجوبت تلك الانتفاضة بالقمع الشديد، ووقعت مجازر في مختلف المناطق.

وأمام الالتزامات الدولية التي تجرّم كل هذه التصرفات للإقامة العامة الفرنسية، واعتبارا للموقف الثابت للملك الشرعي للمغرب الذي لا يقبل بدون السيادة التامة للدولة المغربية، جاءت محاولة الالتفاف على القضية الأساسية بطريقة قابلة لأن تحسب شرعية، وهي إزاحة الملك الشرعي بمبادرة من الأعيان وعموم من يحسب من أهل الحل والعقد. فتم بالتخابر مع المتعاونين مع الإقامة العامة تنظيم لقاءين جامعين رصد لهما من الزخم الإعلامي والحضور الرسمي ما يجعلهما يظهران بمظهر المبادرة المغربية الداخلية المشروعة:

- نُظِّمَ أحد اللقاءين بفاس بعنوان: «اجتماع اتحاد الزوايا بالشمال الإفريقي»، وتزعّم اللقاء واستضافه شيخ الطريقة الكتانية. ودُعي له مجموعة من ممثلي الزوايا في المغرب، والجزائر، وتونس، والأقاليم الصحراوية، وكان عموم الحاضرين من ورثة المشيخة الصوفية الأميين وأشباه الأميين الذين لا تجمعهم بالطرق التي يمثلونها إلا أنسابهم. وذلك بالإضافة للباشوات، وممثلي الإقامة العامة ومن

يدور في فلکهم. ويمكن الاطلاع على مجريات اللقاء من خلال المقال المفصل الذي حرر في الموضوع بجريدة السعادة، عدد 10 أبريل 1953 م.

- ونُظِّم اللقاء الثاني بمراكش، بحضور الباشوات والقياد الخاضعين لنفوذ الباشا الكلاوي، وحضرته حوالي 270 شخصية، وانتهى بتحرير عريضة وُجِّهت للإقامة العامة الفرنسية، وإن كانت قد حُرِّرت بإملاء منها، تتضمن المطالبة بإزاحة الملك الشرعي عن العرش، بحجة انحيازه وانتمائه للأحزاب المتطرفة، وغير المعترف بها. ويمكن الاطلاع على مجريات اللقاء من خلال المقال المحرر بجريدة القيامة، عدد 4 يونيو 1953 م.

وهي العريضة التي تم رفعها إلى وزارة الخارجية الفرنسية يوم 26 ماي 1953 م. والتي كان من جرائها نفي السلطان الشرعي محمد الخامس يوم 20 غشت 1953 م إلى كورسيكا، وإعلان محمد بن عرفة سلطانا على المغرب عوضا عنه؛ والتي انطلقت من جرائها ثورة عارمة في كل أرجاء الدولة المغربية احتجاجا على نفي الملك، وهي التي عرفت بثورة الملك والشعب.

المبحث الثاني: موقف علماء وطلبة القرويين خلال أحداث ثورة الملك والشعب:

المطلب الأول: موقف علماء القرويين من الأحداث السابقة لثورة الملك والشعب:

(أ) أحداث 1951 - 1952 م:

1- نظرة عامة:

يمكننا أن نتحدث عن مواقف علماء القرويين من الأحداث الجارية قبل وخلال ثورة الملك والشعب، ابتداء من نفس السنة التي عرفت التوتر الحاد بين الملك محمد الخامس - طيب الله ثراه - والمقيم العام ألفونس جوان. ولا يمكننا هنا أن نستعرض على التفصيل مجهودات علماء القرويين في التعبئة الوطنية، واجتماعاتهم، وتنظيماتهم، وتفاصيل تحركاتهم، ولكن يمكننا انطلاقا من سجلات الاعتقال والتوقيف، أن نستعرض بعض المحطات المفيدة، والدالة على ما وراءها من المجهودات والتحركات التي لم تكن تفتقر في دروسهم داخل الجامعة، أو دروسهم العامة، وخطبهم ومنشوراتهم.

وذلك من غير أن ننسى الأحداث والاعتقالات التي تعرض لها علماء القرويين في مناسبات سابقة بمناسبة استنكار الظهير البربري، وبمناسبة تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وبغيرها من المناسبات، والمعاناة داخل سجون الإقامة العامة التي تعرض لها علماء أفذاذ، منهم من قضى نحبه تحت نائرة التعذيب، مثل الفقيه محمد القري، ومنهم من قضى نحبه بعد الإفراج عنه بمدة يسيرة، متأثرا لما خضع

له من التعذيب في المعتقل، مثل الفقيه عبد الوهاب الفاسي، الذي قام بتحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال بخطه ومن إنشائه.

2- توقيف وسجن العلماء:

وارتباطا بالأحداث والملابسات المتعلقة بثورة الملك والشعب، يمكننا أن نسجل أنه في سنة 1951م تم توقيف خمسة من علماء القرويين عن مهامهم الجامعية، بتهمة بث الأفكار السياسية داخل الجامعة، وهم السادة الفقهاء: محمد المستاري، وعبد الكريم التواتي، وأحمد الجاي، وعبد الرحمن ربيحة، وعبد الرحمن الجاي، وإبراهيم ابن الحاج.

واعْتُقِلَ الخطيب الفقيه المناضل السيد عبد الرحمن ربيحة خطيب مسجد الأندلس في أبريل من نفس السنة، بتهمة التحريض على عدم أداء صلاة الجمعة وراء أحد نواب خطيب جامع القرويين، باعتبار ميولاته التي لا تتوافق مع تعليقات الحركة الوطنية.

كما اعتُقل في نفس الوقت الخطيب الفقيه المناضل السيد علال الجامعي، خطيب مسجد فاس الجديد، بتهمة التلفظ بكلمات في خطبة الجمعة من شأنها أن تقلق الرأي العام.

واعْتُقِلَ كذلك العالمان الجليلان الفقيه العروسي، والحسن العلوي، وحكم عليهما بخمسة عشر يوما في سجن الباشوية.

واعْتُقِلَ بالرباط الفقيه السيد عبد الواحد بنعبد الله من جراء ما أبداه في بعض دروسه العامة من التنويه والتعاطف مع القطر الليبي بمناسبة حصوله على استقلاله.

وبمناسبة ما أقامه علماء القرويين من صلاة الغائب على شهداء أحداث الدار البيضاء، تم إلقاء القبض على العالمين الجليلين المناضلين السيدين إبراهيم الكتاني، وعبد الرحمن الحريشي.

3- عريضة احتجاج علماء القرويين:

وقد رفع علماء القرويين عريضة احتجاج إلى السلطان سيدي محمد بن يوسف - رحمه الله - ليعبروا من خلالها عن استيائهم من إلقاء القبض على زملائهم من غير مبرر شرعي، ومما تعانيه الجامعة من الفراغ جراء عمليات التوقيف عن الأنشطة الجامعية، والتوقيف بالسجن لعلماء الجامعة وأطرها. وأن ذلك مما يخالف ما تعهدت به الحماية الفرنسية من احترام الدين وأهله.

وعُقد على إثر ذلك اجتماع مع المجلس العلمي، حضره باشا مدينة فاس، والجنرال لابارا حاكم ناحية فاس، وذلك يوم 26 يناير 1952م. وشهد الاجتماع سجلا اغتاز منه الحاكم الفرنسي، وانبرى

فيه العالمان الجليلان السيد العباس بناني والسيد عبد الرحمن العراقي لبيان المستندات الشرعية لتدخلات العلماء في دروسهم وخطبهم، وأن غاية ما يمكن إذا وقع اختلاف في الآراء أن تُعرض أقوال العلماء المخالفين على لجنة علمية تنظر فيها.

(ب) موقف علماء القرويين من أحداث 1953 م:

إذا رجعنا إلى الوراء بأشهر قليلة قبل ثورة الملك والشعب، التي انطلقت فعليا بنفي الملك المجاهد سيدي محمد بن يوسف رحمه الله، فإن أهم ما نلاحظه هو تفاعل علماء القرويين مع العريضتين الموجهتين من الجهات الموالية لسلطة الحماية:

فقد ذكرنا أن اللقاء الذي نظم باسم اتحاد الزوايا بالشمال الإفريقي، في أوائل شهر أبريل من سنة 1953 م قد أسفر عن تقديم عريضة بخلع السلطان الشرعي؛ ولكن انعقد في نفس التوقيت لقاء جامع لعلماء القرويين يوم 7 أبريل من نفس السنة، تم فيه إعداد وتوقيع عريضة احتجاجية على ما يحاك ضد السلطان الشرعي. وتوجه إلى الرباط يوم 10 أبريل الموالي وفد من علماء القرويين، مكون من السادة: محمد بن عبد الرحمن العراقي، وحسن مزور، ومحمد جواد الصقلي، ومحمد بن إبراهيم، وعبد العزيز ابن الخياط، والطيب بن سودة، ومحمد الشامي؛ توجه إلى الرباط من أجل تقديم العريضة إلى السلطان سيدي محمد بن يوسف طيب الله ثراه. واشتملت على توقيع 50 من علماء القرويين. كما رفع علماء الرباط عريضة مماثلة يوم الاثنين 13 أبريل الموالي.

وقد ذكرنا العريضة التي تم تحريرها إثر اجتماع مراكش، في بداية شهر يونيو من نفس السنة. ويبقى علينا أن نذكر أنه بمجرد صدور هذه الوثيقة، وجه عدد كبير من علماء القرويين عدة برقيات إلى السلطان سيدي محمد بن يوسف رحمه الله، يستنكرون فيها ما جاء في مضمون عريضة مراكش. وقد عمل عموم العلماء في سائر أنحاء المغرب على تحرير عريضة تستنكر ما جاء في عريضة مراكش، تضمنت أكثر من 350 توقيعاً. بل ذهبوا أبعد من ذلك، حينما طالبوا ضمن هذه العريضة باتخاذ إجراءات تأديبية في حق من قام بتحرير العريضة المعروفة بعريضة مراكش، باعتبارهم متآمرين على السلطان.

المطلب الثاني: مواقف علماء القرويين أثناء حدث ثورة الملك والشعب:

(أ) التهديد من أجل توقيع بيعة ابن عرفة:

تعرض علماء القرويين للتهديد بالسلاح بعد تنصيب ابن عرفة، من أجل توقيع البيعة التي حررتها سلطة الإقامة العامة. فكان منهم من اعتبروا أنهم مهما وقعوا تحت الإكراه فإن توقيعاتهم لاغية شرعاً، بناء على فتوى الإمام مالك المشهورة بأن يمين المكره وبيعته لا تجوز شرعاً ولا يعتد بها. وكان منهم من

امتنع عن التوقيع مهما كلف الأمر. ومن الكلمات الماثورة للشيخ محمد بن العربي العلوي: «إذا أردتم توقيع، فيمكنكم أن تقطعوا يدي وتوقعوا بها».

ب) نداء القاهرة:

وجه الزعيم الوطني وأحد علماء القرويين البارزين في نفس اليوم الذي نفى فيه الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله - يوم 20 غشت 1953 م - عبر إذاعة صوت العرب، نداء اشتهر باسم «نداء القاهرة»، ومن أبرز ما جاء في هذا النداء: أن «لا مفاوضة قبل عودة السلطان وإعلان الاستقلال». وفي هذا النداء دعا علال الفاسي المغاربة إلى الثورة، واعتماد أسلوب الكفاح المسلح ضد الوجود الاستعماري.

ومما جاء في هذا النداء: «... لقد بلغت الغطرسة بالفرنسيين إلى حد أن يبعدوا ملكنا الشرعي، نعم لقد توجه الجنرال اليوم بعد الظهر إلى القصر الملكي بالرباط محفوفاً بالجيش والدبابات الفرنسية، وطلب من جلالة السلطان أن يتنازل عن العرش، ولكن جلالته رفض بكل إباء وشمم. فما كان من ممثل فرنسا إلا أن نفذ الجريمة النكراء، فأسر الملك وولي عهده الأمير مولاي الحسن وأخاه الأمير مولاي عبد الله، حيث نقلتهم طائرة حربية إلى منفى كورسيكا...»

ومما جاء فيه كذلك: «إن القوة الفرنسية قد عملت عملها، وذلك ما كنا نتوقعه في كل وقت، لأن محمد الخامس أكبر من أن يظل على عرش تظله حماية أجنبية. ولأن أعماله وكفاحه لا يسمحان له بأن يظل على مرأى ومسمع من الجلادين الفرنسيين...»

ومما جاء فيه كذلك: «وإنني كزعيم لحزب الاستقلال، وكواحد من علماء القرويين الذين لهم وحدهم حق انتخاب السلاطين، أعلن رسمياً أن الملك الشرعي لمراكش (هي تسمية المغرب في المشرق العربي يومئذ) كان وسيظل محمد الخامس، وأن ولي عهد المملكة الشريفة هو مولاي الحسن النجل الأكبر لسلطان مراكش، وإننا لن نعترف بأي سلطان أو رئيس صوري تنصبه السلطات الفرنسية باسمها أو باسم أذنانها، أو من ترغمهم بالقوة على ذلك، كما أننا لن نعترف بأي قرار، أو تشريع، أو تدبير، أو إجراء، أو معاهدة، أو اتفاق تصدره فرنسا، أو تستصدره من هذه الصور أو الهيئات السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية...»

ومما جاء فيه كذلك: «وإنني أهيب بالشعب المراكشي أن يواصل ما يستطيعه من الوسائل، للذب عن كرامة ملكنا الشرعي، وإعادته إلى عرشه عالي الرأس موفور الكرامة...».

وقد كان هذا النداء موضوع إجماع وطني، وإيداناً بانطلاق أعمال الكفاح المسلح، والتنظيمات الفدائية.

المطلب الثالث: مواقف علماء القرويين بعد حدث ثورة الملك والشعب:

أ) «الفتوى الفرنسية»:

لما اشتدت المقاومة عادت السلطات الفرنسية إلى علماء القرويين مرة أخرى يوم 20 دجنبر 1953 م، من أجل التوقيع على فتوى تدين أعمال الفدائيين، باعتبارها أعمالاً إرهابية. وطلب علماء القرويين مهلة أربع وعشرين ساعة للتفكير في الموضوع، ليعلنوا بعد انتهاء المهلة رفضهم التوقيع على الفتوى المذكورة بالإجماع. واتخذت سلطات الإقامة العامة الفرنسية إجراءات متوازيين:

أحدهما: نشر الفتوى من غير توقيع العلماء، ولذلك فإن هذه الفتوى تعرف تاريخياً باسم الفتوى الفرنسية.

والثاني: هو إلقاء القبض على 24 من علماء القرويين.

ب) في الذكرى الأولى لثورة الملك والشعب:

يمكننا أن نلاحظ - فضلاً عن العمل الدؤوب والمستمر لعلماء القرويين، وانشغالهم الكبير بالقضية الوطنية - أن هنالك مبادرات تستثمر الرمزية الزمانية لجميع الأحداث.

1- عريضة 1954 م:

وفي هذا الإطار جاءت العريضة التي رفعها علماء القرويين إلى المقيم العام الفرنسي الجديد، فرنسيس لاكوست، بتاريخ 25 يوليوز 1954 م.

وتصف العريضة حالة الفوضى والاضطراب التي تشهدها البلاد منذ نفي السلطان الشرعي، وما لها من التأثير على الحياة الدينية لعموم السكان الذين يمتنعون عن الذهاب إلى المساجد، والاحتفال بالمناسبات الدينية، وكل الممارسات المرتبطة ببيعهم الشرعية، ويطالبون في نفس العريضة ببناء على ما تقدم من مسبباتها:

أولاً: بإرجاع السلطان سيدي محمد بن يوسف، وإزالة محمد بن عرفة.

ثانياً: بالاعتراف باستقلال المغرب.

ثالثاً: بإطلاق سراح المعتقلين، وإعادة المنفيين.

وكان من جراء تقديم العريضة استدعاء وفد من كبار العلماء لمقابلة الصدر الأعظم بالقصر السلطاني في الرباط، وهم الشيوخ الأجلاء السادة: محمد الصقلي الطاهري، وأبو بكر جسوس، والعباس بناني؛ الذين لم يزيدوا في مقابلتهم على تأكيد ما جاء في العريضة.

2- الاعتصام بالضريح الإدريسي:

وقد استتبعت العريضة مجموعة كبيرة من المضايقات التي تعرض لها علماء القرويين: من المراقبة البوليسية اللصيقة التي تحصي الأنفاس، والتوقيف المتعدد للعلماء عن مزاولة وظائفهم، والاستدعاء المتكرر للمحكمة الباشوية من أجل التحقيق.

وأمام هذه الوضعية، استقر رأي العلماء على الاعتصام بالضريح الإدريسي، لجوء إليه من التعسف الممارس عليهم، والتهديد المستمر بسجنهم.

وقامت القوات الفرنسية وأعوانها من المجندين المغاربة باقتحام الضريح، وإلقاء القبض على العلماء المعتصمين به، في سابقة لم يتقدم لها نظير في الأعراف المغربية المتعلقة بحرم الأولياء.

وتم نقل جميع العلماء المعتصمين إلى الرباط، وأنزلوا في مدرسة قريبة من القصر السلطاني، هي مدرسة لالة عائشة، ونودي عليهم ضمن مجموعات صغيرة إلى مركز الشرطة بتواركة، وقدمت لهم وثيقة يعترفون فيها بإحداث الفوضى، ويعتذرون لابن عرفة بصفته السلطانية. فكان منهم نحو سبعة أشخاص وقعوا على الوثيقة، فأذن لهم بالانصراف، وتم التحفظ على من رفضوا التوقيع حوالي ثمان وأربعين ساعة، ثم أخلي سبيلهم.

3- مظاهرات الذكرى الأولى لثورة الملك والشعب:

وبمناسبة الذكرى الأولى لثورة الملك والشعب، انطلقت في فاس حركات احتجاج، وإضرابات، ومظاهرات، دامت حوالي خمسة عشر يوما. وكان يقود هذه الاضطرابات طلبة القرويين، وطلبة ثانوية مولاي إدريس.

4- إلقاء خطبتي العيد والجمعة باسم السلطان محمد الخامس:

وألقيت خطبة عيد الأضحى الموافق للعشرين من غشت 1954م، بالضريح الإدريسي، باسم السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه. وألقيت خطبة الجمعة الموافقة للثالث عشر من نفس الشهر، أقيمت بالقرويين وجامع الرصيف والضريح الإدريسي، باسم السلطان محمد بن يوسف رحمه الله. وازدحم المصلون في هاتين المناسبتين بأعداد كبيرة جدا، وغير معهودة. وانطلقت بعدها مظاهرات تمت مواجهتها بالقمع والقتل.

ج) في الذكرى الثانية لثورة الملك والشعب:

1- عريضة علماء القرويين بتجديد البيعة للسلطان محمد الخامس:

اجتمع جمع هام من علماء القرويين يوم 30 يونيو 1955 م بدار العالم المجاهد الشهيد سيدي عبد العزيز بن إدريس العمروي، واستمر الاجتماع ما يناهز سبعة عشر ساعة. وممن حضر الاجتماع، السادة العلماء: حموش الريفي، وعبد الله الداودي، وعبد الكريم التواتي، ومحمد الشامي، وجواد الصقلي، وحماد العراقي، وعبد الجليل العراقي. وانتهى الاجتماع بتوقيع عريضة تؤكد ببيعة السلطان سيدي محمد ابن يوسف، وتطالب بعودته، وقدمت إلى المقيم العام الجديد جليبر كرانفال، الذي تم تعيينه أياما بعد ذلك.

2- خلع ابن عرفة وانطلاق محادثات الاستقلال:

وبعد أشهر فقط من تقديم هذه العريضة، تم خلع ابن عرفة يوم فاتح أكتوبر 1955 م، وذلك بعد انطلاق المحادثات التي عرفت بمحادثات أنتسيرايب (Antisirabé)، ثم تكوين مجلس العرش، ثم المحادثات التي أدت إلى التوقيع على وثيقة الاستقلال.

السياق التاريخي لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال

● ذ. ربيع عوادي - فاس.

أدرك الوطنيون المغاربة منذ البداية أهمية موقع ومكانة السلطان في أي معركة وطنية مرتقبة، لأن تقوية دوره السياسي سيكون حتما على حساب سلطات الحماية، وهو ما يدل على ذكاء الوطنيين الذين عملوا على التقرب من السلطان لكسب الشعبية الضرورية لمواجهة الحماية، كما كانت حاجة السلطان ماسة إلى استخدام الأداة السياسية للوطنيين، لمد تأثيره وإشعاعه داخل مناطق البلاد¹.

تضافرت جملة من المعطيات الدولية والعوامل الإقليمية، والأحداث الداخلية في نضج فكرة المطالبة بالاستقلال، بدل المطالبة بالإصلاحات التي سار على نهجها الوطنيون منذ مطلع الثلاثينيات، وقد عززت الأحداث الداخلية، ومطالب الحركة الوطنية القيام بالإصلاحات عبر مشاركتها السياسية، وفتح الحوار مع سلطات الحماية، كما ساهم تأسيس الأحزاب السياسية وإصدار الصحف في تأطير المواطنين، ونشر الوعي الوطني في صفوفهم، واستغلت الحركة الوطنية بعض الأحداث، مثل أحداث مكناس الدامية للثورة، والاحتجاج على سلطات الحماية التي ردت عليهم بالعنف والاعتقال والنفي.

ومن جملة العوامل الدولية التي رافقت تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، ظروف الحرب العالمية الثانية 1945-1939م، والتحولات التي صاحبته على الصعيد الدولي، وانعكاساتها على العمل الوطني، بصفة عامة، وعلى برامج الأحزاب السياسية بصفة خاصة، ناهيك عن صدور ميثاق الأطلسي، والإنزال الأمريكي بالمغرب، وانعقاد مؤتمر الحلفاء بالدار البيضاء، وغيرها من الأحداث التي طغت على المحيط الدولي والإقليمي، الذي كان يعيش على إيقاع حركة ودينامية كبيرة، بداية الأربعينيات؛ اغتنمتها الحركات التحررية في مختلف بلاد المعمور للانعتاق من الاستعمار².

شرعت الحركة الوطنية بتنسيق مع السلطان في تحضير الشروط الضرورية للحصول على إجماع وطني أوسع، يضم كل الفعاليات والفصائل الوطنية، فتم العمل وبذل الجهد في سرية تامة، انبثقت

1 - أحمد مهديها، حدث 11 يناير: قراءة في السياق والدلالات، مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 16، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2020م، ص 73.

2 - وليد موحن، لمحات عن مسار الحركة الوطنية في المنطقة الخليفية، شبكة ضياء للمؤتمرات والندوات، ص 5-6.

عنها وثيقة المطالبة بالاستقلال التي قدمت للسلطان، والإقامة العامة، وممثلي الدول الكبرى، وبعد التحاق الحركة القومية للمطالبة بالاستقلال، تحقق الإجماع الوطني في الشمال والجنوب¹.

أولا) الظروف الداخلية لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال

لم يكن تاريخ تقديم الوثيقة هو بداية التفكير في المطالبة بالاستقلال، فقد كان التخطيط لذلك بعد الاحتفال بعيد العرش يوم 18 نونبر 1934 م، حيث بدأت الاتصالات السرية بين محمد الخامس، ورجال الحركة الوطنية للتعرف على حقيقة وواقع الأفراد، والجماعات، ذوي الفعالية، فالتقى بعلماء القرويين، وجماعة الحزب الوطني وغيرهم²، وقد كانت رحلة السلطان إلى فاس يوم 18 ماي 1934 م والاستقبال الحماسي الذي خُصص له من طرف الجماهير بإيعاز من الوطنيين لحظة حاسمة في التقارب والتلاحم بين السلطان والوطنيين، الأمر الذي انزعجت منه سلطات الحماية، ومنعت السلطان من التوجه للقرويين لتأدية الصلاة³.

وهو ما يوضح أن الملك محمد الخامس هو الأداة التي حركت العلماء والمثقفين من أجل تكوين خلية المطالبة بالاستقلال، وهذا ما جعل القضية المغربية تخرج من دائرة المطالبة بالإصلاحات إلى دائرة الاستقلال الذي يتم به تحقيق الإصلاحات⁴.

1- مطالبة الحركة الوطنية بالإصلاحات 1934-1936 م

اتجهت الحركة الوطنية خلال هذه المرحلة إلى انتقاد الحكم المباشر الذي سارت فيه سلطات الحماية عوض الرقابة المفروضة، ثم المطالبة بالإصلاحات، حيث وضعت كتلة العمل الوطني برنامج الإصلاحات المغربية في نونبر 1934 م، وقدمته للسلطان، والإقامة العامة، ووزارة الخارجية الفرنسية⁵، وهو ما يؤكد على رد الاعتبار لدور السلطان، والتوحيد الإداري، والقضائي، فضلا عن القيام بالإصلاحات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وغيرها، ولا بد من الإشارة إلى أن الإصلاحات

1 - صدقي إمدجار، ردود الفعل المتباينة بصدد حدث المطالبة بالاستقلال، مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 16، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2020 م، ص 33.

2 - محمد امراني علوي، الحركة الوطنية المغربية وتقديم وثيقة 11 يناير للمطالبة بالاستقلال، مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 16، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2020 م، ص 159-160.

3 - أحمد مهدها، م س، ص 73.

4 - محمد امراني علوي، م س، ص 159-160.

5 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة السادسة، 2003 م، ص 190-191.

كانت بمثابة برنامج سياسي مرحلي للحركة الوطنية الفتية التي لم يكن عودها قد اشتد بعد، لتحمل مسؤوليات وآفاق أكبر¹.

وإذا كانت الحكومة الفرنسية أهملت برنامج الإصلاحات، فإن إدارتها بالمغرب اهتمت به ودرسته وأجابت عنه بالاستهزاء والرفض، ورغم أن الإدارة الفرنسية لم تعر هذه الإصلاحات أي اهتمام عملي، إلا أنها أصبحت مركز النضال الوطني، والخطاب الأساسي، الموجه إلى سلطات الحماية².

سنتان بعد ذلك ضاعف الوطنيون نشاطهم، حيث استخلصت كتلة العمل الوطني المطالب المستعجلة من برنامج الإصلاحات، وركزتها في الحريات العامة، وقدمتها للخارجية الفرنسية التي أجابته بطريقة مهذبة بغرض الماطلة، ولما خاب ظن الوطنيين في السلطات الفرنسية قرروا التصعيد، ف عقدوا مؤتمرات بالرباط، وفاس، وسلا، وطالبوا بحرية الصحافة والحقوق السياسية، ثم العودة للقيام بالمظاهرات في مختلف المدن مثل الدار البيضاء، وسلا، ووجدة، أعقبتها اعتقالات واسعة ومحاكمات³، حيث اعتقل علال الفاسي، ومحمد بن الحسن الوزاني، ثم أطلق سراحهما وسمح بإصدار بعض الصحف العربية، والصحف الناطقة بالفرنسية، وكانت هذه المبادرة خطوة أولى لتصعيد الحملة ضد الإدارة الفرنسية من أجل إخراج الجبهة الشعبية⁴.

2- تأسيس الأحزاب السياسية وإصدار الصحف

بعدما برزت بوادر الخلاف داخل الكتلة، ونظرا لتقديم بعض التنازلات من طرف الإقامة العامة الفرنسية، كالسماع بإصدار الصحف وغيرها، نبعت لدى الوطنيين فكرة الخروج بالكتلة من طابع السرية إلى العلنية والتنظيم الحزبي، وحينما وصل تصدع الكتلة مداه بين مختلف الأطراف المكونة لها تم الإعلان عن تأسيس الحزب الوطني، بقيادة علال الفاسي، وأصدر جريدة «الأطلس» بالعربية، وجريدة «العمل الشعبي» باللغة الفرنسية، في حين قام محمد بن الحسن الوزاني بتأسيس الحركة القومية، وأصدر جريدة «عمل الشعب» باللغة الفرنسية، وجريدة «الدفاع» الناطقة بالعربية⁵.

1 - أحمد مهدها، م س، ص 71.

2 - عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2005 م، الجزء الثالث، ص 341.

3 - جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912 - 1956 م، ترجمة محمد المؤيد، منشورات أمل، مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى، 2014 م، ص 86 - 87.

4 - عبد الكريم غلاب، م س، ص 341.

5 - علال ركوك، الحركة القومية ووثيقة 11 يناير 1944 م، مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 16، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2020 م، ص 16 - 20.

كما صدرت مجلة «صوت المغربي» بباريس، كان قراؤها من العمال المغاربة بفرنسا، وجريدة «المغرب»، وهي يومية مستقلة، لصاحبها سعيد حجي بسلا، ويومية «العمل» المستقلة التي يصدرها بالبيضاء عبد اللطيف الصبيحي، وصحيفة «الوداد» المعتدلة، أصدرها محمد اشماعو بسلا¹.

أما عن التجربة الحزبية بالمنطقة الخليفية، فيمكن الحديث عن حزبين طبعاً المنطقة هما: حزب الإصلاح الوطني، بقيادة عبد الخالق الطريس، كانت قيادته مؤلفة من أعضاء كتلة العمل الوطني، وقد أصدر صحيفتين هما مجلة «المغرب الجديد»، وأسبوعية «الريف»²، ثم حزب الوحدة المغربية، برئاسة المكي الناصري، الذي هرب من السلطات الفرنسية بالمنطقة السلطانية بعد أحداث بوفكران، وأسس الحزب بإيعاز من إسبانيا، لإحداث نوع من التوازن بين الحزبين، وأصدر جريدة «الوحدة المغربية» باللغة العربية، و«أنيداد مروكي» باللغة الإسبانية، وفي فترة الأربعينيات، ستعمل الإدارة الإسبانية بالمنطقة الشمالية على تأسيس أحزاب صغيرة، تمجد سياستها، وتقف في صفها، وتنفذ خططها³، وطبعاً لم تكن هذه الأحزاب تنتقد إسبانيا بأي شكل من الأشكال، وكانت تتلقى التشجيع الحار لتوجيه هجماتها نحو فرنسا، ورصدت لها من أجل ذلك مساعدات مادية⁴.

3- تحويل مياه بوفكران وأحداث 1937 م

لم يكمل رجال الحركة الوطنية من المطالبة بالإصلاحات، وفي هذا الصدد قدم بلا فريج وعمر بن عبد الجليل في 27 يوليوز 1937 م مذكرة إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية، حول سياسة الإقامة العامة بالمغرب، لكن خاب ظنهما والتجأ إلى الحزب الاشتراكي الذي لم يحرك بدوره ساكنا⁵.

وبعدما صُدت جميع الأبواب أمام الحركة الوطنية، بدأوا في الاستعداد للعمل والفعل المباشرين، واستغلوا تحويل مياه بوفكران من قبل إدارة الأشغال لصالح المعمرين، وحرمان سكان مدينة مكناس من مياه السقي والشرب، للتعبير عن رفضهم للقرار والاحتجاج عليه، فنظمت مظاهرات سقط على إثرها العديد من الشهداء. ورغم قدوم المقيم العام الجنرال نوجيس إلى المدينة، استمرت المظاهرات، وعمت باقي مدن المغرب بتنظيم من الحزب الوطني⁶، وضاعفت الصحف حملتها ضد إدارة الحماية، مما جعلها توقف صدورها، وحاولت الإدارة الإسبانية في الشمال حرمان سكان تطوان من مياه إحدى

1 - جورج سبيلمان، م س، ص 87-88.

2 - نفسه، ص 105.

3 - وليد موحن، م س، ص 5.

4 - جورج سبيلمان، م س، ص 106.

5 - نفسه، ص 88.

6 - علال الفاسي، م س، ص 245-246.

العيون وتحويلها للمعمرين فنار سكان المدينة، وتراجعت السلطات عن قرارها، وقد كانت هذه الحوادث عنوانا على اهتمام الحركة الوطنية بالدفاع عن حقوق المغاربة¹.

لذلك عمد الجنرال نوجيس إلى محاولة تصفية الحركة الوطنية، فاتهمها بإثارة الاضطرابات الأمنية معتمدا على تخوف حكومته من تسرب الاضطرابات من المنطقة الشمالية، فمنع الحزب الوطني، واعتقل زعيمه علال الفاسي، ثم نُفي إلى الغابون، واعتقل محمد بن الحسن الوزاني، زعيم الحركة الوطنية القومية، وأبعده إلى قرية إيدزر جنوب المغرب، كما تم اعتقال أطر الكتلة، وطرده نشاطها، لتصفية الحركة نهائيا ضمن خطة عسكرية أعلنت فيها الأحكام العرفية، واستمرت إدارة الحماية في ممارسة سياستها دون معارضة، بينما ظلت أطر الحزب في السجون والمنافي².

أثارت هذه الاعتقالات رد فعل قوي في نفوس المغاربة، فقامت مظاهرات كبرى عمت مدن الرباط وسلا وفاس، والقنيطرة، ووجدة، وكان المتظاهرون يعبرون عن تضامنهم مع المعتقلين، ويطالبون بالحقوق التي اعتقلوا من أجلها، واعتقلت السلطات في كل الجهات مئات المتظاهرين³، وشهدت مدينة القنيطرة في 27 أكتوبر 1937 م مظاهرات كبرى ردا على السياسة الاستعمارية، فأصبحت سلطات الحماية بالهلع والذعر، لأن القنيطرة كانت ملجأ المعمرين، لهذا واجهت المظاهرات بعنف شديد، سقط خلاله شهداء وعشرات الجرحى، واعتقلت قادة الحركة الوطنية بالمدينة، منهم محمد الديوري، والجيلالي بناني، وأبو الشتاء الجامعي، وغيرهم⁴.

وشهدت مدينة فاس مظاهرات كبيرة، انطلقت من المساجد، باعتبارها أماكن آمنة للنقاش والتشاور، ومكان التجمع قبل النزول إلى الشارع في المظاهرات⁵، ردت عليها القيادة العسكرية العليا باحتلال المدينة، واعتقال عشرات المواطنين، فضلا عن أعضاء الحزب الوطني، والتنكيل بهم في السجون⁶.

وقد زار الجنرال نوجيس مدينة فاس، وأعلن استمراره في استعمال القوة ضد رجال الحركة الوطنية، الذين شهد لهم الجنرال بقوة ثورتهم الوطنية، وشمولها، وقدرتها على تجنيد الشعب، للدفاع عن حقوقه. هذا في الوقت الذي تضامنت فيه المنطقة الخليفية مع الوطنيين، فاندلعت مظاهرات في تطوان، بتأطير

1 - نفسه، ص 246-247.

2 - عبد الكريم غلاب، م س، ص 242-243.

3 - علال الفاسي، م س، ص 257.

4 - عبد القادر بوراس، وثيقة المطالبة بالاستقلال، ومسارات النضال الوطني على المستوى المحلي القنيطرة نموذجا، مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 16، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2020م، ص 49.

5 - جورج سبيلمان، م س، ص 89.

6 - علال الفاسي، م س، ص 257-258.

من عبد الخالق الطريس، والمكي الناصري، واستمرت صحافة المنطقة الخليفية في حملاتها ضد السلطة الفرنسية، ونشرت توضيحات الحركة الوطنية في الصحف، ومطالبتها بتسريح زعمائها وأنصارها¹.

وبالرغم من القمع والتنكيل استمرت خلايا الحزب الوطني في العمل بهدوء تحت إمرة محمد اليزيدي بعد إطلاق سراحه، وتواصلت أعمال الدعاية والتنظيم، وسجلت سنة 1939 م عدة حوادث مهمة واجتماعات عامة للاحتجاج على تصرفات الإقامة العامة².

عرفت الحركة الوطنية عقب الأحداث التي ميزت سنتي 1936-1937 م تراجعاً واضحاً في حضورها خلال السنوات الأخيرة، من ثلاثينيات وبداية أربعينيات القرن العشرين، لا سيما بعد السجن والنفي الذي طال العديد من الوطنيين ومنع صحافتهم.

نسجل فقط أنه في 26 غشت 1939 م بادر الوطنيون إلى زيارة المقيم العام، للتعبير له عن تضامنهم مع فرنسا، في الحرب ضد دول المحور، ونظراً للظروف التي عاشتها الحركة الوطنية خلال هذه السنوات، فقد سجل غياب أي تواصل مع السلطان قبل سنة 1942 م، وابتداء من هذا التاريخ أصبحت الصلات أكثر متانة، واستمر التنسيق بينهما مع الحفاظ على سرية³.

ثانياً) الظروف الدولية والإقليمية لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.

ساعدت مجموعة من الظروف الدولية في تحمس الوطنيين المغاربة للمطالبة بالاستقلال، من هذه العوامل صدور ميثاق الأطلسي سنة 1941 م ونزول الأمريكيين بالمغرب سنة 1942 م، إضافة إلى انزاع فرنسا واحتلالها من طرف الألمان، فضلاً عن الدعاية المحورية، كل هذه العوامل مجتمعة، جعلت المغاربة يفكرون في الاستقلال⁴.

1- ظروف الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945 م

مع اندلاع الحرب العالمية الثانية ووجود مئات المعتقلين في السجون، والعشرات في المنفى، قدم وفد من الحزب الوطني المحظور إلى الإقامة العامة، لإبلاغ الجنرال نوجيس تضامن الحركة الوطنية المغربية، ووقوفها بجانب فرنسا والحلفاء، وفي 23 شتنبر 1939 م أصدر السلطان تصريحاً رسمياً يتضمن التأييد المغربي التام لفرنسا والحلفاء⁵، ومما يؤكد حرص ووفاء السلطان في أشد الظروف المأساوية التي عرفت

1 - المصدر السابق، ص 259 - 260.

2 - نفسه، ص 261.

3 - أحمد مهديها، م س، ص 74.

4 - علال ركوك، م س، ص 22.

5 - صدقي امديجار، م س، ص 30.

تذمر الفرنسيين عقب انهزامهم، واحتلال ألمانيا لفرنسا، صرح السلطان لنائب المقيم العام بعظمة تاريخ الشعب الفرنسي، وقدرته على تجاوز المحن، وأضاف بأن كل الشعوب تمر في تاريخها بنكبات قاسية، لكن حيويتها تتجلى في رد فعلها وتعاملها مع المحن¹.

وقد ظهر الحزب الوطني والسلطان بمظهر المدافع عن القضايا الوطنية، في غمرة الحرب العالمية الثانية، وفي هذا الصدد رفض السلطان مغادرة القصر الملكي بالرباط، واختار البقاء بجانب رعاياه المهددين بالعمليات العسكرية²، كما أن الدعاية الألمانية التي استهدفت الوطنيين بغية اصطفا فاهم مع دول المحور، لم تنل من عزيمتهم أو تغير موقفهم، وظلوا متشبثين بمبادئ الديموقراطية والدفاع عن استقلال المغرب³.

هذا في الوقت الذي ازداد فيه تخوف المغاربة ودول الحلفاء من احتمال سقوط المغرب في قبضة ألمانيا بسبب ارتباط المقيم العام نوجيس بنظام فيشي، وما أظهره فرانكو من تعاطف مع ألمانيا، وتعززت هذه المخاوف بعد إقدام نظام فرانكو على احتلال مدينة طنجة، ومطالبة الحزب الفاشي الإسباني باحتلال منطقة الحماية الفرنسية⁴.

حافظ السلطان خلال الحرب على علاقات ودية مع فرنسا وأعلن تضامنه معها، وهذا ما عبر عنه المقيم العام نوجيس سنة 1942م حينما صرح بفسوخ الصداقة المغربية الفرنسية زمن الحرب والسلم، لكن السلطان رغم علاقته الجيدة مع نوجيس فإنه كان يخشى من عدم قدرة خلفه على الحفاظ على مصالح البلدين⁵.

كان للسلطان الأثر الفعال في توجيه السياسة الوطنية وقت الحرب، حيث أظهر رغبته الأكيدة في إبراز المغرب بمظهر الحليف الوفي للدفاع عن القضايا الوطنية، وكان لا يدع فرصة تمر إلا انتهزها للدفاع عن المبادئ المغربية ومطالبها⁶، ومن ذلك مفاتحته الجنرال دوغول منذ سنة 1943م في موضوع الاستقلال، بتنسيق مع الحركة الوطنية، وكان جوابه بأن فرنسا لازالت محتلة، وعندما تقوم مؤسساتها يكون ممكنا بدء الحوار بين المغرب وفرنسا في الموضوع⁷.

1 - جورج سبيلمان، م س، ص 97.

2 - المصدر السابق، ص 98.

3 - علال الفاسي، م س، ص 266.

4 - نفسه، ص 268.

5 - جورج سبيلمان، م س، ص 103.

6 - علال الفاسي، م س، ص 265.

7 - فؤاد المريني، 11 يناير 1944م حدث بارز في مسار الحركة الوطنية، مجلة المقاومة وجيش التحرير، تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، العدد الثالث والعشرون، رمضان 1410هـ / مارس 1990م، ص 33.

2- صدور ميثاق الأطلسي 1941 م

أصدر الحلفاء ميثاق الأطلسي لقطع الطريق على حملات الدعاية الألمانية لاستمالة الشعوب، وقد نص الميثاق على حق الشعوب الخاضعة بالقوة في تقرير مصيرها، لذلك استغل أعضاء الحركة الوطنية صدور الميثاق للمطالبة بالاستقلال، فالوثيقة جاءت تثير حق تقرير مصير المغرب كدولة تريد رد سيادتها¹، خصوصا بعد حصول بعض البلدان العربية على الاستقلال، وهو ما دفع رجال الحركة الوطنية والسلطان إلى اغتنام الفرصة للمطالبة بالاستقلال².

لكن المواقف الصادرة بعد ذلك عن روزفلت أكدت تراجعها عن ميثاق الأطلسي، فقد صرح بعد نزول قواته بالمغرب أن كل شمال إفريقيا يعتبر مستودعا حربيا بين أيدي الأمريكيين، وصرح كاتب الدولة في الخارجية أن حق الشعوب في الاستقلال مشروط بحضارتها وأهليتها للحكم، وهو ما يقترب من الخطاب الاستعماري لسلطات الحماية بالمغرب، ويصب في طمأنينة وإرضاء الاستعمار الفرنسي³.

وقد ارتبطت هذه الأجواء الخارجية بتزايد السخط الشعبي والتذمر جراء مصادرة محاصيل الحبوب ومختلف الثروات الوطنية لفائدة مجهود الحرب، وزاد من حدة التوتر ثقل الضرائب ومظاهر التمييز والظلم الذي صاحب عمليات توزيع الغذاء والمساعدات⁴.

3- الإنزال الأمريكي 8 نونبر 1942 م.

تزامن نزول القوات الأمريكية على الشواطئ المغربية الأطلسية مع الظروف الصعبة التي تعيشها البلاد، وكان ميناء المهدية أهم مركز لهذا الإنزال، حيث وقعت اصطدامات بين القوات الأمريكية والقوات الفرنسية الموالية لحكومة فيشي، سقط خلالها عشرات الجنود أغلبهم مغاربة ضمن صفوف القوات الفرنسية، ورغم طلب المقيم العام نوجيس من السلطان محمد بن يوسف مغادرة الرباط إلا أنه آثر البقاء لمنع الاقتتال ضد القوات الأمريكية على أرض وطنه، وهو ما يبرز اكتساب السلطان خلال هاته الظروف الحرجة حضورا لم يتمتع به في السابق. وقد حاول الجنود الأمريكيون كسب عطف المغاربة بتوزيع أطنان من المواد الغذائية في الوقت الذي كان المغاربة يعانون من الجوع والعري⁵.

1 - محمد امrani علوي، م س، ص 160.

2 - جورج سبيلمان، م س، ص 103.

3 - صدقي امديجار، م س، ص 36.

4 - المصدر السابق، ص 31.

5 - عبد القادر بوراس، م س، ص 52.

قلص الاصطدام بين الجيشين الأمريكي والفرنسي من مخاوف الوطنيين المغاربة، وخفف من أجواء التوتر، كما عزز الآمال المتعلقة بمبادئ الأطلسي، وهو ما ساهم في إخراج المغرب من دائرة الخضوع لنظام فيشي، والقضاء على الدعاية الألمانية، وكان الخاسر الأكبر هو المقيم العام نوجيس ونظام فرانكو¹. بعث الحضور الأمريكي الحماس في الحركة الوطنية فعرفت صحوة كبيرة مستفيدة من التدخلات المباشرة للضباط الأمريكيين²، لذلك بذلت السلطات الفرنسية قصارى جهدها لمنع الاتصالات بينهم، بل وطلبت من الأمريكيين ألا يتحدثوا مع المغاربة دون وجود ترجمان فرنسي، وحاولت إقناعهم بأن الوطنيين جميعهم كانوا يرغبون في انتصار الألمان³، إلا أن الوطنيين بدأوا يتحركون بكيفية أقوى برغم عناد الفرنسيين وسوء معاملتهم، وفي هذا الصدد جدد الحزب الوطني تنظيم فروعه وانضم إليه الكثير من الموظفين، وأصدر مجلة رسالة المغرب⁴.

لكن خيبة ظن الوطنيين كانت عميقة، فرغم مرور سنة على الإنزال الأمريكي لم يتم إعداد مخطط للإصلاحات، ولم يقبل الجنرال دوغول أي احتمال للاستقلال، مؤكداً على ارتباط المغرب بفرنسا ارتباطاً لا ينفصم، بل لا توجد نية لإصلاحات سياسية، لأن معاهدة الحماية ضبطت نهائياً وضع المغرب⁵.

4- مؤتمر الحلفاء بالدار البيضاء

استغل السلطان محمد الخامس انعقاد مؤتمر الحلفاء بالدار البيضاء في 22 يناير 1943 م للقاء الرئيس الأمريكي روزفلت والتعبير عن أهم انشغالات المغرب، وكان هذا اللقاء بتنسيق مع قادة الحركة الوطنية ودون حضور المقيم العام، ومما يؤكد على أهمية هذا اللقاء اجتماع السلطان منذ توليه العرش مع رئيس دولة على قدم المساواة⁶.

وقد طرح السلطان في هذا اللقاء قضية استقلال المغرب، وتمنى أن لا ينسى الحلفاء مكافئة المغرب على ما بذله من جهود حربية بإعادة سيادته إليه، وزكى هذا الطلب الرئيس الأمريكي الذي قال: إن طموح المغرب لاستعادة حريته طموح معقول، وإن مكافأة الحلفاء له واجب⁷، فالرئيس الأمريكي

1 - صدقي امدجار، م س، ص 31.

2 - جورج سبيلمان، م س، ص 102.

3 - عبد الكريم غلاب، م س، ص 344.

4 - علال الفاسي، م س، ص 269.

5 - عبد الكريم غلاب، ص 344.

6 - صدقي امدجار، م س، ص 32.

7 - فؤاد الميرني، م س، ص 32.

عرض آراءه على السلطان المغربي بكل صراحة، ووصف الحماية بأنها نظام متجاوز، ويجب أن يحصل المغرب على استقلاله الكامل في أقرب وقت وفي أبعد الآجال بعد انتهاء الحرب، وأن الولايات المتحدة مستعدة لمساعدته على تحقيق تطلعاته المشروعة¹.

وقد أكد الرئيس الأمريكي هذه التصريحات خلال حفل العشاء الذي نظم في نفس اليوم، والذي حضره كذلك تشرشل، وولي العهد مولاي الحسن، والسيد المعمري، وبعض الشخصيات الأمريكية والإنجليزية، حيث عرض الرئيس الأمريكي على السلطان مساعدة الشركات الأمريكية للقيام ببرامج استغلال الثروات. فالأقوال التي نطق بها روزفلت تدل على موقف حقيقي فطن له السلطان، كما استشف من القوى السياسية التي ستحكم عالم الغد فكرة أساسية وقوية، وهي حق الشعوب في تقرير المصير².

لكن وفاة روزفلت أشهر قليلة بعد هذا اللقاء علق الآمال المعقودة على تصريحاته، لاسيما بعد أن أظهرت إنجلترا وأمريكا اهتماما بالغاً بالاستقرار في المغرب لصالح المجهود الحربي، وتقاسمت هذا الانشغال مع سلطات الحماية، وظهر بوضوح أن هذا التحالف الحربي مناهض لتطلعات حركة التحرر الوطني نحو الاستقلال، وأن إعلان ميثاق الأطلسي إنما كان للاستهلاك والرد على الدعاية الألمانية³.

لذلك تم تكثيف الاتصالات بين السلطان ورجال الحركة الوطنية لنهج أسلوب متميز في الكفاح ضد الوجود الاستعماري، وقد تكلل هذا التنسيق بإعداد وثيقة تاريخية يطالب فيها المغرب باستقلاله⁴.

مكن مؤتمر أنفا السلطان من حضور سياسي أقوى، فلقاؤه بالرئيس الأمريكي، والوعود التي تلقاها بمناصرة حق الشعوب في تقرير مصيرها، والجهز للحلفاء بالمطالب المغربية، كل ذلك كان يضع حدا فاصلا بين ماضي السلطة المركزية بالمغرب، وحاضرها، ومستقبلها⁵.

ثالثا) تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال

قبل الحديث عن تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944م وجبت الإشارة إلى تظافر جهود الوطنيين بشمال المغرب، في كل من حزب الوحدة، وحزب الإصلاح الوطني، وإقدامهم على إعلان الاستقلال يوم 14 فبراير 1943م في وثيقة رسمية نشرت على جرائد الحزبين، وتداولتها الدوائر الرسمية بتطوان⁶.

1 - جورج سيلمان، م س، ص 100.

2 - نفسه، ص 100-101.

3 - صدقي امدجار، م س، ص 37.

4 - فؤاد المريني، م س، ص 32.

5 - أحمد مهدها، م س، ص 74.

6 - علال ركوك، م س، ص 22.

وفي منطقة الحماية الفرنسية استغل السلطان والوطنيون بذكاء وحكمة العناصر الإيجابية المقترنة بالتطورات الدولية والوطنية، وتوقفوا في توظيفها بنجاح حينما قرروا الجهر بالمطالبة بالاستقلال والوحدة الترابية، وبنظام الملكية الدستورية الديموقراطية، وقد بدأت آليات التنسيق بين السلطان والحركة الوطنية، منذ مطلع سنة 1941م، حيث كان التنسيق المشترك بين كبار رجال الحركة الوطنية كأحمد الزبيدي، وأحمد بلافريج، والسلطان في غاية السرية¹.

يبين لنا هذا السياق إذن الاقتناع الذي حصل لدى الوطنيين بضرورة اغتنام الظروف، ولزوم التنسيق والتحضير المشترك مع السلطان، لإعداد وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكيفية صياغتها، والمسطرة المتبعة لإعلانها، والتعريف بها، وانطلاقا من 11 يناير 1944م أصبح السلطان هو المكلف شعبيا بقضية الاستقلال، فطرح الفكرة، وخاض الصراع حولها مع السلطات الفرنسية².

وخلال سنة 1943م تم الإعداد لوثيقة الاستقلال في خطوة مفاجئة لفرنسا³، وحتى يتم التنسيق بين السلطان والحركة الوطنية دون مضايقات استعمارية، انتقل السلطان إلى الدار البيضاء للإشراف على الصيغة النهائية للوثيقة التي قدمها له محمد لغزاوي، فأمر أن يُصرَّح فيها بالمطالبة بالاستقلال بعد أن كانت الوثيقة مبنية فقط على فكرة استبدال معاهدة الحماية بأخرى، تحترم وضع المغرب ذا سيادة، وأن تكون له علاقة خاصة بفرنسا⁴.

وبعد صياغة الوثيقة تم الاتفاق على تقديمها إلى الحكومة الفرنسية المؤقتة بالجزائر، عبر الإقامة العامة بالمغرب، باعتبارها مطالب الشعب المغربي، وفي نفس الوقت تُقدم إلى قناصل كل من أمريكا، وبريطانيا، وروسيا، وتم إطلاق حزب الاستقلال على الجمع الذي شارك في صياغة الوثيقة⁵.

عقد السلطان بعد تقديم الوثيقة مجلسا وزاريا، أعلن خلاله تضامنه مع المطالبة بالاستقلال، ورغم عدم استجابة سلطات الحماية، فإن هذه الخطوة كانت حاسمة في الحوار بين الاستعمار، والشعب المغربي، وبذلك أصبحت فكرة الاستقلال بعد تقديم وثيقة 11 يناير نابعة من الشعب والسلطان، وكان على الحركة الوطنية توعية الشعب، بواسطة الخلايا، حتى يكون مستعدا لتأييد مذكرة المطالبة بالاستقلال، ومستعدا لمواجهة كل ضروب القمع المنتظر أن تمارسه سلطات الحماية⁶.

1 - صدقي امدجار، م س، ص 33.

2 - أحمد مهدها، م س، ص 75.

3 - عبد الكريم غلاب، م س، ص 345.

4 - محمد امrani علوي، م س، ص 160.

5 - نفسه، ص 160.

6 - عبد الكريم غلاب، م س، ص 345.

فوجئت سلطات الاستعمار بحدث المطالبة بالاستقلال، وانضمام السلطان، وكبار الأعيان، والموظفين إلى تأييدها، وسط مخاوف من مساندة الحلفاء لمطلب الاستقلال، ولعل انتظار استطلاع رأي الحلفاء، وفجائية مضامين الوثيقة، والحيز الزمني القصير، الذي استغرقه الوطنيون في إنجازها، والسرية التامة التي رافقت إعدادها وتقديمها، هو ما يفسر الارتباك في رد فعل السلطات الاستعمارية¹، وبعد دراستها للحدث واختيار أساليب القضاء على كل ما يهدد الوجود الاستعماري أصدرت وثيقتين؛ الأولى؛ اهتمت بعواقب الحدث، والثانية؛ ركزت على التعليمات الواجب اتباعها، وهو ما يؤكد رفض الاستقلال، واستمرار تمسك فرنسا بالمغرب، ومواصلة سياسة الإصلاحات.

لذلك شرعت في التحضير السياسي، والعسكري للرد العنيف، وواجهت تقديم وثيقة الاستقلال باعتقال زعماء الحركة الوطنية، وتقديمهم للمحاكمات العسكرية²، ومواجهة المظاهرات التي قام بها الشعب بمختلف المدن بقمع عسكري رهيب، لم تعرف المدن مثيلا له من قبل، واستشهد العديد من المناضلين، والشباب المتظاهرين في مدن الرباط وسلا، وتعرضت فاس لإرهاب وحشي، حيث تم حصار المدينة وقطع عنها الماء، والكهرباء، والغذاء، وحل المقيم العام بالمدينة لتهدئة الأوضاع، فاجتمع بالعلماء، وطلب منهم دعوة السكان للتوقف عن الاحتجاج، والتظاهر، وفي مدينة الدار البيضاء أعلن عن الإضراب العام، وهكذا عم الاضطهاد، والاعتقال، والتنكيل، مختلف أنحاء البلاد، وأغلقت المدارس الابتدائية والثانوية وجامع القرويين³.

وبسبب هذا التنسيق العلني بين الحركة الوطنية والسلطان بدأ مسلسل التوتر والصراع مع سلطات الحماية، وقد بلغ أوجه بعد خطاب طنجة 1947 م، والأحداث العنيفة في دجنبر 1952 م إلى أن أقدمت سلطات الاستعمار على نفي السلطان⁴.

خاتمة

استغل السلطان والحركة الوطنية بذكاء وحكمة العناصر الإيجابية المرافقة للتطورات الوطنية، والدولية، وتوفقوا في توظيفها بنجاح، في الإعداد لحدث الانتقال الجذري في مسار النضال الوطني التحرري، وقرروا الجهر بالمطالبة بالاستقلال، والوحدة الترابية، والملكية الدستورية الديمقراطية⁵.

1 - أحمد مهدها، م س، ص 76-77.

2 - عبد الكريم غلاب، م س، ص 346.

3 - علال الفاسي، م س، ص 300-305.

4 - صدقي امديجار، م س، ص 38.

5 - نفسه، ص 32.

والواقع أن الإجماع كان عاما حول المطالبة بالاستقلال، وجاء تقديم الوثيقة تعبيراً عن الرغبة التي يحس بها الشعب المغربي الذي يتوق للانعتاق والحرية¹. كما ساهم تنسيق السلطان محمد الخامس مع رجال الحركة الوطنية، والعمل معهم خفية من أجل رسم الخطط لتحرير البلاد من قبضة الاستعمار، وتزويدهم بالنصائح، والآراء السديدة من أجل السير بالبلاد نحو الاستقلال².

سجلت الظروف الدولية المواكبة لتقديم الوثيقة، خصوصاً بعد مؤتمر آنفا، منعطفاً حاسماً في تاريخ العلاقات الفرنسية المغربية، فانطلاقاً من هذا المؤتمر لم يصبح الأمر يتعلق بالإصلاح ولا بالحماية، وإنما يتعلق بالاستقلال دون شيء آخر، وسوف يُطلب ذلك علانية عبر وثيقة المطالبة بالاستقلال، حتى قبل أن تضع الحرب أوزارها³.

1 - محمد بكاروي، ذكرى 11 يناير انتفاضة وطنية مباركة، مجلة المقاومة وجيش التحرير، تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، العدد الرابع والعشرون، ذو القعدة 1410هـ/ ماي 1990م، ص 64.

2 - وليد موحن، م س، ص 5-6.

3 - جورج سبيلمان، م س، ص 104.

السلطان محمد بن يوسف في مواجهة التحديات 1947 - 1955 م

● دة. خديجة بن بوسلهام

المندوبية الجهوية للتعليم - الرباط.

توطدت العلاقة بين السلطان محمد بن يوسف وعناصر الحركة الوطنية منذ الاحتفال بأول عيد جلوس جلالته على عرش أسلافه الميامين يوم 18 نونبر 1933 م، وكانت هذه الطليعة من الشباب قد التقت مع السلطان الشاب، الذي كان يبلغ من العمر 24 سنة، في الوقت الذي كانت فيه الإقامة العامة تحاصره في قصره، ولا يصله من أخبار بلاده إلا ما سمحت به سلطاتها، ووفق تأويلاتها، ومصالحها الاستعمارية، آنذاك اتضح لمحمد بن يوسف أن المغرب بمنطقتيه الخليفية وقبلها السلطانية، تصران على كونه سلطانا داخل حدود البلاد، له شرعية، وسيادة كاملتين، وأن نظام الحماية عَقْدُ جاء وفق مجموعة من الإصلاحات، ينبغي الالتزام بها، والتقييد بإنجازها، وليس استغلال البلاد، واستنزاف خيراتها، وتصدير ثرواتها، وجعلها مرتعا لغنى المعمرين.

وفق هذا السياق تطابقت أهداف السلطان والوطنيين، وتوحد الخطاب بينهما في ضرورة تغيير نظام الحماية الذي فرضته الدول الإمبريالية على المغرب في 30 مارس سنة 1912 م، وأنه آن الأوان للمرور إلى اتفاق آخر، يمهد للحصول على الاستقلال.

سنتطرق في هذا المقال إلى مرحلة صعبة من تاريخ الاستعمار وعلاقته بالسلطان محمد بن يوسف، وحددناه زمنيا ما بين 1947 - 1955 م، نظرا لما تخللته هذه المدة القصيرة زمنيا، الغنية بالأحداث، والمنعطفات، والتطورات على المستويين الدولي والمحلي، كان من الصعب التغاضي عن انعكاساتها في كل بقاع العالم، بما في ذلك المغرب البلد المستعمر. وزاد من أهمية المرحلة، بروز نخبة مثقفة، وطنية شابة، كان من ثمراتها تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، والتفافها حول السلطان الذي طبع مرحلته بالدعوة إلى وحدة المغرب، والتوجه نحو استقلاله، وزكى ذلك في زيارته لطنجة في 9 أبريل 1947 م وما كان من تداعياتها في بلورة الملف المغربي، وفي زيارته لفرنسا سنة 1950 م، ثم في خطابي العرش

لـ 18 نونبر 1951 م و 1952 م اللذين دعا فيهما إلى التثبيت بالمطلب الأساسي، وهو تكوين حكومة وطنية، واستقلال المغرب، مع احترام سيادته، أسوة ببقية دول العالم.

1. علاقة السلطان بفرنسا خلال الأربعينيات:

ساهمت وضعية فرنسا الضعيفة والمحتلة من طرف الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، والموقف الحازم الذي أبان عنه السلطان - خلال إنزال القوات الأمريكية - من المقيم العام نويس Noguès الذي هرع إلى الانتقال إلى فاس في نوع من التهرب، حتى يحتفظ ببعض من الحرية، لاتخاذ قرار القبول أو الرفض من هذا الانزال.¹ ثم ما كان من لقاء أنفا الذي أظهر السلطان كزعيم ورئيس بلد يشارك في مباحثات دول الحلفاء، ويتخذ القرارات فوق أرضه، من أجل تحرير الدولة الحامية من قبضة هتلر.² كل هذه المستجدات أضيفت إليها الظرفية العالمية التي كانت تدعو إلى التحرر، وحق الشعوب في تقرير مصيرها، الأمر الذي ساعد على ميلاد مناخ جديد بالمغرب، استغله الوطنيون، ممثلون في الأحزاب الوطنية في المنطقتين الخليفية والسلطانية، لاسيما حزب الاستقلال، لتقديم وثيقة المطالبة باستقلال المغرب يوم 11 يناير 1944 م، غير أن سلطات الحماية الفرنسية، تجاهلت العريضة، بل وعمدت إلى اعتقال ونفي الزعماء الوطنيين، وفي الوقت نفسه، شرعت في القيام بمجموعة من الإصلاحات «الترقيعية»، بدءا من 26 نونبر من السنة نفسها، وقد رأى المخطط النور بعد أن غيرت باريس المقيم العام السابق كابريل بيو G.Puaux.

أ. الاعتراف بجهود السلطان خلال الحرب العالمية الثانية:

استدعي السلطان في يونيو 1945 م لزيارة فرنسا كرئيس دولة وليس سلطان بلد محمي لفرنسا، ليشارك الفرنسيين والرئيس ديغول De Gaulle في احتفالات التحرير، وتوجت الزيارة بتوشيح السلطان بوسام فخري، وأطلق عليه لقب رفيق التحرير، عرفانا بالجهود التي بذلها، والحنكة، والشجاعة اللتين تحلا بهما، والوقوف إلى جانب فرنسا في محنتها، وهي تضحيات سبق للمقيم العام نويس أن اعترف بها من قبل، في خطاب العرش لسنة 1943 م. كما ثمن الجنرال ديغول مشاركة الجنود المغاربة وتضحياتهم في الحرب، ضمن صفوف الجيش الفرنسي.³

1 - التنقل من العاصمة صوب "عاصمة أخرى" هي عادة السلاطين المغاربة، فعلى سبيل المثال ظل السلطان عبد الرحمن بن هشام (1822 - 1859 م) ينتقل ما بين فاس ومراكش لثلاثي يلتقي بالقنصل البريطاني جون درمند هاي ما بين 1851 م و 1855 م، حتى لا يوقع الاتفاقيات التجارية التي كانت ستحد من حرية المغرب تجاريا وتضعف الموارد المالية للدولة.

2 - إلى جانب الوعود الأمريكية بضرورة التدخل لوضع حد لاستعمار المغرب.

3 - تلقى رئيس الوزراء البريطاني الشهير نفس الوسام لكن سنة 1958 م، مما يوضح مكانة السلطان ومساهمته الفعالة إلى جانب فرنسا في فترة احتلال جزء كبير من أراضيها من قبل ألمانيا النازية.

خلال هذه الزيارة التي شعر فيها السلطان بصفته الحقيقية، وبتقارب مع رئيس الدولة الحامية، طلب من الجنرال ديغول تغيير المقيم العام كابريلال بيو، نظرا لتصريحاته المسيئة للمغرب، حيث هدد بتحويله إلى ضيعة فرنسية بالقوة إن اقتضى الحال¹، إن ظل السلطان يتظاهر بأنه وحده الحاكم الوحيد للبلاد، وأن الوطنيين راغبون في التخلص من فرنسا.

وقد لبي الرئيس طلب السلطان² وإن تأخر تعيين المقيم الجديد إيريك لابون Eirik Labonne³ قليلا إلى مارس 1946م. لكن القبول بالتغيير في حد ذاته أعطى دفعة كبيرة للسلطان على بساطة الطلب، حيث أكد التعامل بين دولتين - طلب من رئيس لرئيس، وليس عبر ممثلها داخل المغرب، والمتمثل في المقيم العام.

وربما هذا القبول هو ما دفع السلطان إلى التأكيد على رغبة المغرب في تغيير نظام الحماية، إذ اعتبره صيغة من الماضي لا تصلح لمغرب المستقبل الذي يتطلع إلى بلد حر وفق المتغيرات العصرية الجديدة⁴، ورغم رفض ديغول المتوقع لمسألة تحرير المغرب، إلا أنه أشار في ختام حديثهما بكون «الموضوع في حاجة إلى دراسة دقيقة، من أجل وضع اتفاق جديد» يراعي التطورات، والمستجدات لبدء المشاورات إلى ما بعد المصادقة على دستور الجمهورية الرابعة⁵.

ب. أهمية زيارة طنجة:

قام السلطان محمد بن يوسف كزعيم يدافع عن بلده، وتوتيجا لتقديم وثيقة المطالبة باستقلال المغرب، بزيارة لطنجة ذات الحكم الدولي، للتأكيد على وحدة المغرب بعد احتلالها من طرف جيوش فرانكو سنة 1940م إبان الحرب العالمية الثانية، قبل أن تعاد إلى وضعها الدولي بعد نهاية الحرب؛ فالوصول إليها يعني التنقل من المنطقة السلطانية، مرورا بالمنطقة الخليفية، ثم طنجة، وكان بديها أن يستقبل السلطان من قبل خليفته بمنطقة الحماية الإسبانية مولاي المهدي عند قدومه.

وكما كان منتظرا حاول المقيم العام لابون ثني السلطان محمد بن يوسف عن الفكرة، بدعوى ضرورة التنسيق وإخبار ممثلي الدول الموجودين بطنجة، وانتظار موافقتهم - كان يأمل ألا يوافق بعضها - إلا أن

1 - ثامر عزام الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب 1956-1939م، دار غيداء، عمان، الطبعة الأولى، 2017م، ص. 128.

2 - لم يتم تغيير بيو في الحين لكن الطلب في حد ذاته كان شجاعة من السلطان، وزاد وثوقا بقبول الطلب.

3 - إيريك لابون من الاشتراكيين الفرنسيين استمر في منصبه إلى ماي 1947م وسعى إلى إحداث إصلاحات تهدف إلى تقوية نظام الحماية من الداخل، بالقيام بإصلاحات اقتصادية واجتماعية، وهي ما اعتبرها حزب الاستقلال أنها ولدت فاشلة حسبها ذكره غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1، 2005م، إضافة إلى سعيه للتقرب من السلطان والوطنيين بإطلاقه سراح زعمائهم.

4 - جورج سبيلمان، المغرب: من الحماية إلى الاستقلال 1912-1955، ترجمة محمد مؤيد، منشورات أمل، 2014م، ص. 123.

5 - المصدر السابق، ص. 124.

موافقة إسبانيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، بعد تردد، دفع بفرنسا إلى القبول أمام إصرار السلطان، والموافقة على زيارة المدينة.

وموازاة مع ذلك، أعطت الإقامة العامة الضوء الأخضر لمعمرها ومن يدور في فلكهم لعرقلة الزيارة أو تأخيرها قدر الإمكان، نذكر في هذا السياق حادثة ابن مسيك المعروفة بـ «ضربة سيلغان»¹ في 7 أبريل، أي يومين فقط من موعد رحلة سيدي محمد الخامس لطنجة بغية التشويش والعرقلة. وبعد أن تقينت فرنسا من عزم السلطان، اشترطت باريس ضرورة مرافقة المقيم العام للموكب السلطاني، وإدراج فقرة في خطاب السلطان تتضمن كلمات الشكر والعرفان لفرنسا، الساهرة على تحقيق المدينة، ولرجالها المتفانين في العلم والحرية، مما يساهم في الازدهار والتمدن داخل الأمم والبلدان.

غير أن السلطان ألقى خطابه الذي أكد فيه على ضرورة تغيير النظام القائم بالبلاد، والتشبث بوحدة التراب المغربي بجميع مكوناته، عربا كانوا أو أمازيغا، وتمتعهم بحقوقهم كاملة²، دون أن ينسى المطالبة بالحرية وبالعلاقات وطيدة متكافئة تربطه مع كل الدول التي تدعو إلى احترام سيادة البلدان وحريتها، والتغاضي عن الجزء المقحم في الخطاب الذي حرصت الإقامة العامة على إدراجه³.

وتمشيا مع خطاب السلطان، جاء خطابا الأميرة للاعائشة، وولي العهد مولاي الحسن، للتأكيد على ارتباط المغرب بعروبته، في إشارة واضحة إلى الجامعة العربية الحديثة التأسيس، ومعبرين في الوقت ذاته عن رفضهم القاطع، والفاصل، للتحديث الفرنسي الذي دشنته إصلاحات الإقامة العامة الجديدة.

لم تكن هذه الزيارة لتمر دون رد فعل سلطات الحماية الفرنسية، خاصة بعد أن تناول ممثلو الدول الأجنبية الحادث، ورأوا فيه تحديا للسلطات الاستعمارية بعد أن أدار السلطان ظهره لفرنسا والغرب، وتوجه نحو العالم الإسلامي؛ إذ اعتبرت إذاعة القاهرة «أن المطالب الوطنية، أصبحت مطالب رسمية

1 - تناولت العديد من الدراسات هذه الحادثة التي خلفت أزيد من ألفي قتيل، من نساء وأطفال ورجال على مختلف أعمارهم، حيث تركت المنطقة إلى جانب الأحياء القريبة لمدة يومين للتفكيك والتقتيل. للمزيد من المعلومات يرجع إلى علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، الطبعة السادسة، مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2003م؛ ومثيل دولافارد، الدار البيضاء مدينة المظاهرات، ترجمة حسن أميلي ومنعم بوعملات، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، 2020م، هامش 2، ص. 50.

2 - وصف المرحوم الحسن الثاني خطاب والده بطنجة على «أنه ملحمة، وليس خطابا سياسيا فحسب» ذكره سبيلمان، مرجع سابق، ص. 132، نفس التصريحات أكد عليها السلطان في خطاب العرش للسنة نفسها، فقد ذكر الفاسي جزءا منه، يستشف منه استمرار ابن يوسف، طيب الله ثراه، في الدعوة إلى أن يحظى المغاربة (رعايانا) بأمة حرة، تتمتع بكل حقوقها الشرعية، وتحظى كأمة عربية مسلمة في وحدتها، وسيادتها، مترتبة المكانة التي تستحقها بين الدول الحرة، كاملة السيادة والحقوق. الفاسي، مرجع سابق، ص. 438.

3 - هذا التناسي من قبل محمد بن يوسف الذي برره - حسب ما ذكره شارل أندري جوليان - بهتافات الجماهير، كانت دلالات عميقة لدى المقيم العام لابون، حيث عجلت برحيله، ولدى المعمرين، والصحافة الفرنسية بالمغرب. كما بباريس، إذ تلقت «التناسي» كقنبلة، لاسيما في خضم التحولات التي كانت تعرفها إمبراطوريتها الاستعمارية من تقلص، بعد أن استقلت كل من لبنان وسوريا، واندلعت الحرب في الهند الصينية، ناهيك عن أحداث سطيف بالجزائر.

بكل معنى الكلمة»، وأضافت أن الجامعة العربية، والدولة المصرية تتمنيان التوفيق للشعب المغربي. وقد ظلت أصداء الزيارة تتناول من طرف الصحافة العربية والغربية، بما فيها الأمريكية والروسية، مدة ليست بالقصيرة¹. وقد اعتبر كل من سبيلمان² ولاكوتور Lacouture أنه بعد زيارة طنجة أصبح السلطان يوصف بملك الاستقلال، من طرف جميع المغاربة، فأينما حل وارتحل كان هتاف ”يحيا الملك، عاش الملك“³ وأنه أضحي ممثل الوطنيين والمتحاور معه الأول لدى الإقامة العامة.

لهذا ومباشرة بعد عودة السلطان، لجأت باريس إلى تغيير المقيم العام لابون، الذي اعتبر أن السلطان «خدعه» في خطاب طنجة⁴، وزاد من تعجيل رحيله استياء المعمرين ذوي النفوذ البارز بالبرلمان الفرنسي، نظرا للطابع الإصلاحى الذي كان يميزه، ويضر بمصالحها الاستعمارية.

ولاستعادة بريقتها أخذت الإدارة الفرنسية مجموعة من الإجراءات الحازمة في حق السلطان، بدأها وزير خارجيتها جورج بيدو Bidault بحملة ضد السلطان محمد بن يوسف، تضمنت تصريحات عدائية، وتعصبا دينيا واضحين، ناهيك عن مساهمة الصحف المتحدثة بلسان الإدارة الاستعمارية، وعلى رأسها ”جريدة السعادة“ ومجموعة ماص في الحملة المسعورة، والشرسة ضده وضد ولي العهد والوطنيين⁵، ولم تكتف فرنسا بهذا القدر بل عينت شخصية عسكرية من درجة الجنرال مقيما عاما بالمغرب، ويتعلق الأمر بألفونس جوان Alphonse Juin عوض لابون في 23 ماي 1947 م.

عرف عن المقيم العام الجديد نهجه لسياسة القمع والعنف، وكانت سمعته تسبقه، كما كانت أصداء منجزاته بتونس تسبقه بعد عزله ”المنصف باي“ ومنع حزب ”الدستور“ بها. إذ نهج ”نظاما استعماريًا كليانيا“⁶ بالبلاد بعد تلقيه تعليمات صارمة.

بهذه الرؤية تم تعيين المقيم الجديد بالمغرب لحماية مصالح المعمرين والوجود الاستعماري الفرنسي به، وهو تعيين قوبل بارتياح لدى المعمرين من السياسيين، والعسكريين، وكبار الفلاحين، ورجال الأعمال، خاصة مصدري المعادن، والقضاء على التعاون بين السلطان والوطنيين.

1 - حول أصداء الزيارة يرجع إلى علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1851-1947 م، دراسات في تاريخ العلاقات الدولية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002 م، ص. 157 وما بعدها. وكذلك محمد كنيب، عهد القطيعة: 1947-1953 م، ضمن مذكرات التراث المغربي، الجزء 6، ص. 184.

2 - بل أكثر من ذلك فقد عنوان سبيلمان في كتابه الذي اعتمدناه، زيارة السلطان لطنجة بـ «انقلاب طنجة»، مرجع سابق، ص. 127.

3 - هذا الهتاف الذي سيسعى الجنرال جوان إخراسه بمنع السلطان وولي عهده من حضور الأنشطة.

4 - الإدارة الفرنسية، مرجع سابق، ص. 166.

5 - سبيلمان، مرجع سابق، ص. 142.

6 - التعبير أورده ميشال أبتول M. Abitbol نقلا عن ألبير عياش A. Ayache، p. 451، Histoire du Maroc, Perrin, Paris, 2014.

في لقائه الأول بالسلطان، ذكر المقيم العام جوان بارتباط المغرب بفرنسا في ظل معاهدة سياسية، وأنه بلد غربي في رد على ما جاء في خطاب طنجة، وانتقل بعدها إلى تهديده، إما بالتعاون خاصة فيما يتعلق بتوقيع الظهائر التي رفض السلطان ابن يوسف توقيعها منذ 1946م لكونها تمس سيادة البلاد، وتتعارض مع نص المعاهدة الموقعة في 30 مارس 1912م، فيما عرف بـ «أزمة إضراب الطابع»¹ أو العزل، ومن جهة أخرى أخذ في استكمال أو بالأحرى أجرأة الإصلاحات التي كان قد بدأها سلفه لابون.

وعلى صعيد آخر استغل وجود علال الفاسي بالقاهرة، لينهج «سياسة فرق تسد» بين الزعماء الوطنيين، وذلك بالاستفادة من الخلاف في وجهات النظر بين الفاسي، ومحمد بن الحسن الوزاني، زعيم حزب الشورى والاستقلال لاستدعائه بشكل انفرادي لجلس نبض حزبه، وبالفعل قدم الوزاني جوابا كتابيا في 10 شتنبر 1947م تضمن رؤية الحزب فيما آلت إليه الأمور وتصوره لمستقبل الوجود الفرنسي بالمغرب، واقتصرت النقاط التي أثارها في إبطال الحماية، مع القيام بانتخابات حرة، في ظل ملكية ديمقراطية، وكانت إلى حد كبير تتمشى مع آراء حزب الاستقلال وإن بنوع من الاعتدال.

ومن جهة ثانية أقدم المقيم العام جوان على تشكيل مجلس شورى، في إطار حكومة «مشتركة»، ضمت بالتساوي مغاربة، وفرنسيين، لكن في واقع الأمر كان الفرنسيون مدراء وأصحاب قرار، في حين لم يتجاوز دور المغاربة العشرة مهمة «أعوان اتصال» ومندوبين لدى الصدر الأعظم. أما في الضفة الأخرى من البحر المتوسط فقد صرح وزير فرنسا ما وراء البحار في المجلس الوطني ببلاده «أن الدولتين المحميتين، ويقصد بهما تونس والمغرب، أصبحتا دولتين مشاركتين عضوين في الاتحاد الفرنسي»²، لينطلق الحديث عن وجود سيادة مزدوجة ومشاركة داخل المغرب، في خطوة لفرض الأمر الواقع على السلطان والوطنيين الذين ظلوا متشبثين برفض إدماج بلادهم في الاتحاد الفرنسي.

وعزز جوان من تصعيده باللقاء مع المندوب السامي للحماية الإسبانية الجنرال فاريللا³ Varela، حيث دعاه إلى تنسيق الجهود ونبد الخلاف بين الدوليتين، لأن أي خلاف بينهما لا يخدم سوى مصالح الوطنيين في شمال وجنوب المغرب. ورغم الرفض القاطع للسلطان والوطنيين للإصلاحات، فإن محمد ابن يوسف ساير ضغط الإقامة العامة، متفاديا الاصطدام، والمواجهة العلنية معها، فقام بتوقيع بعض الظهائر في يونيو 1947م.

1 - Decroux Paul, le souverain du Maroc, législateur, Revue de l'occident et de la Méditerranée (REMM), n° 3, 1967, pp. 31-63.

2 - عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص. 355.

3 - خوسيه إنريكي فاريللا ساهم في حرب الريف، وشغل منصب المفوض السامي بمنطقة الحماية الإسبانية ما بين مارس 1945م - مارس 1951م.

2- تشنج العلاقات بين القصر والإقامة العامة 1950 - 1953 م:

استمر التوتر بين السلطان والإقامة العامة، لدرجة دفعت السلطان محمد بن يوسف إلى مراسلة باريس في دجنبر 1949م بشأن تجاوزات ممثلها في المغرب، لكنه لم يتلق جوابا إطلاقا، في الوقت الذي بدأت المسألة المغربية تأخذ بعدا دوليا، بتدخل من جامعة الدول العربية¹، التي دافعت على طرح وضع المغرب القانوني في منظمة الأمم المتحدة، فوجدت فرنسا نفسها أمام تدويل القضية المغربية². ولاحتواء الوضع وتبديد الآراء عن وجود خلاف جوهري بالمغرب، ظنت الرئاسة بباريس، أنها بدعوته للسلطان لزيارة فرنسا سيدحض انتشار خبر تأزم العلاقات بين فرنسا ومستعمرتها، فوجه الرئيس فانسان أوريول Vincent Auriol دعوته في أكتوبر 1950م، غير أن سيدي محمد الخامس بمجرد وصوله، قدم له مذكرة طالب فيها بتعزيز السيادة المغربية مع إشراك المغاربة في إدارة بلادهم. وكما كان متوقعا، تجاهل الرئيس المذكرة ولم يجب عنها، فأعقبها السلطان بمذكرة ثانية أرسلت هذه المرة للحكومة الفرنسية، مطالبا فيها بإلغاء نظام الحماية، الموقع سنة 1912م، الذي لم يعد صالحا لسنة 1950م، وتعويضه بمعاهدة تحالف تتضمن الوعد بالاستقلال التام للمغرب، غير أن مصير المذكرة الجديدة كان مثل سابقتها، بحيث تم تجاهلها كلية.

كان إصرار السلطان على ضرورة تغيير الإطار القانوني لمعاهدة الحماية، يتقاطع مع رغبة فرنسا في تغيير الوضع بالبلاد، لكن كل من منظوره الخاص؛ فالسلطان كان يتطلع إلى إقامة علاقات متينة مبنية على إصلاح بنيوي يضع حدا لنظام الحماية والاستغلال الاستعماري، في حين كانت فرنسا ترمي إلى بناء سياسة تعزز مكانة معمرها الفرنسيين في إطار الإدماج، والسياسة المشتركة، من داخل منظمة الاتحاد الفرنسي.

بعد عودته إلى المغرب، وفي خطاب العرش يوم 18 نونبر أبلغ السلطان شعبه بمستجدات زيارته لباريس، وكيف تم تجاهل مذكرته لمناقشة الوضع القانوني للمغرب.

1 - حق الشعوب العربية ودول شمال إفريقيا في الحرية والاستقلال، وأن الجامعة تدعم هذه الشعوب.
2 - أدرجت القضية المغربية ضمن أعمال منظمة الأمم المتحدة، لكنها لم تدرج بضغط من الدول الصديقة لفرنسا، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا، إلا أن الوطنيين تمكنوا من دفع الجمعية العامة إلى إرسال لجنة لتقصي الحقائق، حول الممارسات التعسفية لسياسة الإدارة الفرنسية بالبلاد، والتنكيل بشعبها سنة 1951م. كما تناولتها المؤتمرات الآسيوية، الداعية إلى التحرر والانعقاد، انظر بهذا الخصوص الإدارة الفرنسية، مرجع سابق، ص. 465 وغلاب، قراءة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، والفاسي، الحركات الاستقلالية. كما عرفت سنة 1952م انتقاد التجار الأمريكيين لسياسة التقنيين الفرنسيين بالمغرب داخل محكمة لاهاي الدولية.

كان خطاب العرش هذا بمثابة تقسيم الأحلاف داخل المغرب، فمن جهة نجد السلطان، وزعماء الحركة الوطنية، والشعب، وأصدقاء المغرب من الفرنسيين¹، وفي الخانة الأخرى كان هناك المقيم العام، والمعمرون، ذوو الاستثمارات، والصناعات الاستخراجية، والمستولون على الأراضي الفلاحية، وقد انتظم بعض هؤلاء في منظمات إرهابية مثل «الوجود الفرنسي» *union pour la présence française* استفادت من مساعدة الشرطة لها في مناطق عديدة من المغرب، لتصفية الوطنيين، والفرنسيين المدافعين عن القضية المغربية، وبياريس كان المتشددون اليمينيون داخل الحكومة الفرنسية خير داعمين للمقيم العام. إلى جانب القياد الكبار، وعلى رأسهم، التهامي الكلاوي وزعماء الطرق الصوفية، الذين سمح جوان لمشايجهم بالتجوال داخل البلاد. وكانت حركة الإصلاح الديني قد نجحت² بمباركة من السلطان في محاربة الطرق والتصوف الشعبي، ومنعت تأسيس طرق جديدة.

قام الجنرال جوان بمجموعة من التغييرات فيما سماه مشروعه الإصلاحية، الذي يروم إدماج المغرب في الاتحاد الفرنسي، وتلخصت في انتخابات مجلس شورى الحكومة³ الذي أعطى الأفضلية لفرنسيي المغرب بتكريس السلطة، والسيطرة على الشؤون الاقتصادية والسياسية أكثر مما كانت عليه، بحيث «كانت حصة الفرنسيين من توزيع الوظائف العليا ما بين 1950 - 1951 م 91٪، مقابل 9٪ المخصصة للمغاربة. واختص الفرنسيون بـ 84٪ من الوظائف الأساسية، وحظي المغاربة بـ 96٪ من الأعمال اليدوية»⁴، ومع ذلك قامت باقتسام السلطة بينهم وبين المغاربة رغم عددهم القليل، أمام ضغط المعمرين، إلا أن أهم ما ميز هذه الانتخابات هو تمكن أعضاء من حزب الاستقلال من المشاركة في الغرف الاستشارية للتجارة. وهكذا استطاع الوطنيون الدخول إلى مجلس شورى الحكومة بعد انتخابات 1950 م، فكان من بينهم أعضاء من حزب الاستقلال، وأثناء اجتماع المجلس في الدورة الخريفية أواخر دجنبر لمناقشة ميزانية 1951 م - وهو اجتماع حضره المقيم العام - اعترض محمد لغزاوي على التقسيم الذي يمنح المعمرين امتيازات عديدة على حساب المغاربة، وكانت تُقسَّم كالتالي: 79 ٪ لإدارة الحماية،

1 - لعب هؤلاء دورا فعالا في إظهار مغالاة الحماية الفرنسية، وبطش المقيمين العامين، والضباط العسكريين، نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: منظمة «الضمير الفرنسي»، والكاتب والسياسي فرنسوا مورياك François Mauriac، والمحامي جان شارل لوكران J. CH. Legrand.

2 - يتعلق الأمر بسلفية جديدة ذات منحى تحديتي كان من بينها: الحجوي، وابن المواز، وعلال الفاسي، والوزاني، والطريس، ربطت بين الفعل الوطني والإصلاحية. عثمان أشقرا، في الفكر الوطني المغربي، سلسلة المعرفة للجميع، عدد 17، الرباط، نونبر - دجنبر 2000 م، ص. 65.

3 - رفض السلطان المصادقة على المجلس الذي كان التعيين فيه ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ جزء فرنسي مكون من مندوبي المصالح العامة ومندوبي الغرف التجارية والفلاحية والصناعية الفرنسية، وقسم ثالث انتخابي، تختاره الجالية الفرنسية، ثم جزء مغربي معين من طرف الحكومة. ثم عرض الجنرال جوان على السلطان مجلس شورى مختلط، يكون فيه الحق للفرنسيين المشاركة، من خلال الانتخاب الحر المباشر، وللمغاربة حق الانتخاب من درجتين. الفاسي، الحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص. 432.

4 - الإدارة الفرنسية، مرجع سابق، ص. 143.

و 19٪ تكون تحت تصرف المقيم العام، وفقط 2٪ مخصصة للإدارة المغربية.¹ واحتد النقاش، وأيد أحمد اليزيدي² ما جاء في كلام لغزاوي، وعلى إثر ذلك كان رد جوان أن طرد لغزاوي من المجلس، فتضامن معه بقية المغاربة الذين غادروا بدورهم القاعة، واتجهوا رأساً إلى السلطان الذي استقبلهم، الشيء الذي اعتبره المقيم العام إهانة له، وللمؤسسات الفرنسية، وبدأ جدياً يبحث في مسألة تنحية السلطان رمز الوحدة المغربية. تزامن هذا الحادث العرضي مع الحملة المسعورة التي كانت الصحافة الفرنسية ذات الميول الاستعماري، قد دشنتها منذ الزيارة الأخيرة للسلطان لفرنسا، وقد سارع هذا الجو المشحون إلى دفع المقيم العام إلى تطويق السلطان - كما سيأتي -.

إضافة إلى أن الحادث أثار الانشقاق، وعدم انسجام مجلس شورى الحكومة، وزعزع يقين جوان في تبني سياسة استعمارية تقوم على تشارك السلطة، والتأسيس للوجود الفرنسي بالمغرب، وذلك بتحويل العمرين - قليلي العدد - الصلاحيات التي تمكنهم من نهج خيرات البلاد، والتحكم في سيادتها، وهكذا قوبلت إصلاحاته بالرفض، وزاد من تعميق الهوة، واتساع نقط الخلاف بين القصر والإقامة العامة.

كان المقيم العام يعي جيداً أن أي تدخل لدى السلطان للاحتجاج عما بدر من العناصر المغربية سيقابله رفض من السلطان محمد بن يوسف رحمه الله، لذلك توجه إلى فئة المغاربة الموالين لفرنسا، وكبيرهم باشا مراکش التهامي الكلاوي، الذي كانت تتجاوز صلاحيته ونفوذه هذه المنطقة بكثير، بدعم من سلطات الحماية.

استغل المقيم العام قرب زيارة الكلاوي للسلطان بذكرى المولد النبوي الشريف في 21 دجنبر 1950م، وأمره جوان بأن ينقل للسلطان امتعاض القياد الكبار من تصرفات حزب الاستقلال بصورة خاصة. كما طلب منه التأكيد لتوجيه اللوم لأعضاء الحزب، لأنهم موصوفون «بالرجعيين، والمخلين، والعلماء».. غير أن السلطان اعتبر ذلك تجاوزاً سافراً لسلطات باشا مراکش، وأنه أصبح يميل تصرفاته عليه، فعمد إلى طرده من القصر، وأبلغ الصدر الأعظم بأن باشا مراکش ممنوع من دخول القصر³ إلى أن يسمح له السلطان بذلك. فكانت الفرصة السانحة التي انتظرها المقيم العام للدفع بالكلاوي إلى تشكيل جبهة ضد السلطان، ضمت ثمانية قياد لحبك المؤامرة⁴.

1 - نفسه، ص 144.

2 - سبيلمان، مرجع سابق، ص. 146.

3 - لم يكن التهامي الكلاوي وهو القائد «المذل» للفرنسيين، أن يتغاضى عن الإهانة التي لحقت به من قبل السلطان، فنظم مسيرة صوب الرباط بدعوى أن سكان القرى سثموا سيطرة وتفرد سكان الحواضر بكل ما يهيم البلاد، وقد ارتأى السلطان تكليف الصدر الأعظم للوقوف على مطالبهم، ووقع ظهوراً في يوليو 1951م يسمح بتكوين مجالس الأحياء بالقرى والدواوير، في الوقت الذي ظل ممنوعاً عن توقيع الظهير الذي يطالب به الفرنسيون من تحويلهم إقامة هيئة تمثيلية منتخبة.

4 - Merlié Maurice. Un témoignage marocain sur la fin du Protectorat. In : Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 79, n°296, 3e trimestre 1992, pp. 391-393, www.persee.fr.

كانت مسألة إدماج المغرب إلى جانب تونس البلد المحمي كذلك من قبل فرنسا في الاتحاد الفرنسي حاضرة بقوة لدى الحكومة بباريس، بدافع من المقيم جوان، الذي حرص في هذا الباب على تفكيك أواصر الارتباط بين الحركة الوطنية، وعلى رأسها حزب الاستقلال¹ والسلطان الذي أضحي المحرك الأساسي والداعي والمدافع عن حرية البلاد واستقلالها بغية عزله. ولتحقيق هذا المخطط طلب جوان من حكومته السماح له بإقالة كل الوزراء ذوي الميول الوطنية، في دجنبر 1950م، وهو الأمر الذي وافقت عليه باريس بسرعة، فقام من جهته بإبلاغ السلطان بطلبه، غير أن هذا الأخير أقال الوزارة كاملة. وأمام هذا التحدي، بعث له المقيم العام بالظواهر العالقة للتوقيع عليها، وفي حالة الرفض يكون السلطان ابن يوسف قد أهدها فرصة لعزله، خاصة وأن السلطان رفض مرارا توقيعها.

من جهة ثانية أطلق المقيم العام العنان للقياد الكبار الموالين لفرنسا- وعلى رأسهم الكلاوي- ولشايف الحركة الصوفية، وفي هذا السياق ترأس الشيخ الكتاني مؤتمرا للطرق الصوفية في أبريل 1953م أُلقيت فيه عبارات معادية لشخص السلطان، باعتباره معاديا للإصلاحات التي تنوي الحماية الفرنسية القيام بها. ولعبت الصحافة الاستعمارية دورا جوهريا، بعد أن كرست صحفها لتحريض الرأي العام ضد القصر الملكي، تحت ذريعة حمايته للثوار، خاصة مجموعة «ماص Mas» بكل صحفها اليومية، وجريدة «زيك-زك» لصاحبها دو لافارد السابق الذكر.

غير أن السلطان استطاع مرة أخرى تفادي المواجهة المباشرة مع الإقامة العامة، وأفشل مخطط المقيم العام والكلاوي بتوقيعه للظواهر العالقة في نهاية فبراير 1951م، لتؤجل الإقامة العامة خططها وتلجأ إلى سلسلة من الاعتقالات والبطش والعنف في صفوف الوطنيين وزعمائهم. ولم يفت السلطان أن يحمل الإقامة العامة وإدارتها سوء الأحوال بالمغرب، في جوابه على جوان بقوله: «إن الأسباب التي أدت إلى خروج الشعب المغربي للتظاهر ضد الإدارة الفرنسية مرده إلى سياسة العنف، وتقييد الحريات، وعدم وجود حكومة وطنية ذات سلطة حقيقية... وما دام الأمر كذلك نريد ألا تسير الأمور من سيء إلى أسوأ»².

تيقن المقيم العام جوان من فشله في فرض مخططه الذي عين من أجله، فكان لزاما الانسحاب من المغرب، وهو الذي ألزم نفسه بالانسحاب في حالة فشله في مسعاه أثناء خطابه بمراكش عند بداية تعيينه.

1 - طلب المقيم العام من السلطان أن يستنكر ما يقوم به حزب الاستقلال، لكن جوابه كان معللا بالرفض، كونه سلطانا لكل البلاد، وأنه فوق الأحزاب، إضافة إلى أن المحاكم هي المخولة لمحاسبة من اقترف جرما. الإدارة الفرنسية، مرجع سابق، ص. 175.

2 - نقلا عن الإدارة الفرنسية، مرجع سابق، ص. 179.

وبالفعل غادر جوان المغرب بعد أن رشح تلميذه لاستكمال مشروعه، ويتعلق الأمر بكيوم Augustin Guillaume، الذي يعرف المغرب جيدا. فقد سبق له أن اشتغل به من قبل في عهد المقيم العام الجنرال نويس Noguès.

واصل المقيم الجديد التضييق على السلطان وعلى الوطنيين، وأطلق اليد للتنظيمات الإرهابية لتواصل بطشها بالمغاربة، خاصة بالدار البيضاء، نذكر على سبيل المثال منظمة "الوجود الفرنسي"، حيث لم يتوان حاكمها العسكري بونيفاص في تقديم كل ما يلزم، مدعومة بالمعمرين المتشددين.

هذا الوضع العصيب الذي أصبح يعيشه المغرب دفع السلطان إلى إرسال مذكرة جديدة للرئيس الفرنسي أوريول يدعوه مرة أخرى إلى التفاوض بشأن نظام الحماية، وترك الحرية للسلطان، لتشكيل حكومة وطنية تضم كفاءات وطنية، وتتمتع بالصلاحيات اللازمة، إلا أنها كسابقاتها قوبلت بالرفض. وفي المقابل، اقترحت الحكومة الباريسية تأسيس حكومة يكون فيها الحضور الفرنسي بارزا، وذا طابع تشاركي، في إشارة إلى الاتحاد الفرنسي، فرفضها السلطان بدوره، لأنه لم يجد فيها ما يضع المغرب على درب الاستقلال.

من الأمور التي عجلت بفكرة عزل السلطان محمد بن يوسف، تعيين جورج بيدو Bidault المتشدد والمناوئ للمغرب في منصب وزير الخارجية بدل شومان. وكان من الراضين لوجود السلطان ابن يوسف على رأس المغرب، نظرا لمواقفه المؤيدة والثابتة مع الوطنيين، فكان يدعو إلى عزله.

وشكلت سنة 1952م سنة فارقة في تاريخ الحماية الفرنسية بالمغرب، فبمناسبة الذكرى الفضية لعيد العرش، ألقى السلطان خطابا، حمل إشارات قوية إلى ضرورة إنهاء عهد الحجر والحماية، وذلك بتشبيهه لنظام الحماية بقميص طفل صغير نما وترعرع، فلم يعد القميص صالحا للرجل الراشد، في كناية عن المغرب. وفي خضم هذا الحماس الوطني والشعبي تم اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد من طرف الفرنسيين، فتعالت الأصوات الراضة لهذه الجريمة، التي تريد أن تخرس أصوات الشغيلة، التي بدأت أعدادها تتزايد داخل المغارب. وانتقاما من الإضراب الوطني الذي شل كل المرافق الحيوية للفرنسيين، ردت فرنسا بـ "مذبحة كاريان سنترال" في دجنبر من السنة نفسها¹ بحي ابن مسيك والأحياء المجاورة، وذهب ضحيتها المئات من المغاربة. وأمام هذه الوحشية، وجد الفرنسيون المعارضون للسياسة الاستعمارية أنفسهم يدافعون عن المغرب والمغاربة، فأخذوا يلفتون النظر إلى

1 - خلف هذا الحادث أصداء كبيرة، كما جعلت العديد من الفرنسيين يتعاطفون مع المغرب والمغاربة، وصورت الفرنسيين على أنهم متعاطفين لسفك دماء العزل.

الوحشية والتعسف الاستعماري، فنقلت أحداث مذبحة «كاريان سنترال» في الصحف، ومن أبرزها تيموانياج كريتيان¹ Témoinage chrétien.

فكانت حادثة من هذا المنطلق نقطة لا عودة في العلاقات الفرنسية المغربية، فقد استنكر السلطان العنف والتقتيل اللذين تعرض لهما شعبه على مختلف أعمارهم، وقدم مذكرة احتجاج لباريس، وحمل المقيم العام سوء تدبيره، دون أن ينسى تأكيده مرة أخرى، وحرصه على قبوله الدخول في مفاوضات من أجل إيجاد حل للمغرب، غير أنها رفضت مثل بقيتها. وما كانت ضربات المنظمات الإرهابية الفرنسية في صفوف المغاربة إلا مناسبة لتزايد شعبية محمد بن يوسف؛ فلم يقتصر الأمر على نخبة وطنية مثقفة، بل التفت كل الشرائح أمام إصراره الثابت على مطالبة فرنسا بضرورة قبول تغيير نظام الحماية إلى نظام يليق بمغرب الخمسينيات، وهو القائل: "ما ضاع حق وراءه مطالب". كما تحالف زعماء الأحزاب الوطنية الموجودين بالقاهرة، ورفضوا بشكل قاطع كذلك ضم المغرب للاتحاد الفرنسي²، فتبين للإقامة العامة أن الوقت حان للشروع في إيجاد بديل للسلطان الشرعي، فأوعزت للكلاوي بقيادة مظاهرات من أنحاء المغرب اتجه بها صوب القصر السلطاني بالرباط، إلى جانب تهيئه لعريضة تضمنت 250 ألف توقيع تدعو الإقامة العامة إلى عزل السلطان، سلمت للإقامة العامة في أواخر ماي 1953م، ورفعها المقيم العام على وجه السرعة إلى وزارة الخارجية مباشرة. ولم يكن الكلاوي ليتحرك لولا وجود تأييد كامل ومطلق من المقيم العام، ومن العناصر الفرنسية التي كانت تشكل «لوبيًا» حقيقيا مخافة خسارة امتيازاتها بالبلاد.

كان آخر هذه المضايقات قيام المقيم العام بإبعاد السلطان الحقيقي، وتعيين محمد بن عرفة مكانه رغم سنه الذي تجاوز الثمانين، لتجعل فرنسا منه سلطانا غير قادر على التواصل مع الشعب المغربي، الذي كان يرى فيه مغتصبا للعرش. فوجدت فرنسا نفسها في مأزق حقيقي، من جهة انعكاسات الإدارة المباشرة وعواقبها، التي اتسمت بالعديد من الأخطاء، والجمود، والشطط، بغية زرع الخوف واليأس في نفوس المغاربة، وثنيهم عن التشوف لرجوع السلطان الشرعي طيلة الفترة الممتدة من 1953م إلى 1955م. ناهيك عن كثرة الأخطاء الفرنسية، سواء فيما تعلق بتدبير الشأن المغربي، أو في علاقتها مع حليفة الأمس (إسبانيا) التي تتقاسم معها البلاد. وبرزت بعض هذه الأخطاء في:

- كثرة المقيمين العامين الذين تم تعيينهم من قبل الحكومة الفرنسية.

1 - أسبوعية فرنسية تأسست سنة 1941م إبان الاحتلال الألماني، استمرت في نهجها ضد الاستعمار بعد تحرير فرنسا ونهاية الحرب العالمية الثانية.

2 - بعث كل من الفاسي والوزاني وعبد الخالق الطريس برسالة مشتركة من القاهرة تتضمن معارضتهم للمشروع الفرنسي. سبيلمان، مرجع سابق، ص. 161.

- غياب التنسيق مع إدارة الحماية الإسبانية بتطوان، بعد أن أقدمت الإقامة العامة على نفي السلطان دون إخبارها، وهو الأمر الذي لم تستسغه إسبانيا، واستفادت منه كثيرا الحركة الوطنية بالشمال، حيث غض المندوب السامي بتطوان الجنرال غارسيا فالينو (1951-1956 م) الطرف عن حرية تحركهم بالمنطقة. كما أخذت الصحافة الإسبانية بدورها تهاجم وتندد بالسياسة الفرنسية الدموية بالمغرب¹.

بإقدام فرنسا على نفي السلطان وجدت نفسها في مواجهة شرائح وأجيال مختلفة من المغاربة بالمدن والقرى، خاصة الجيل الذي ازداد ووجد الحماية مفروضة على بلده، وذاق مرارة الاستغلال الاستعماري في كل المجالات، بدءا من التعليم، ومرورا بالعمل. هذا الجيل هو الذي أفرز شهداء من أمثال: محمد الزرقطوني، وعلال بن عبد الله، وبونعيلات، والوزاني، والفاسي، والطريس، والناصري، وابن بركة، وغيرهم كثير.

أمام هذه التحولات وجدت الإدارة الفرنسية بباريس نفسها مضطرة إلى قبول المفاوضات مع السلطان الشرعي المنفي، حيث أوفدت جورج كاترو G. Catroux، وهو في الوقت نفسه صديق لمحمد ابن يوسف طيب الله ثراه. استمرت المفاوضات خمسة أيام، تم خلالها الاتفاق على عودة السلطان إلى فرنسا وتكوين مجلس حفظة العرش، مع تشكيل حكومة للتفاوض حول استقلال المغرب.

واستمر تراجع الحضور الاستعماري الفرنسي بتراجع الكلاوي وتصريحاته بأن السلطان محمد بن يوسف هو السلطان الشرعي للبلاد، والموقف نفسه تبناه الكتاني. وبفرنسا استقبل السلطان مجموعة من الوطنيين؛ أحزابا أو أفرادا، فكانت عودته إلى بلاده في 19 نونبر 1955 م.

وفي الختام نخلص إلى أن السلطان محمد بن يوسف كان حريصا منذ نهاية الحرب العالمية على الحصول على الاستقلال، وإنهاء عهد الحماية والحجر، ولم يستنفذ الوسائل في سبيل بلوغ الحرية، ودفع بالسلطات الاستعمارية سواء بالمغرب أو بالمتربول إلى ارتكاب العديد من الأخطاء، جعلت الفرنسيين أنفسهم يدافعون عن القضية المغربية. وفي هذا السياق نجد المؤرخ الفرنسي دانييل ريفي Daniel RIVET يعتبر نفي السلطان محمد بن يوسف إما خطأ فادحا اقترفته سلطات الحماية، أو أنها مهارة

1 - GRANDVAL Gilbert, Ma mission au Maroc, Librairie Plon, Paris, 1956, P. 20.

هاجمت صحافة اليسار الفرنسي كذلك السياسة المتبعة بالمغرب مساندة حزبي الاستقلال والشورى والاستقلال، وبرزت أفلام حاربت الاستعمار الفرنسي بالمغرب وفرنسا، من قبيل: فرانسوا مورياك François Mauriac، وجاك لوميجر دوبروي Jacques Le maigre Dubreuil، وشارل أندري جوليان Charles Andre Julien، وإيزار Izard، وغيرهم كثير؛ مستغلة الجو العام بفرنسا والخارج، الذي سلط الضوء على الانتهاكات الأمبريالية للقوات الفرنسية بكل من الجزائر وباقي إفريقيا.

وذكاء السلطان¹، ليظهر لفرنسا والعالم بأسره بأنه ملك المغرب ككل، وأنه وفي لمبادئه، فقد واجه الإقامة العامة عندما شددت خناقها عليه: «إني ملك المغرب الشرعي ولن أخون الأمانة التي ائتمني عليها شعبي الوفي المخلص، إن فرنسا قوية فلتفعل ما تشاء».

1 - « l'habilité du sultan ou l'incroyable erreur de sa déposition par le protectorat », RIVET Daniel, Le Maroc de Lyautey à Mohammed V, le double visage du protectorat, Paris, Denoël, 1999, P. 23.



ديوان العدد

سَتَظِلُّ ذِكْرَاكَ الْعَظِيمَةَ حَيَّةً

● شعر ذ. محمد البلغمي - فاس.

قِفْ بِالضَّرِيحِ وَنَاجِهِ إِجْلَالًا * فِيهِ ثَوَى مَنْ أَنْجَبَ الْأَبْطَالَ
وَاذْكُرْ بِهِ السَّبْطَ الْكَرِيمَ مُحَمَّداً * بَطَلَ الْحِمَى مَنْ كَسَرَ الْأَغْلَالَ
مَنْ كَانَ رَمْزاً لِلشَّهَامَةِ وَالْفِدَى * وَلِشَعْبِهِ لَمْ يَرْتَضِ الْإِذْلَالَ
هُوَ رُوحُ أُمَّتِنَا وَمُنْقِذُهَا الَّذِي * مَلَأَ الْحَيَاةَ مَلَاحِماً وَنَضَّالاً
يَا وَاضِعاً.. لِلزَّهْرِ فَوْقَ ضَرِيحِهِ * مِنْ بَعْدِ مَا نَسَقَتْهُ أَشْكَالاً
هَذَا الَّذِي فَاقَ الزُّهُورَ عَيْرُهُ * بِشَمَائِلٍ فَاحَتْ ثِقَى وَفِعَالاً
يَعْنُو لَهُ التَّارِيخُ عِنْدَ سَمَاعِهِ * وَبِذِكْرِهِ تَزْهُو الْعُلَى إِنَّ جَالاً
قَدْ قَيَّضَتْهُ لَنَا السَّمَاءُ وَشَعْبُنَا * فِي الْقَيْدِ عَاشَ يُكَابِدُ الْأَثْقَالَ
جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَى الْمَحَبَّةِ بَعْدَمَا * كَادَ الْعَدُوُّ يُمَزِّقُ الْأَوْصَالَ
وَأَطَّلَ فِي لَيْلِ الْخُطُوبِ عَلَى الْحِمَى * بَدِراً يُضِيءُ شَهَامَةً وَجَمَالاً
فَأَتَارَ لِلْأَحْرَارِ دَرْبَ نِضَالِهِمْ * وَأَزَاحَ عَنِ بَعْضِ الْعُقُولِ ضَلَالاً
هَذَا الَّذِي رَضِيَ الْعَذَابَ لِأَجْلِنَا * وَالنَّفْسِيَّ وَالتَّشْرِيدَ وَالْأَهْوَالَ
هَذَا الَّذِي فَكَّ الْبِلَادَ مِنَ الْأَذَى * وَبِفَضْلِهِ قَدْ نَالَتْ اسْتِغْلَالَ
ضَحَّى لِأَجْلِ الشَّعْبِ عَرْشاً شَامِخاً * مَا نَالَهُ فَهْراً وَلَا اسْتِغْلَالَ
بَلْ كَانَ شَعْبِيَّ الْمُيُولِ.. مُخَالِطاً * لِلشَّعْبِ.. لَا مُتَعَالِياً مُخْتَالاً
يَحْنُو عَلَى الْفُقَرَاءِ قَبْلَ سُؤَالِهِ * عَطْفاً.. وَيُتْبِعُ قَوْلَهُ الْأَفْعَالَ
إِنْ قِيلَ غَابَ.. فَهَلْ يَغِيبُ مُجَاهِدٌ * أَعْطَى لِشَعْبِهِ قُدُوءَ وَمِثَالاً؟
أَوْ قِيلَ مَاتَ.. فَهَلْ يَمُوتُ مُخَلِّدٌ * مِنْ بَعْدِهِ قَدْ خَلَّفَ الْأَشْبَالَ؟

هُوَ فِكْرَةٌ فِي رُوحِنَا.. وَمَنَارَةٌ * تَهْدِي الْعُقُولَ وَتُرْشِدُ الْأَجْيَالَ
 وَمَلَا حِمِّ بَدَمِ الْفِدَى مَسْطُورَةٌ * رَغَمَ الْغِيَابِ.. فَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى
 فَانَعَمْ هُنَالِكَ يَا بَنَ يُوسُفَ خَالِدًا * بَيْنَ النَّعِيمِ جَنَائِنَا وَظِلَالَا
 فِي جِيرَةِ الشُّهَدَاءِ وَالْأَبْرَارِ مَنْ * حَازُوا الْقَبُولَ مِنَ الْإِلَهِ تَعَالَى
 سَتَظَلُّ ذِكْرَاكَ الْعَظِيمَةُ حَيَّةٌ * مِنْ وَحْيِهَا نَسْتَلِهِمْ اسْتِيسَالَا
 وَلِيَحْيَ عَاہِلُنَا الْكَرِيمُ مُحَمَّدٌ * يَبْنِي الْحِمَى وَيُوَاصِلُ الْأَعْمَالَا
 وَلِيَحْيَ وَارِثُ سِرِّهِ حَسَنُ الْعُلَى * فِي الصَّالِحَاتِ يُقَدِّمُ الْأَمْثَالَا
 وَلِيَرَعَ أَسْرَتَهُ الْمُنِيفَةَ رَبُّنَا * مَا جَادَ غَيْثٌ بِالْحَيَاةِ وَسَالَا

محن الاحتلال ومنح الاستقلال

● شعر ذ. مولاي أحمد هاشمي - مكناس.

- الغرب موطن بؤرة العدوان * بل هم جميعا مصدر الطغيان
 حقد دفين، ثم كيد ضارب * أطنابه، في السر والإعلان
 خطط الشرور تكاثرت، في خسة * للسطو والتخضع للأوطان
 أوطان لهو، عن نماء قد غفوا * ولقد أسفوا نحو كل هوان
 جهل تفشى، بعد شر تشردم * للضعف صرنا، مرتع الأدران
 إنا أضعنا مكسب الأجداد من * علم، وعز، طاقة الإمكان
 سلف عظيم، فائق، متيقظ * خلف أضاع مفاخر الأزمان
 ترك الأوامر، واقتراف محرم * كسل ذريع، جر كل هوان
 طمع العدا في خيرنا، ثروا تننا * قد جندوا فيضا من الإمكان
 قد سطورا خططا، بكل خصاصة * قد وزعوا المغنم، بالإتقان
 كل لوجهته، بكل شراسة * جيش عرمرم، فائق الإمكان
 قد سيطروا، وتمكنوا، فتوطنوا * من قد يقاوم، يلحق كل هوان
 كم قتلوا، كم شردوا، كم دمروا * وقد استتب الأمر للعدوان
 عشرات أعوام، لهدم كياننا * لـديارهم يهدون خير مجان
 نهبوا التاج بواطن وظواهرنا * أخذوا الجواهر، طفحة المرجان
 لم يتركوا إلا الحثالة والأسى * قد خلفوا الخسران بالأطنان
 والمغرب الأقصى، تحصن حقبة * كان الأخير لهجمة العدوان
 شرسا، يقاوم باستماتة مؤمن * بالحق، رغم ضحالة الإمكان
 كيف الصمود أمام شر مترسن * لا شيء بالأيدي، سوى الإيمان
 قد جرع الأعداء سما زاعفا * قد صدهم ردحا، بلا خذلان
 لكن تحالفهم، وضعف عتادنا * قد أحرز الأعداء كسب رهان
 طالت مظالمهم، تجبر جيشهم * ضقنا بهم ذرعا، قلى بجنان
 كل لآلام يضارع، كارها * للمعتدي، الغاصب للأوطان
 مقت تجذر للعدا، متأججا * غضب شديد ثار كالبركان

- لا صبر، لا للخوف، إقدام نما *
 عرش وشعب كالكيان موحد *
 ثار الهزبر: محمد الخامس في *
 فقهاؤنا، وطنينا، كل سعى *
 دب الكفاح بقوة وتضافر *
 قامت فلول الشعب في كل الربى *
 شجعاننا ببسالة قد أضغفوا *
 نار العدا تحبو رويدا، هاهنا *
 عرب، أمازيغ، وكل مؤمن *
 خابت مساعيهم لتمزيق العرى *
 ظن العدا الشرورهم ولكيدهم *
 والعكس، عكس الظن، أضرم ثورة *
 تحريقناهم، وتقتيل لهم *
 قد أذهب المولى العدو ومكره *
 قد أبعد المولى عدوا قاسيا *
 عاد المظفر بالمغانم، طفحة *
 حريرة غراء، نلنا أوجهنا *
 حسن الفعال أقام صرحا شامخا *
 صحرأونا راقت بكل تميز *
 والعاهل المغوار، سادس دوحه *
 ضخم المشاريع انبرت لتنافس *
 فلنجهتهد، بالصدق والإخلاص، في *
 كل يراقب ربنا، في رهبة *
 فاحفظ إلهي عرشنا وكياننا *
 أغدق سحائب رحمة مدرارة *
 واشمل بألطف خفايا سدة *
 كن يا إلهي للمفدى ناصرا *
 واحفظ ولي عهده، وشقيقه *
 وطني العزيز، أدمه في بحبوحة *
 متحديا، ومداهم الأدران *
 هيهات لاستمرار ذا العدوان *
 فجر يناهض كسحة الخذلان *
 سرا، لبث الوعي في الاحضان *
 عم النواحي، بث في الأركان *
 حذوا الموقف قائد الفرسان *
 عضد الخصوم، بقوة الغليان *
 وهناك، إثر توحد الأعيان *
 أعلى الأواصر رابط الإيمان *
 كل المغاربة ارتصاص تهمان *
 إبعاد قائدنا ضمان هوان *
 في كل صقع عبر كل زمان *
 أفضى بنا قطعا لخير أمان *
 أقصى بذاك سحائب الأحزان *
 وأباد كل مظاهر العدوان *
 بالانعتاق: إزاحة الأدران *
 بجهادنا: شعبا وعرش تهمان *
 كل المجالات ارتقت، بتهان *
 إعمارها فاق المنى بتفان *
 ضحى براحتة، بفيض جنان *
 إن الرقي منارة بعنان *
 خلواتنا سرا، وبالإعلان *
 رغبا كذاك، مهاجر الخذلان *
 وأدم علينا نعمة الإحسان *
 للعاهلين، وسائر الفرسان *
 نسمو بها، نحظى بكل أمان *
 حفظا له: حفظا لنا بتفان *
 وأدم رعايا الملك للإحسان *
 للخير، يغدو غرة الأوطان

تأملات

شعر: ذ. عبد الكريم الوزاني - فاس

أَدِرِ الْمَكَارِمَ وَأَبْتِهْلِ وَتَأْمَلِ * وَاشْفَعْ رَجَاءَكَ بِالْدُّعَاءِ الْأَمْثَلِ
 وَاخْفِضْ جَنَاحَ الذُّلِّ وَانْصَبْ كَيْ تَصُبَّ * فَالْلَهُ يُزْجِي فَضْلَهُ لِلْسَائِلِ
 فَإِذَا عَزَمْتَ فَنَائِلُ مَا تَبْتَغِي * وَإِذَا اسْتَخَرْتَ فَبِالضَّمَانِ الشَّامِلِ
 وَإِذَا ارْتَشَفْتَ مِنَ الشَّمَائِلِ جُرْعَةً * فَاشْرَبْ عَلَى نَحْبِ الْكِرَامِ وَأَجْزِلِ
 وَاجْعَلْ صَلَاحَكَ طَاعَةً وَتَوَدُّدًا * جُودُ الْكَرِيمِ عَلَى خِصَاصَةِ غَائِلِ
 فَالْبِرُّ مِنْ بَذْلِ الْإِلَهِ تَفْضُلُ * وَالْجُودُ مِنْ عِنْدِ الشَّفِيعِ الْكَامِلِ
 خَيْرُ بَيْنَ تَهْجِدِي وَتَأْوُدِي * فَاخْتَرْتُ أَنْوَارَ السَّرَاجِ الْمُنْجَلِي
 يَسْرِي بِنَا صَوْبَ الْفَضِيلَةِ وَالْعُلَى * فِي آجِلِ الْأَيَّامِ أَوْ فِي الْعَاجِلِ
 نُسْكِي وَجِيبَ بِالتَّوَاصُلِ شَافِعُ * صِدْقُ الْمُحَبَّةِ كَالرَّدَاذِ الْمُسْبِلِ
 رَوْحُ وَرَيْحَانُ وَفَيْضُ صَبَابَةٍ * سَلَوَايَ فِي عَهْدِ حَفِيِّ حَافِلِ
 فَأَنَا بِهِ فِي جَنَّةٍ مَوْفُورَةٍ * وَأَنَا بِهِ فِي شَوْقِ قَلْبٍ وَاصِلِ



افتتاحية

5

ملف العدد

ثورة الملك والشعب وصور من الكفاح الوطني للمرأة المغربية

7

✍ ذ. محمد عز الدين المعيار الإدريسي (رئيس المجلس العلمي المحلي لمراكش).

محمد الخامس والحركة الوطنية، تلاحم في مسار الكفاح من أجل الاستقلال

23

✍ ذ. جواد الفرخ (فاس).

ثورة الملك والشعب وصداهها في الصحافة الدولية: نماذج وقضايا

37

✍ ذ. منير روكي (برشيد).

ثورة الملك والشعب، حدث أعاد المجد بالثبات على العهد

45

✍ ذ. محمد أبو الخبرة (عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم تاونات).

ذكرى ثورة الملك والشعب، تجديد بيعة وصلة ماض بحاضر، وتطلع لمستقبل مشرق

61

✍ ذ. محمد الزباني (رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر).

وقفات تأملية في ذكرى ثورة الملك والشعب، المميزات والمستفادات

67

✍ ذ. عبد الإله التاج (رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم الحاجب).

أحداث تطوان يوم 8 فبراير 1948 م بين الروايتين المغربية والإسبانية

73

✍ ذ. محمد الأندلسي (تطوان).

الإدارة الاستعمارية الإسبانية وموقفها من نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف

81

✍ ذ. خالد بويقران (بني ملال).

وثيقة المطالبة باستقلال المغرب وموقف محمد الخامس منها	93
﴿ذ. أحمد الأزمي (فاس).﴾	
قراءة في ذكرى ثورة الملك والشعب	101
﴿ذ. إبراهيم بن أحمد الوافي (رئيس المجلس العلمي المحلي لإنزكان أيت ملول).﴾	
علماء وطلبة القرويين وثورة الملك والشعب	107
﴿ذ. إدريس الفاسي (نائب رئيس جامعة القرويين).﴾	
السياق التاريخي لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال	117
﴿ذ. ربيع عوادي (فاس).﴾	
السلطان محمد بن يوسف في مواجهة التحديات (1947-1955م)	131
﴿ذ. خديجة بن بوسلهام (المنذوية الجهوية للتعليم - الرباط).﴾	
ديوان العدد	
قصيدة: ستظل ذكراك العظيمة حيّة	147
﴿شعر ذ. محمد البلغمي (فاس).﴾	
قصيدة: نحن الاحتلال ومنح الاستقلال	149
﴿شعر ذ. أحمد هاشمي (مكناس).﴾	
قصيدة: تأملات	151
﴿شعر ذ. عبد الكريم الوزاني (فاس).﴾	

شروط النشر بالمجلة

- تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:
- ✓ أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلماً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
 - ✓ أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
 - ✓ التقيد التام بكتابة الآيات القرآنية وفق المصحف المحمدي.
 - ✓ الاعتناء التام بعلامات الترقيم، والالتزام بالقواعد المتعارف عليها في تحرير البحوث والمقالات.
 - ✓ ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم A4.
 - ✓ في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
 - ✓ في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
 - ✓ تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
 - ✓ ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وصفته وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
 - ✓ البريد الإلكتروني هو: alamihamid49@gmail.com
 - ✓ ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
 - ✓ الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
 - ✓ ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
 - ✓ تصنيف البحث أو المقال وتنسيقه تنسيقاً جيداً.
 - ✓ هوامش التوثيق والإحالات والمصادر والمراجع تدرج في أسفل الصفحات وليس في آخر البحث أو المقال.
 - ✓ يكتب البحث أو المقال بخط Simplified Arabic مع التقيد بالمقاسات الآتية: 14 في النص، و10 في الهامش، و01 ما بين السطور.

محاوَر الأعداد المقبلة

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاورين الآتيين:

- 1- المقاصد الشرعية لدى علماء المالكية.
- 1- الإمامة العظمى وارتباطها بالبيعة الشرعية.

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والعكر تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية